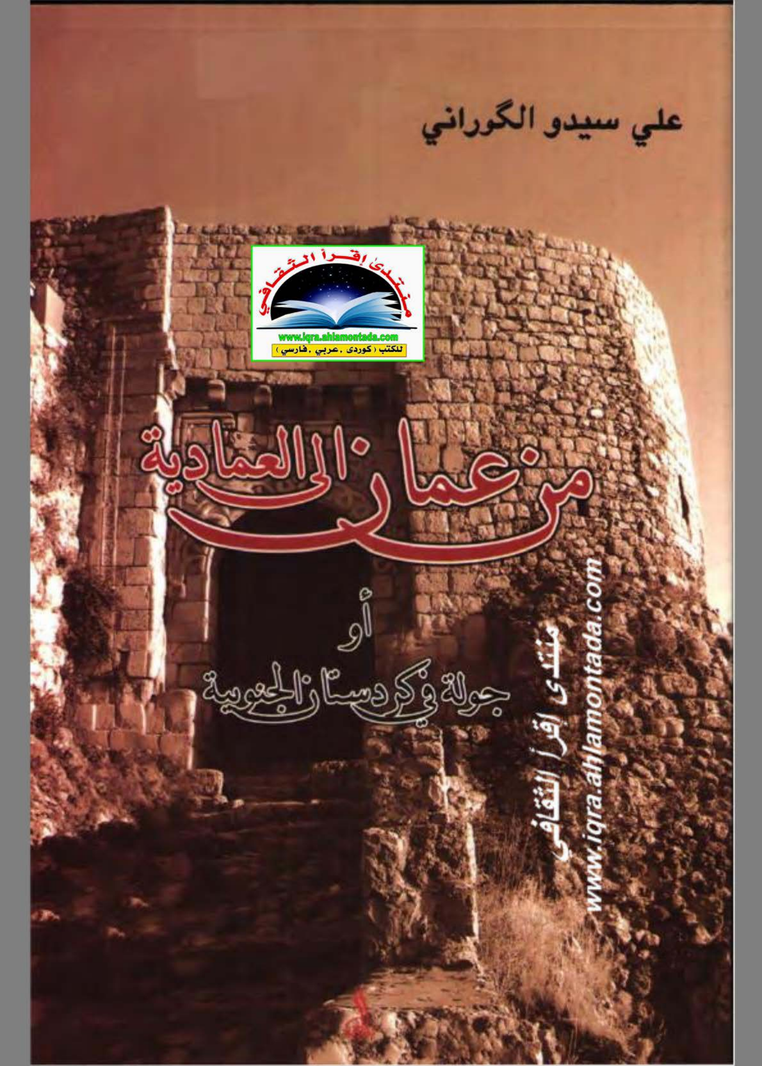


علي سيدو الگوراني
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى . عربي . فارسي)
من عمان الى العمادية
أو
جولة في كردستان الجنوبية
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

من عمان الى العمادية

أو

جولة في كردستان الجنوبية

من عمان الى العمادية

او

جولة في كردستان الجنوبية

تأليف

الاستاذ علي سيدو الكوراني

سكرتير المجلس التشريعي الأردني

عمان

١٩٣٩

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

صورة الغلاف للطبعة الاولى لهذا الكتاب ١٩٣٩

عمان – المملكة الأردنية الهاشمية

من عمان الى العمادية

أو

جولة في كردستان الجنوبية

تأليف

الاستاذ على سيدو الكورانى

دار أراس للطباعة والنشر

اربيل - اقليم كردستان العراق

دار آراس للطباعة والنشر
شارع گولان – اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الاكتروني aras@araspress.com
المواقع على الانترنيت www.araspublishers.com
الهاتف: 35 49 224 66 (0) 00964
تأسست دار آراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

علي سيدو الگوراني
من عمان الى العمادية
منشورات آراس رقم: ١٢٩٩
الطبعة الثانية ٢٠١٢
كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة
مطبعة آراس – اربيل
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٧٥٩ – ٢٠١٢
الاخراج الداخلي: كارزان عبدالحميد
الغلاف: آراس أكرم
التصحيح: أوميد البناء

ردمك:
ISBN: 978-9933-487-71-3



صـورة المؤلف

أمضي و تبقى صـورتي فتعجبوا   تمضي الحقائق والرسوم تقيم
والموت تجلبه الحياة فلو حـوى   روحـا، لمات الهيكل المرسـوم

مقدمة

دفعني إلى القيام بهذه الجولة وكتابتها عوامل عدة : التثبت مما كنت أطالعه في كتب الغربيين من انجليز وامريكان حول الكرد وبلادهم، وسد ثغرة في التاريخ الاسلامي وجغرافية الشرق الادنى، واعطاء فكرة صحيحة عن الكرد لجيرانهم الذين مازالوا يجهلون الشيء الكثير عنهم، حتى انك لا تجد كتابا... واحداً بين كتبهم يبحث هذا الموضوع بحثاً وافياً على ما اعتقد. ويظهر ان قلة الرغبة في السياحة وحب الاستكشاف الذي امتازت به أمم الغرب كان من اكبر العوامل التي حالت دون طرق أمم الشرق لهذه الناحية:

وليس هذا فحسب، بل أن المتتبع لتاريخ الشرق في القرون الوسطى يوم أن وقفت أمم الشرق والغرب وجها لوجه تتنازع سيادة الأراضي المقدسة والشواطئ الشرقية للبحر الابيض المتوسط، يجد نفسه في حاجة ماسة لمعرفة أحوال الأمم الشرقية، ولا سيما الاكراد الذين ساهموا في اكثر تلك الحروب في عهد الدولتين النورية والصلاحية. ليتسنى له دراسة اسباب فوز الشرق في تلك الحقبة على ضوء الحقيقة.

كل هذه حفزتني للقيام بجولة في كردستان فأخذت أعد العدة إليها بعد أن أنهيت تحصيلي في الجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٢٨. وقد تيسّرت لي زيارة القسم الواقع منها في العراق سنة ١٩٣١. وحاولت جهدي ان اكتب الحقيقة في ما أراه. والكتاب يشتمل على نواح ثلاث ناحية تبين لنا بلاد الكرد بصورة عامة، وكردستان الجنوبية (العراق الشمالي) بصورة خاصة، وناحية توضح لنا تاريخ الكرد بصورة مجملة من اقدم العصور التاريخية حتى الآن. والناحية الثالثة تكشف لنا عن حياة الكرد الاجتماعية والأدبية. وإني لأرجو أن ينال هذا العمل من تقدير قومي، وأن

يدعو كتاب الشرق إلى مزيد من العناية بهذه البلاد الاسلامية البكر، لدرس حاضرها وماضيها دراسة علمية صحيحة.

وليس هذا الكتاب إلاّ فاتحة هذا الموضوع الشاق. وبديهي أن لا يكون خاليا من السهو أو النقص إذ العصمة للّه وحده وأسأل الله تعالى ان يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير والنفع العام.

علي سيدو

عمان في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٨

الفصل الاول

عمان - دمشق

عمان

١. نبذة تاريخية

عمان – عاصمة إمارة شرق الأردن اليوم والعمونيين في القرون الأولى وكانت قبلهم عاصمة عوج ملك باشان استولى عليها بنو عمون منه وجعلوها مركزا لحكومتهم فلم يرق لبني إسرائيل أن يروا في الناحية الشرقية من الاردن دولة قوية تقف دون توسعهم، ولهذا ارسل ملكهم داوود قائد جيشهم يوآب إلى العمونيين فحاربهم واخذ ربة عمون (عمان العليا) منهم، بعد حصار دام عامين كما جاء في الاصحاح الحادي عشر والثاني عشر من سفر صموئيل الثاني وكان المحصورون طيلة هذه المدة يشربون من ماء النهر. ولما استولى يوآب على مدينة المياه (عمان السفلى) انقطع الناس عن النهر واقتصروا على مياه الصهاريج في (ربة) وبذلك تيقن يوآب أن المدينة ستسلم اليه في وقت قريب. فكتب يحث داوود بالمجئ قائلا (تعال وتسلم المدينة لئلا يذكر فتحها على يدي) وكانت فظائع الجيش الاسرائيلي بالعمونيين كبيرة فاستاقوا الغنائم ومن بينها تاج الملك ووضعوه على رأس داوود.

ثم عاد العمونيون واسترجعوا مدينتهم وما كان قد استولى عليه بنو إسرائيل منهم. ولما عاد اليهود من السبي حاربوا العمونيين واستخلص

بهوذا المكابي (ربة) منهم. وبعد ثلاثة قرون اي سنة ٢٨٥ق.م استولى عليها بطليموس فيلادلفورس الروماني وأعاد بناءها وحصنها ودعاها فيلادلفيا. ثم استولى عليها هيرودرس بعد مذبحة كبرى في قلعتها. وفي ايام البيزنطيين ازدهرت و أصبحت إحدى المدن العشر البيزنطية المعروفة بالديكابوليس. ولما تنصر البيزنطيون جعلوها كرسي اسقفية لمقاطعة عمون او البلقاء المعروفة في عهدهم باسم (بيريه) واستمرت زاهرة الى الفتح الاسلامي حيث اخذت تنحط بعد أن هاجر سكانها مع الجيش الروماني المنسحب.

وقد جاء ذكرها بعد ذلك في الكتب العربية فذكرها ياقوت بقوله (وعمان بلدة قائمة على سيف البادية ذات قرى ومزارع. ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام) وقد اعتنى الامويون بعمان وغيرها من البلدان الصغيرة في البلقاء. ولا سيما ما كان منها على طريق الحاج وقرب البادية حيث كان ملوكهم يقضون شطرا من الزمن في الصيف. وقد جاء في خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي (أن امر بني أمية سنة ١٢٦هـ اضطرب وهاجت الفتنة فخرج سليمان ابن هشام بن عبد الملك من سجن عمان – وكان الوليد قد حبسه بها – فقتل الوليد بعمان واخذ ما كان بها من الأموال واقبل إلى دمشق).

وفي العهد العباسي كانت ولاية عمان وجبل الشراة بيد محمد بن طغج الملقب بالاخشيد وفي عهده خرج حاج الشام وفيهم جماعة من أهل العراق واجتازوا البلقاء سنة ٣٠٦ هـ فقعد له جمع من قبائل لخم وجذام (من بني صخر) فجمع لهم الاخشيد عسكره ولقيهم ومعه اخوه علي بن طغج فهزمهم وبذلك ارتفع شأنه في العراق مما أدى إلى تعيينه سنة ٣١٦هـ على الرملة. ثم كتب اليه المقتدر سنة ٣١٨هـ بولاية دمشق. ولما تولى الراضي عينه واليا على مصر سنة ٣٢٣هـ وضم اليها البلاد الشامية. اخذت أهمية عمان بعد ذلك تنحط، وخمل شأنها بعد الحروب الصليبية وظلت خرابا في

معظم الحكم العثماني ثم عادت للظهور سنة ١٣٠٢هـ حينما اقطعتها الدولة العثمانية وبضعة قرى حولها تمتاز بجودة تربتها ووفرة مياهها، إلى مهاجري الجراكسة الذين ارغموا على ترك بلادهم عقب استيلاء روسيا على القوقاس. وقد جعل الاتراك عمان ناحية بعد أن انشأ الجراكسة فيها مساكنهم وبقيت كذلك إلى ٢٥ ايلول سنة ١٩١٨م. حيث خرجت من حكم العثمانيين الاتراك وسقطت بيد القوات العربية الثائرة والجيوش البريطانية بعد معركة شاقة كانت ثالثة الهجمات للبريطانيين عليها، فقد هاجموها في شهري آذار ونيسان[١] وتراجعوا عنها. وفي المرة الثالثة اشترك النيوزيلانديون والاستراليون بقيادة جايتر فاحتل لواء الخيالة الثاني الأسترالي البلدة، ولواء نيوزيلندة الراكب، القلعة. ولما تألفت في سوريا الداخلية حكومة عربية سنة ١٩١٩م، الحقت اليها بلاد شرق الاردن. ولدى انحلالها على أثر دخول الفرنسيين دمشق في ٢٤ تموز[٢] سنة ١٩٢٠م. بعد معركة ميسلون انفصلت الوية عجلون والكرك ومعان عن سورية وجعلت حكومة تحت الانتداب البريطاني يديرها الامير عبد الله احد انجال الملك حسين فاتخذ عمان عاصمة لحكومته الجديدة وذلك لوجودها على سكة حديد الحجاز وتوسطها في البلاد الاردنية ووافق البريطانيون عليها لأهمية مركزها في الطيران.

٢. آثارها

كانت بيوت (فيلادلفيا) قائمة على سفح تل القلعة فهدمت الزلازل معظمها وانطمر تحت الركام. اما آثار (ربة) فلم يعرف عنها شيء ويظن ان الاثار التي كشفتها البعثة الايطالية على تل القلعة بعضها من بناء (ربة عمون) أما الابنية البارزة الباقية فهي قلعة رومانية تتألف من ثلاثة

---

١. شهرا مارس وابريل.

٢. شهر يوليو.

ابنية احدها وهو الشرقي تهدم ولم يبق منه الا القسم الجنوبي ظاهراً. ويقع البناءان الاخران في الطرف الغربي أحدهما جنوبي الاخر. فالجنوبي بناء ذو غرفة واحدة تشرف على البلدة تهدم سقفها وبقيت جدارها قائمة. وقد اجرى الطليان حفريات في السنة الماضية على بعد عشرين مترا شمال هذه الغرفة فكشفوا صهريجا كبيراً للمياه تحيط به احجار ضخمة طول بعضها لا يقل عن مترين وعرضها عن متر ونيف. والاثر الشمالي قصر ذو غرفتين اماميتين وايوان وذو غرفتين خلفيتين مسقوف جميعها بأقواس رومانية. وللقصر مدخلان احدهما جنوبي والاخر شمالي.

ولم يبق من آثار الوادي الا الآثار الرومانية وهي كنيسة وملعب وجامع اختلف فيه المستشرقون. بعضهم يقول أن المسلمين ابتنوه جامعا من الحجارة الرومانية ويستند هذا الفريق بدعواه على هندسة المحراب والمأذنة. وقد امر امير البلاد بهدم هذا الجامع وإعادة بنائه على الطراز الحديث. وتقع الكنيسة للشرق من هذا الجامع على ضفاف نهير اليبوق وهو اسم سيل عمان القديم. وتشبه هندستها من الخارج القلاع. وقد اقيم على يمينها جسر ملتصق بها تمر من تحته مياه الامطار الفائضة وعلى يسارها جسر اخر على مياه اليبوق ولا يزال كلاهما قائماً في موضعه وعلى مسافة ٢٥٠متراً تقريبا للشرق من الجسر الاخير وعلى ضفة النهير اليمنى يقع الملعب الروماني وهو خير الاثار الرومانية الباقية حفرت مقاعده في الصخر الصلد. ويبلغ عدد طبقاته ثلاثا واربعين طبقة تبدأ ضيقة في الاسفل ثم تأخذ في الانفراج كلما ارتفعت وتنقسم الى اقسام تفصل بينها طرق مدرجة واقيمت في اعلاها غرفة لجلوس الحاكم. وامام الملعب ساحة تحيط بها الاعمدة وقد تهدم معظمها ولم يبق منها الا عدد قليل لا يزيد على العشرة. وبالقرب منها سراي امير البلاد وفندق ابتنته شركة نيون الانجليزية سمته باسم البلدة القديم (فيلادلفيا).

٣. عمان الحديثة.

وعمان اليوم بلدة حديثة النشأة انتشر فيها العمران على التلال المحيطة بوديانها. ووصلت الى بيوتها انابيب المياه من ينبوع النهير واتسعت شوارعها وعبدت بالاسفلت وازدهرت تجارتها وازداد عدد سكانها بمن جاءها من أهل دمشق ونابلس وقرى شرق الاردن وغيرهم من شتى الناس للارتزاق وانشئ فيها معملان للتبغ ودار للسينما. واول من شيدها في القرن التاسع عشر الجراكسة وقد انتخبوا الوادي قرب الماء لسكناهم تحاشيا من الاشتباك مع البدو الضاربين في اطراف البلدة.

والجراكسة من عناصر القوقاس الاصلية وموطنهم في القوقاس الشمالي الغربي ولهم فيه اليوم جمهوريتان شيوعيتان هما (١) قبردينو- بلقار (٢) اديغة - جركس. وقد تأسست الاولى سنة ١٩٢٤م. والثانية سنة ١٩٢٦م. ولم تكن بلادهم وغيرها من ولايات القوقاس تابعة للدولة الروسية قبل القرن الثامن عشر وفي هذا القرن أخذت الدولة الروسية تشن الحرب على القوقاس ولم يتم لها احتلاله إلاّ في النصف الاخير من القرن التاسع عشر. وقد استبسل الجراكسة وغيرهم من مسلمي القوقاس في هذه الحروب ولكن كثرة عدوهم وقوته اعيتهم، وخذلتهم الدولة العثمانية في جهادهم، وتخلت بريطانيا عن مناصرتهم وكانت قد وعدتهم بها سرا فاحتلت روسيا بلادهم وارتكبت شتى المظالم والاعمال البربرية مع الاطفال الابرياء والنساء والرجال العزل ولم يسعهم تجاه ذلك إلاّ ان يهجروا بلادهم التي تفانوا في سبيل الدفاع عنها إلى بلاد الامبراطورية العثمانية، فأخذت قبائلهم تهاجر تباعا منذ سنة ١٨٦٤م. ويقدر عدد من خرج منهم بنصف مليون نسمة يقطن معظمهم اليوم في ولايات الاناضول في بلاد الجمهورية التركية وفي قضاء القنيطرة من اعمال دمشق وغيره من اقضية سوريا الشمالية، وفي عمان وبضعة قرى من اعمال لواء البلقاء

في بلاد شرقي الاردن. وما يزالون في هذه الامارة – رغم أنهم لا يزيدون على عشرة الآف نسمة – محتفظين بلغتهم وازيائهم وعاداتهم. ويمتازون بالفروسية والرشاقة وحب العمل والامانة ونظافة المسكن والاناقة في الملبس، ولهم حنين للرجوع الى وطنهم الاصلي. ولهم في المجلس التشريعي الاردني عضوان من مجموع احد وعشرين عضوا، وجمعية خيرية غايتها مناصرة المحتاج منهم وربطهم بجراكسة الاقطار الآخرى ادبيا وثقافيا. ولغتهم ليست بالسامية ولا المغولية بل احدى لغات الفرقة القوقاسية الغربية Indo european وهي اقرب إلى اللغات الارية إذ تشاركها في بعض قواعدها الصرفية لا سيما في اداة الجمع فهي عندهم (ها) كما في الفارسية، وفي تكوين المصدر وهو ينتهي بالنون كما هو في الفارسية والكردية والالمانية، وفي فعل الكون فهو عندهم تاء او سين ويقابل ذلك (است) بالفارسية (وإت) بالكردية و(is) بالانجليزية. و (etre) بالفرنسية و (essere) بالايطالية، وتشاركها كذلك في المفردات وقد جمعت منها طائفة تتشابه لفظا ومعنى، وتسهيلا للنطق يحسن بالقراء ان يلاحظوا ان (X) تقابلها الخاء وان (X) ذات نقطة تقابلها الغين و (X) ذات نقطتين تقابلها الحاء اليونانية او الالمانية 3 تقابلها الهمزة و c تقابلها الجيم وc بالصديل تقابلها الجيم و S بالصديل تقابلها الشين و E تقابلها Al الانجليزية و ا تقابلها U الانجليزية و U الذي عليه مثل A تقابلها OO الانجليزية – واليك بعضها.

Circasian	Kafiri	Kurdi	English	German	Persian	Afghani	Arabic
Adam	Dai						اب
Bane		Ban	Ban				سباح نشاء
Bje			Bee				نحلة
Bo		ramis			Bûs		البوس القبلة
Bze		Zimen			Zeban	Zebe	لسان
Câle		çêli	Chilol				طفل غلام
Cjen		Zanin	Ken				المرأة
Câzwe		Cakz					حسن جميل
Câigu		Ci , cib					مكان اوطى
							القمرية
çile		çile	Chilli				البرد شديد
çipsle			Chips				قطع خشبية
Dane		Ta					خبط
Da ze						Tizé	جبل
Dize		Tav		Ta			شمس
Duz		Diz		Dib			لص
Ede		Édi,édin	Then				إذن
Guse		Dergûs					سرير مهد
Geres		Gerin					جولان
Hel			Wheel				عجل
Jewe		Zû	soon		Zûd		سرعة باكر
Kate	kate						سيف
Kû		Kûr					عميق
Ketû		Ketik	Cat				قطة
Mete			Mial				حصيرة
Maze	Mas	Meh	Month		Meh		شهر
Pe			Place				موضع
Qwe		çû	Go				ذهب يذهب
Se	Zû	sir			sir		حليب
sta			Stay				ظل
She	Sha	Ser			ser		رأس
Tse	Dont	Didan	Teeth				أسنان
Ta		Da					اعطى
The	Dé	Xwe-dé	Cood		Xuda		الله
Wes	Wash						مطر
We		Ewr					سحاب

٤- عمان (١١) تموز سنة ١٩٣١م

خرج القطار بنا من عمان ينهب الارض نحو دمشق فاجتاز الرصيفة، اول محطة بعد عمان، سكانها جراكسة وفيها فوسفات كثيرة ومياه غزيرة. ثم قطع الزرقاء وهي المحطة الثانية وسكانها من الججن القوقاسيين وقد اتخذتها قوة حدود شرق الاردن مركزا لها. ثم مر القطار بالمفرق وسكانها مغاربة ويظن انها ستصبح مركزا هاما من مراكز أنابيب بترول العراق. ثم اجتاز بنا ثلاث محطات صغيرة وصلنا بعدها درعا ملتقى خطوط دمشق – حيفا – عمان، ولا بد للمسافر الاردني او غيره أن يبرز جوازه فيها للتأشير عليه قبل دخول الاراضي السورية والمسافة بين عمان ودرعا مائة كيلو متر.

وسرنا من درعا شمالا ومررنا بخربة الغزالة وفيها قتل الحورانيون بتحريض من اعوان الملك فيصل رئيس وزراء الحكومة السورية (علاءالدين بك الدروبي) و (عبد الرحمن باشا اليوسف الكردي) رئيس مجلس الشورى ثم مررنا بأذرع وقد اتخذها الافرنسيون مركزا لبعض فرقهم بعد الثورة السورية ثم بخبب فالمسمية فدير علي وهي قرية درزية في قضاء وادي العجم يعتقد المستر تومسون صاحب كتاب (The lanof anuf the book) انها سميت ديرا نسبة الى دير قديم دلت الكتابة اليونانية التي عليه، انه لأصحاب المارشيون الهرطوقي واصله من بلدة سينوب على البحر الاسود اعتقد بالتوراة وبانجيل لوقا وانكر البعث وغير ذلك من تعاليم الارثوذكس ولذلك حرم الاخوية النصرانية. واخر محطة قبل دمشق الكسوة وهي اكبر قرى وادي العجم يروي اراضيها نهر الأعوج.

لمحة عن دمشق

تاريخها قبل الاسلام

دمشق – هي دمسك الارامية عاصمة آرام دمسك. أول من بناها حسب رواية (يوسيفوس) أوز بن آرام حفيد سام وكان ملوكها يلقبون بهدد عزر. غزاها المصريون والاشوريون والبابليون والفرس فدانت لهم جميعا. وفي سنة ٣٣٣ق.م استسلمت لبارميو قائد الاسكندر المقدوني ثم سقطت بعد ذلك بيد الرومان فالبيزنطيين. وازدهرت في أيامهم فأصبحت مركزا سياسيا هاما لسوريا. وقد اتخذها بومبي مركزا لاستقبال سفراء سوريا ويهوذا.

وحوالي سنة (١١٠–١٢٠ق.م) خضع سكان دمشق للأنباط اصحاب البتراء. وفي عهد مالقوس ضعف النبطيون وفقدوا دمشق. ثم دالت دولتهم في عهد تراجان سنة ١٠٦م. واصبحت بلادهم ولاية تابعة للامبراطورية الرومانية وفي عام ٦١٣– ٦١٤م.

سقطت دمشق بيد كسرى برويز ثم استردها هرقل منهم سنة ٦٢٦م. وفي عام ٦٣٦م. او ١٤هـ هاجم العرب الرومان في اليرموك وهزموهم ثم اجتمع الروم بمرج الصفر بين دمشق والجولان ولكنهم هزموا ايضاً فتبعهم ابو عبيدة بن الجراح الى دمشق وهنا أقام على حصارها سبعين يوما كما يروي (جيبون) ثم افتتح نصفها عنوة والنصف الاخر صلحا فأجراها الخليفة عمر بن الخطاب كلها صلحاً وترك لسكانها سبعة اماكن للعبادة ونصف كنيسة القديس يوحنا. (خطط الشام)

تاريخها في الاسلام

ولما استتب الامر للأمويين سنة ٤٠هـ جعلوها عاصمة لامبراطورية

إسلامية تمتد شرقا الى الهند وغربا الى المحيط الاطلسي. ومن اثارهم فيها الجامع الاموي الشهير. وفي عام ١٣٢هـ سقطت بيد عبدالله بن علي، عم ابي العباس السفاح وانتقلت بذلك الى العباسيين. وفي سنة ٢٦٤هـ استولى عليها احمد بن طولون التركي مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام. وفي سنة ٣٢٣هـ استقر محمد بن طغج التركي الملقب بالاخشيد في دمشق وترك على ولايتها سنة ٣٣٠هـ محمد بن يزداد الشهرزوري الكردي بعد ان استصفاها من محمد بن رائق مندوب الخليفة العباسي. وبعد ذلك بسنوات قليلة استولى عليها سيف الدولة الحمداني وفي سنة ٣٣٥هـ تخلى عنها للاخشيديين بعد ذلك في عام ٣٦٨هـ وبقيت بيد الفاطميين الى ان انتزعها منهم (اتسز) التركماني السلجوقي صلحا سنة ٤٦٨هـ وخطب للعباسيين ثم انتقلت الى الاتابك طغتكين وبقيت في دولته ٥٢ سنة. وفي عام ٥٤٩هـ استولى عليها (نور الدين زنكي) وهو ايضا من السلاجقة وفي ايامه ازدادت عمرانا وكثرت فيها دور المستشفيات والجوامع والمدارس. وفي سنة ٥٦٩هـ توفي نور الدين وبموته انتهى حكم السلاجقة في الشام وانتقلت دمشق بعد عام الى الاكراد مؤسسي الدولة الأيوبية. وفي سنة ٦٥٨هـ قصد هولاكو التتري دمشق واحتلها بعد ان تغلب على الناصر يوسف اخر ملوكها من بني أيوب. ثم تحالف المماليك الترك سلاطين مصر مع من بقي من ملوك الأيوبيين في الشام على مقاومة التتر فالتقوا بهم على عين جالوت بين بيسان ونابلس وتغلبوا عليهم واسترجعوا منهم دمشق والبلاد الشامية والحقها المماليك بدولتهم. وقد عاود التتر هجومهم عليها سنة ٦٩٩هـ بقيادة غازان خان سليل جنكيز خان فاحتلوها وخربوا اثر الدور في الصالحية والشاغور وما يجاورهما وبقيت بأيديهم أربعة اشهر ثم تخلوا عنها الى المماليك الترك فبقيت بأيديهم الى سنة ٧٨٤هـ ثم انتقلت الى المماليك الجراكسة الذين خلفوهم في الحكم.

وفي سنة ٨٠٢هـ اجتاح (تيمور لنك) الشام وسقطت مدنه جميعا بيده خلا فلسطين ولواءي الكرك ومعان في شرق الاردن. ولم تسلم دمشق اليه الا بعد طلب مفاوضة الصلح مع سكانها فأجيب الى ذلك ولكنه خدعهم ودخلها عنوة وأقام بها ثمانين يوما حلّ بأهل دمشق منه خلالها البلاء فهتك الاعراض وقتل خلقا كثيرا كما هلك كثيرون من الجوع وسبيت النساء واحرقت المدينة ودام الحريق ثلاثة أيام بلياليها. ثم ارتحل عنها لمرض اصابه فاستردها المماليك وبقيت بأيديهم إلى سنة ٩٢٢هـ حيث سقطت بيد العثمانيين الذين ارغموا على تسليمها إلى القوات العربية والجيش البريطاني في سنة ١٩١٩بعد ان دام حكمهم فيها ٤١٤ سنة.

وفي اذار سنة ١٩١٩ اجتمع اعضاء المؤتمر السوري في دمشق وقرروا ما يلي:

١. استقلال سوريا ضمن حدودها الطبيعية من شبه جزيرة سيناء جنوبا الى جبال طوروس شمالا ومن بادية الشام شرقا الى البحر الابيض المتوسط غربا دون حماية او انتداب او اي شكل من اشكال المداخلة الاجنبية.

٢. ملكية الامير فيصل بن الملك حسين ملك الحجاز على عرش سوريا

٣. جعل الخدمة العسكرية اجبارية.

وقد رفضت كل من انكلترا وفرنسا التسليم بصحة هذا القرار واتفقتا على ان تخرج بريطانيا عساكرها من سوريا بشرط ان لا تدخل العساكر الافرنسية المدن الاربع – حلب وحماة وحمص ودمشق– ومعنى ذلك انهما اتفقتا على قبول ملكية فيصل على هذا الجزء السوري. وفي ١٤ تموز سنة ١٩٢٠م. ابلغ الجنرال غورو الافرنسي الملك فيصلا إنهاء الخدمة العسكرية التي بوشر بتطبيقها في سوريا في كانون الاول[١] سنة

---

١. شهر ديسمبر

١٩١٩وقبول الانتداب الافرنسي. وكانت مدة الجواب على هذا الانذار ٢٤ ساعة ثم مدت مثلها ولما تأخر الجواب تقدمت الجيوش الافرنسية على سكة حديد بيروت – دمشق واشتبكت مع الجند السوري في ميسلون واحرزت الغلبة عليه ثم واصلت زحفها الى دمشق فدخلتها في ٢٤ تموز وقضت على استقلال سوريا ووضعتها تحت انتدابها.

دمشق

دخلت المدينة مساء، وأقمت فيها بضعة ايام للدرس وجمع المعلومات فتمكنت من خلالها من زيارة الصالحية والمرجة والميدان وسأصف مشاهداتي فيها بادئا بالصالحية:

الصالحية

خير جزء في دمشق تقع على سفح قاسيون وتبدأ من شارع بغداد وعرنوس، ولا بد لزائرها ان يمر بالمرجة – مركز المدينة – ثم يتجه شمالا حيث يشاهد في طريقه الحدائق الجميلة المسورة باللبن يرويها جدولا تورا ويزيد المتشعبان عن نهر بردى (باردين). والقسم الاعظم من الصالحية يرتفع عن سهل المدينة وحدائقها، وقد اشتهرت بحسن مناخها وفخامة عمرانها الذي انتشر على سفح جبل قاسيون. وينقسم هذا الجزء الى حيين.

١. حي المهاجرين وسكانه من سراة دمشق واخلاط من الاتراك والجراكسة.

٢. حي الاكراد وسكانه بأجمعهم اكراد وليس بهذا الحي عمران فخم متجدد كما في الحي الاول. وينتشر الناس في شهور الصيف في هذا الجزء وغيره من أجزاء دمشق على ضفاف الأنهر وتحت ظلال الاشجار فيرتادها الدماشقة هربا من القيظ ويأخذ معظمهم طعامه معه ليقضي سحابة يومه هناك.

المرجة

ساحة جميلة على ضفة بردى اليمنى يكسوها الاخضرار وتعرف بمرجة الحشيش وهي غير الساحة العمومية، يرتادها الدماشقة رجالا ونساء واطفالا للتسلية والترويح عن النفس يقابلها في الناحية اليمنى تكية السلطان سليم الاول العثماني وقد بناها في القرن السادس عشر للميلاد وتحولت في العهد السوري الاخير الى جزء من الجامعة السورية

الميدان

هو القسم الجنوبي من دمشق يغلب على سكانه الدم العربي وهم اكثر الدماشقة اتجارا مع الداخل والقبائل البدوية ولذا فهم الطبقة التجارية في مدن حوران وشرق الاردن. وقد اضرت الثورة السورية الاخيرة سنة ١٩٢٥ هذا القسم فتهدمت اكثر ابنيته بالقنابل الافرنسية. وابنتيه تتالف، كما تتألف اكثر ابنية دمشق من الطين والخشب ولهذا كان تأثير القنابل فيها عظيما.

ومن يرغب ان يتم جولته في دمشق يسير من الميدان نحو زاوية سور المدينة الجنوبي الشرقي ويمر على شماله بالباب الصغير وهو احد ابواب دمشق ومنفذ مدافن الاحياء المجاورة، بناؤه الحالي اسلامي. ويقال ان اول من بناه الرومان ومن الزاوية الجنوبية الشرقية التي لا تبعد كثيرا عن باب كيسان يسير الى الباب الشرقي وهو بناء حجري روماني الاصل. ويصل الباب الشرقي هذا بالمدينة شارع الطويلة ويمر بحي النصارى واليهود. والمدينة اجمالا مدينة شرقية غاصة بالنفوس ومركز للثقافة العربية في سوريا وتشتهر بصناعة المنسوجات الحريرية والاثاثات والصياغة والاواني النحاسية والاسرجة الشرقية.

الاداب والعلوم في العصور الاسلامية

وجد الادب والشعر في العصر الاموي رواجا في دمشق لاتخاذ خلفاء بني أمية منهما الدعاية لتثبيت مركزهم، ثم انشأوا دارا للترجمة والتعريب من اللغات اليونانية والنبطية والسريانية والفارسية فترجمت الكتب الفنية في الطب والهندسة والفلسفة والكيمياء.

ولما انقرضت دولة بني أمية إنتقل العلماء والتراجمة الى بغداد حيث وجدوا معاضدة فعلية من خلفائها وحرية واسعة وتسامحا كبيرا. وبذلك ضعفت الاداب والعلوم فيها زمنا ثم انتعش الادب والشعر في عهد الحمدانيين، والعلم في عهد الدولتين الزنكية والأيوبية. قد تجمهر العلماء في هذا العهد من كافة العناصر الاسلامية في الشرق الاوسط والادنى يتبارون في خدمة العلم بينهم العربي والكردي والفارسي والتركي وانشئت ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة وعدد من البيمارستانات والمدارس الدينية.

وفي عهد المماليك اخذت طلائع انحطاط الاداب والعلوم تسير سيرا وئيدا ثم ازدادت زيادة كبيرة في عهد العثمانيين حتى كادت المدينة تقفر لولا اشتغال بعض البيوتات في العلوم الدينية. وبزوال الاتراك العثمانيين زال عامل الانحطاط واخذت الحكومة السورية تنشط لإحيائها فأنشأت مدرسة للحقوق واخرى للطب وغيرها للمعلمين ومدارس تجهيزية.

الفصل الثاني

دمشق - بغداد

دمشق ١٤ تموز

غادرت دمشق هذا اليوم الساعة السابعة والنصف في سيارات دبش وعكاش إلى بغداد فمررت بشارع بغداد فباب القصاع فقرية جوبر فحرستا على طريق معبد بالاسفلت حتى باب القصاع ومنه الى حرستا على طريق مظلل بالاشجار الكثيفة اهمها الجوز والزيتون والمشمش. والمسافة لهذه القرية تقدر بعشرين دقيقة بالسيارة. وبعد حرستا استقبلنا بادية الشام وطولها من دمشق الى بغداد ٨٧٠ كم بنيت فيها محطات لحكومتي سوريا والعراق. للاولى مخفرخان ابي الشامات حيث تقف السيارات وتعطى الجوازات للتأشير بالدخول الى سوريا والخروج منها ثم طنف وهي قائمة على رابية مرتفعة ومجهزة باللاسلكي. وللثانية الرطبة وقد وصلناها الساعة الخامسة بعد الظهر وهي محطة ومخفر فيها حامية عراقية وهي اشبه شيء بقلعة، فانها ساحة مربعة يحيط بها بناء من حجر قوي، القسم الشمالي منه فندق لشركة نيرن الانجليزية يجد فيه المسافرون راحة كبرى. والاقسام الاخرى تتألف منها دائرة البريد ومحطة اللاسلكي والطيران والقسم الاعظم من بادية الشام يقع في المنطقة العراقية ويقدر بثلثي المسافة والثلث الاخر في سوريا. والبادية مفازة لا ماء فيها ولا شجر ويكاد النظر لا يقع فيها على نبت اخضر سوى السراب. مكثنا في الرطبة نصف ساعة ثم توجهنا الى الرمادي وهي المحطة الثانية ومررنا

في طريقنا بأعراب الكبيسية. والرمادي مركز لواء الدليم، قرية كبيرة قائمة على نهر الفرات تكثر فيها اشجار النخيل أنشأت حكومة العراق فيها مركزا للمكوس ومخفرا للشرطة ومحطة للسيارات والطائرات كما أنشأت بها شركة نيرن مطعما. وبعد ان انهينا معاملة الجوازات والجمرك تابعنا سيرنا الى بغداد عن طريق أم الذبان بسبب فيضان نهر الفرات وفي هذا الموقع قطعنا الفرات على عبّارة. وهي جسر قائم على قاربين يسيران في النهر من ضفة الى اخرى. وقد ارتبط بهما سلك حديدي يحول دون تغيير مجراهما.

وخلا ما يحيط بالنهر من اراض مزروعة فالطريق من الرمادي الى الفلوجة لا ماء فيه ولا نبات ولا بشر. والفلوجة قرية كبيرة على نهر الفرات فيها مخفر للشرطة ومدرسة ابتدائية حكومية وليس بينها وبين بغداد سوى مزارع الملك فيصل في الحارثية، وفيها انواع شتى من الرياحين والزهور وأشجار الفاكهة والظل.

وقبيل وصولنا الفلوجة مررنا بقرية الصقلاوية ولاحظت ان نساءها موشومات الذقون. والوشم خط عمودي يبدأ من الفم ويسير الى منتهى الذقن على طرفي مبتداه نقطتا وشم، ومخزومات الانوف بأخزمة كبيرة. وتشبه هذه النساء نساء الغور في شرقي الاردن، واراضيها قلوية تشبه الاراضي الواقعة بين جسر اللنبي على نهر الاردن والبحر الميت واريحا.

بغداد – ١٥ تموز

وصلنا بغداد اليوم الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ووقفت بنا السيارة في محطة السكة الحديدية الكبرى وهي مركز للخطوط الحديدية التي تذهب جنوبا الى البصرة وشمالا الى كركوك وشرقا الى خانقين. حيث قدمنا حقائبنا الى مأمور المكوس للتفتيش ثم دخلنا المدينة على جسر مود

وحللت في فندق في شارع الميدان. وقد وجدت بادئ الأمر صعوبة في التفاهم مع خادم الفندق وغيره لاختلاف لهجة بغداد، بسبب ما دخلها من مفردات لغات الشرق الاوسط والادنى في الماضي وما اختلط بها من اللغة الانجليزية بعد الحرب الكونية. كان وصولنا بغداد في اشد فصول الصيف حرارة فلم أستطع الخروج من الفندق إلا المساء ولولا وجود المراوح الكهربائية لما استطعت الجلوس في الفندق لشدة الحر. خرجت هذا الوقت لزيارة معاون مدير الداخلية العام ووزير الاشغال وكلاهما كردي، في الاعظمية. وقد مرت بي السيارة في شارع جميل معبد بالاسفلت على يمين البلاط الملكي وفي بضع دقائق وصلت الاعظمية وفيها مرقد الامام الاعظم ابي حنيفة ولهذا دعيت بالاعظمية، وابنيتها كلها من الطوب الأحمر وعلى الطراز الحديث.

زرت صالح زكي بك معاون مدير الداخلية وعرضت عليه رغبتي في زيارة كردستان الجنوبية فسر جدا ورأى مقابلة مدير الداخلية العام ليأمر بتسهيل هذه الزيارة ثم زرت وزير الاشغال امين زكي بك حيث قدم لي كتابا له بالكردية عن تاريخ الاكراد طبعه حديثا باسم (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان).

واجتمعت في اليوم الثالث بمدير الداخلية العام عبدالله بك صانع وأخذت منه تصريحا بالتجوال في كردستان الجنوبية أو ألوية العراق الشمالية كما تحب حكومة العراق تسميتها. وغادرت بغداد في اليوم الرابع الى كركوك. ولا بد لي قبل الشروع في وصف الرحلة الى كركوك أن اصف بغداد وأبحث عن تاريخها كما فعلت بدمشق لأفي هذه المدينة التاريخية حقها.

بغداد

بلدة نهرية تمتد على طول دجلة مسافة تزيد على اربعة كيلومترات وعرضها اقل من طولها ولولا دجلة لما كان فرق بينها وبين بادية الشام التي تنتهي بها. ولا بد للزائر في بادئ الامر أن يزور جسر القوارب الموصل بين الكرخ على الضفة الغربية، والقسم الاعظم من بغداد المعروف بالرصافة، والكرخ جزء من بغداد ذو ابنية حديثة شيدت الى جانب بيوت قديمة تحيط بها بساتين النخيل شوارعها منتظمة ومعبدة بالاسفلت فيها قصر المعتمد البريطاني وتمثال الجنرال مود فاتح بغداد في الحرب العظمى. واكثر هذه الابنية الضخمة تطل على نهر دجلة او قائمة على ضفته. ومياه الشرب فيها صافية ومكررة اكثر من الرصافة. وقد خطر ببالي على هذا الجسر، البيت القائل.

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

فمكثت مدة اسير على الجسر ذهابا وجيئة تواقا لمشاهدة ما يبرر وصف قائل هذا البيت فلم اتمكن، لتحجب النساء بالعباءات.

إن معظم شوارع بغداد موازية للنهر واشهرها شارع طويل يمتد من الاعظمية في الشمال الغربي الى الكرادة والهنيدي، وهما حيان من احياء بغداد في الجنوب والجنوب الشرقي. ومعظم مخازن المدينة ودور التجارة تقع على هذا الشارع المعبد بالاسفلت. والاسواق القديمة مسقوفة على الطراز الشرقي واكثر ابنية بغداد الحديثة اوروبية الهندسة وتنتشر في الكرخ والاعظمية والكرادة. وهذا اخر حي في بغداد وبيوته شبيهة ببيوت دمشق. وكيفما سار الانسان يشاهد المنائر والقباب.

وتضم بغداد كغيرها من العواصم عناصر مختلفة وتمتاز على غيرها بكثرة اختلاف عناصرها. فالعنصر السائد هو العربي السامي والساميون غير العرب هم اليهود المهيمنون على الاسواق التجارية وعلى ثروة البلاد، ثم الكلدان والاثوريون والسريان، ويقابل هذه الفئة السامية فئة اخرى ارية تشمل الفرس ويصادفهم الزائر في حوانيتهم يبيعون السجاد والمنسوجات الفارسية والشاي واجسامهم تميل الى السمنة، والاكراد، واجسامهم كما يصفها صاحب الكتاب (من الخليج الى ارارات) الانجليزي، خير انموذج للنوع البشري فهم بهيو الطلعة بيض البشرة في الغالب قد يظنهم الانسان لأول وهلة انجلو--سكسون. وفي بغداد من الاكراد عدد عظيم يشتغلون بالتجارة ومنهم كثيرون موظفون في الجيش ودوائر الحكومة كما ان منهم قسما يحترف العتالة وهنالك عنصر اري اخر هو الهندي والهنود اما تجارا واما زوارا الى مقام (عبد القادر الجيلاني)، والارمن، والاشوريون يقطنون في مضربهم الخاص وهو جزء من الارض خارج بغداد اعطي اليهم كي يظلوا منعزلين عن السكان.

ولدى وصولي بغداد كانت المدينة مضربة إحتجاجا على ضرائب الحكومة الباهظة إلاّ أنه بعد عودة رئيس الوزراء نوري باشا السعيد من انقرة، فرق بين الشعب بأن خفض الضرائب عن الطبقة الصغيرة وابقاها على الطبقة الاخرى ومعظمها من تجار اليهود وبذلك عادت الاسواق الى نشاطها التجاري بعد اضراب يومين. وقد تمكنت اذ ذاك من زيارة الاحياء المختلفة وأول ما استرعى نظري زي النساء وهو عبارة عن عباءة وبرقع للتحجب وخزام في الانف وخلخال ذهبي أو فضي في القدم وبعبارة أخرى أن آزياء العراق العربي قديمة شأن كل شي آخر في الحياة الاجتماعية. هذا إذا استثنينا بعض نساء الطبقة الراقية وتلميذات المدارس.

أما غرف الاستقبال فهي لدى الطبقات الوسطى والدنيا بها مقاعد من

الخشب يجلس عليها الزوار وقت اشتداد الحر في الصيف. وأما الطبقات العليا فلا تختلف مفروشاتها عن مفروشات غرف الاستقبال في بلاد الشام إلا بالمراوح الكبيرة وتستعمل لتلطيف الحرارة.

ولأعطي صورة واضحة عن النظافة في الازقة اذكر انني كنت اشاهد اثناء مروري بالشارع العام كثيرا من افراد الطبقات الفقيرة مضطجعين امام الحوانيت تحت ظل سقف الطبقات العليا وأكثرهم خال من السراويل يأكلون البطيخ المعروف لديهم بالرقي بشكل غريب فيفلقونه الى شطرين ثم يجوفون كل شطر بيدهم فيأكلون اللب ويطرحون القشور الى الشارع فيمتلئ بها. أما الأزقة فهي بؤرة القذارة ولذلك تنتشر الامراض وتكثر الوفيات ولا سيما في الاطفال. ولهذا تألفت جمعية لحماية أطفال الفقراء الذين لا يستطيعون أن يقوموا بمداواة أبنائهم. واعتنت البلدية من ناحيتها فأنشأت حدائق في شارع الميدان للسيدات والرجال والاطفال كل على حدة مرتبة ترتيبا جميلا يذهب اليها الاهالي للتنزه تحت اشجارها دون مقابل، تمنيت لو أن في بلاد الاردن حدائق مثلها.

الصنائع والمنسوجات

تشتهر بغداد بحياكة المنسوجات الحريرية كالأعبنة والشراشف[١] والكوفيات والقنابيز[٢] والمنسوجات الصوفية. وقد اعتنى اهل بغداد بعد الحرب الكبرى بمعامل النسيج والحياكة وبادروا الى تأسيسها فأسس فتاح باشا احد مشاهير الاكراد معمل غزل ونسيج في جوار الكاظمية وهي المدينة المقدسة الثالثة للشيعة في العراق حيث مرقد الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد. ولهذا المقام قباب ذهبية تسطع في نور الشمس

---

١. الحبرة والملاءات.

٢. القفاطين.

وتقدر قيمة اللآلئ والحجارة الكريمة فيها بملايين الجنيهات. والاقمشة الصوفية التي يخرجها معمل فتاح باشا مشهورة في جميع انحاء العراق وللحكومة العراقية معمل اسسته وزارة الدفاع للحدادة والسراجة ولتصليح التجهيزات العسكرية والاسلحة، ومعمل اخر أسسته دائرة السجون للحياكة والنجارة والتجليد، يسد بعض حاجات الجيش والشرطة والمدارس بالبسط والأكسية والجوارب. ويستحصل على غزل السجاد الذي يصنعه، من معمل فتاح باشا. وأنشئت معامل اخرى لتقطير الكحول وحلج القطن وصنع السجائر وهنالك معامل اجنبية لتوليد الكهرباء ومحلج للقطن أسسته شركة انماء القطن البريطانية ودار صناعة في الهنيدي للجيش البريطاني.

والصياغة بوجه عام أحط من صياغة الذهب والمجوهرات في دمشق وهي بيد اليهود. وصياغة الفضة اختص بها الصابئة اتباع يوحنا المعمدان واشتهروا بها شهرة واسعة. والصابئة أو الصبة كما يعرفون هنا يؤلفون اقلية صغيرة في العراق العربي ويسكن اكثرهم في العمارة والناصرية وسوق الشيوخ والباقون يسكنون القرى في لواء المنتفك والعمارة. وتعدادهم كما جاء في جغرافية العراق العمومية لطه الهاشمي تقدر بثمانية الاف ولا يعلم عن دينهم شي واضح. والشائع أنهم من بقايا الاراميين عبدة النجوم ويقدسون النبي يحيى - يوحنا المعمدان - ويعمدون بالماء ولذلك ترى بيوتهم قريبة من الماء. ويظهر ان عبادتهم مجموعة من عبادات مختلفة ضاع اصلها وتمسك الناس ببعض احكامها من دون ان يفهموا او يعللوا اسباب وضعها. وعملهم محصور في صياغة الفضة وصنع الاسلحة الجارحة وانشاء السفن. وينقسمون الى فرق ويتبعون مشائخهم في الأمور الدينية.

نبذة عن تاريخ بغداد

يرجع تاريخ تأسيس بغداد الى سنة ١٤٥هـ او ٧٦٢م. وأول من أسسها ابو جعفر المنصور الذي اتخذها مقرا للامبراطورية الاسلامية ثم ازداد عمرانها واتسعت، ووصلت أوج عظمتها في زمن الخليفة هارون الرشيد ثم اخذت تنحط بعد ان اتخذ المعتصم (سامرا) مركزا للجند التركي. وفي عام ١٢٥٨م او ٦٥٦هـ دخل التتر بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم في ٢٠ المحرم من تلك السنة واقتسموها فأخذ كل قائد ناحية وبقي السيف يعمل ٣٤يوما ونهبت دار الخلافة والبلدة، ثم احرقت كما احرقت دمشق وانقرضت الخلافة في بغداد بقتل المستعصم.

وبقيت بغداد في ايدي التتر احفاد هولاكو الذي دخل بغداد، الى سنة ٧٩٥هـ او آب[1] سنة ١٣٩٣م. حيث قدم تيمورلنك وانتزعها من احمد ابن اويس الجلايري الذي هرب الى مصر واستجار بالسلطان برقوق واستصرخه على طلب ملكه، وكان ذلك في ربيع سنة ٧٩٦هـ وقد كان دخول تيمورلنك بغداد يوم عيد الاضحى فاصدر امرا الى جنده طالبا من كل واحد رأسين من رؤس اهل بغداد فجمعت وابتنى منها منائر واستصفى ذخائر السلطان احمد وصادر اغنياء اهل بغداد وفقراءها فاقفرت المدينة. وفي سنة ٨٠٦هـ عدا قره يوسف حاكم اذربيجان على السلطان احمد بن اويس وانتزع منه بغداد فرحل الى حلب ثم عاود تيمور هجومه عليها واستولى عليها وفر قره يوسف الى الشام. وظلت بغداد في ايدي تيمور وحفيده خليل بن امير شاه ثم سقطت في ايدي المتغلبين من التركمان القره قويونلي ودامت بأيديهم من سنة ١٤١٠م.-١٥٠٨م. وفي الدور

---

١. اغسطس

الاخير انتقلت من حكومة القره قويونلي هذه الى ملوك فارس الصفويين واصبحت مركزا لولايتهم حتى سنة ١٥٢٣م.

وفي هذه السنة استولى على بغداد ذو الفقار خان الامير الكردي بمساعدة قبائل (كلهر) الكردية فاستقل بها وجعل الخطبة باسم سلاطين آل عثمان السنيين وضرب النقود بإسمهم وقد دام حكمه بها ست سنوات الى ان حاصرها الشاه (طهماسب) واستولى عليها بالاتفاق مع اخوى ذي الفقار اللذين خاناه. وفي سنة ١٥٣٤م. دخل السلطان سليمان القانوني بغداد بعد ان انتصر على الجيش الايراني وكان دخوله المدينة برغبة من اهلها الذين طردوا حاكم الشاه (طهماسب) وقد مكث فيها السلطان اربعة اشهر يوطد امورها ثم قفل راجعا الى الاستانة عن طريق الموصل. ثم عادت فسقطت بيد الشاه عباس الايراني وبقيت حتى استرجعها السلطان مراد الرابع العثماني سنة ١٦٣٨م. وبقيت بأيديهم الى ان دخلتها الجيوش البريطانية بقيادة الجنرال مود في ١١ اذار سنة ١٩١٧م. ولهذا الجنرال اليوم في الكرخ تمثال اقيم تخليدا لذكرى فتحه عاصمة العباسيين. وفي سنة ١٩١٠م ثار العراق العربي على البريطانيين وحدثت مناوشات ومعارك بين الثوار والجند البريطاني انتهت بقبول حكومة بريطانيا مطالب الثوار وتنحصر في تشكيل حكومة وطنية مؤقتة. وفي سنة ١٩٢١م، استفتى البريطانيون اهل البلاد في الامير الذي يتملكهم فاتفقوا على بيعة الامير (فيصل) نجل الملك حسين وانتخبوه ملكا على العراق الذي اصبح يتألف الان من العراق العربي وكردستان الجنوبية فتبوأ جلالته العرش العراقي في ٢١ اغسطس سنة ١٩٢١م. وسيأتي ذكر بغداد بعد السلطان سليمان القانوني مفصلا عند ذكر مقاطعات كردستان الجنوبية وموقف امرائها من الترك والفرس.

الفصل الثالث

بغداد - السليمانية

بغداد ١٩ تموز

سافرت اليوم الى كركوك بعد أن أنجزت اعمالي الضرورية وتزودت بكتب توصية الى زعماء كردستان الجنوبية من صالح زكي بك وكان سفري لسوء الحظ مساءً فاضطررت ان ابقى يقظا ما امكن، كي لا افقد مناظر الاماكن التي امر بها.

تحرك بنا القطار عند الغروب ويرفقتي جماعة من تركمان كركوك وكفري وبعض الاشوريين فكان سيره في بادئ الامر بين نهري ديالة او السيروان كما يسميه الاكراد، ودجلة فجئنا في الميل الثالث عشر الى محطة كاسلي بوست ثم قطعنا ديالة في الميل السادس والعشرين في محطة بعقوبة على جسر السكة الحديدية فعرج بنا القطار بعد ذلك الى ضفة ديالة اليسرى مارا بشهربان وهي احدى نواحي لواء ديالة ومنها دخل بنا الى جبل حمرين وهو عبارة عن رواب رملية تفصل بين العراق العربي وكردستان الجنوبية ويبدأ من شرقي مندلي ويمر بجنوب قزل رباط وشمال دلي عباس ويمتد نحو الشمال الغربي ويقطع نهر دجلة ثم يتصل بجبل المكحول الذي يفرق وادي دجلة عن وادي الثرثار.

وفي الميل السادس والثمانين وصلنا قزلرباط وهي المحطة التاسعة، واحدى نواحي قضاء خانقين التابع للواء ديالة. ومن هنا يتشعب طريق خانقين – كرمانشاه اما طريقنا فيعود متجها نحو ديالة ويجتازه في

محطة قرهغان ويسير بعدئذ مارا بمحطة كنكربان وعدة مراكز اشتهرت بأملاحها وبترولها اهمها كفري وتوزخورماتو وداووق وتازه، مما اوجب بناء جسور وقناطر فوقها تسهيلا لسير القاطرات الحديدية ويبلغ طول الطريق من بغداد الى كركوك ٢٢٠ ميلا يسير منها القطار ١١٠ اميال متجها شمالا شرقيا الى جسر قرهغان ثم يبدل اتجاهه نحو الشمال الغربي الى ان يصل كركوك. ويتألف القسم الجنوبي لهذا الطريق من بعض اقضية لواء ديالة، وهذا اللواء من اشهر الوية العراق تتبعه اربعة اقضية وعدة نواحي، نذكرها حسب الترتيب الاتي:

	القضاء	الناحية
	شهربان	شهربان – مهروت – بلد روز
لواء ديالة	دلتاوه	دلي عباس – خان ابن سعد
	خانقين	قزلرباط – هورين – شيخان – قراتو
	مندلي	قزانية

الري والزراعة في ديالة

في العراق مشاريع عمرانية عدة منها الري وهذا اذا تم في منطقة ديالة فستستثمر اراض تبلغ مساحتها مليوني فدان انجليزي في الاراضي الممتدة مابين جبل حمرين ولواء الكوت، منها ٥٠٠ الف فدان للقطن ومثلها للقمح ومثلها للشعير والبقية للخضار. وهذا المشروع لا يحتاج الا الى سد نهر ديالة بملتقاه برافد نهر نارين الذي يمر بقصبة كفري. ويجود الارز في قضاءي خانقين وشهربان وعلى الاخص في جوار خانقين ومندلي.

وتعتبر منطقة ديالة من اشهر مناطق العراق ببساتينها وفواكهها ففيها البرتقال والعنب والرمان والليمون الحلو والحامض وفيها تزرع الحنطة والشعير في الشتاء والقطن والارز والتبغ في الصيف. وسكان ديالة مهروا في زراعة القطن اكثر من غيرهم. وفضلا عن ثروة هذه المنطقة الزراعية

في هذه الناحية فان فيها البترول الكائن في نقطة تعرف بالنفتخانة بين خانقين ومندلي على الحدود بالقرب من (نفت دره). وقد اتبعت هذه البقعة من ايران الى الاملاك العثمانية سنة ١٩١٣م. عند تحديد الحدود بين الدولتين. واعطى امتياز استغلال البترول فيها الى شركة نفط خانقين الملحقة بشركة النفط الانجليزية الفارسية. وقد أنشأت الشركة المذكورة مصفى للبترول على ضفة نهر الوند الجنوبية على بعد اربعة اميال من خانقين. وتمتد من المصفى ثلاثة انابيب الى بداية السكة الحديدية لشحن النفط المستخرج وبيعه في اسواق العراق. ثم تمتد انابيب البترول عبر الصحراء حتى ميناء حيفا على شاطئ البحر الابيض.

الاكراد في لواء ديالة

يعتبر لواء ديالة من الالوية الكردية التابعة لولاية بغداد والاكراد فيه اكثرية قاهرة في ثلاثة اقضية هي. خانقين وشهربان ومندلي. وفي خانقين تقطن احدى وعشرون قبيلة كردية ما بين كبيرة وصغيرة يبلغ عدد افرادها ٦١ الفا على وجه التقدير والتخمين وذلك كما جاء في كتاب (الكرد وكردستان) المار ذكره، منهم قبيلتا (زركوش zergush ودلو deloo) في ناحية قزلرباط (جلولا القديمة) والباقون في نواحي (هورين) و (شيخان) و (قراتو) وفي قضاء مندلي تقطن عشيرة (قره الوس) وبعض قبائل (اللور) في ناحية قزانية ويكثر الاكراد (اللور) في لواء الكوت جنوب لواء ديالة في قضاء بدره ونواحيه المشهور كزرباطية ويكسايا ويبلغ عدد الاكراد في لوائي ديالة والكوت ٤٠ الف نسمة على الاقل وفي لواء بغداد ١٣ الفا يقطن الكثيرون منهم داخل مدينة بغداد.

تقع هذه الاقضية كلها في القسم الجنوبي من طريق بغداد – كركوك. اما الشمالي فيتألف من قضاء كفري التابع للواء كركوك ويمر على ثلاث نواح من نواحيه الخمس وهي – قره تبه – كفري – وتوزخورماتو. واشتهر سهل

كفري بحنطته التي تزرع عذيا، والبترول الذي في نفط داغ جنوب شرق توزخورماتو وجنوب غربي كفري وحمرين وفي غربي قره تبه. والملح في توزخورماتو وكوم في قضاء كيل التابع ايضا للواء كركوك، والفحم الحجري في جوار كفري وقد استفاد منه الاتراك اثناء الحرب العامة.

واشهر العشائر في قضائي كفري وكيل ثلاث: الداوده وبيات والزنكنة الاولى عشيرة كردية مستقرة تقطن ما بين كفري وكيل وتعيش على الزراعة والمرعى وتشتهر بجودة حنطتها ويبلغ عدد المسلحين فيها كما جاء في كتاب مفصل جغرافية العراق لطه الهاشمي ثلاثة آلاف وعدد بيوتها زهاء الف بيت والثانية اي قبيلة بيات تلحق نسبها بجد تركماني هاجر من خراسان ولما جاءت الى العراق تزاوجت مع العرب ويعتقد افرادها ان ٦٥٪ دمهم تركي والباقي عربي ولا يزال الاختلاط جاريا بينهم وبين العرب الى اليوم بكثرة مما يكاد يمحو كل اثر للنعرات القومية[١]

١. تقرير لجنة عصبة الأمم في قضية الموصل لسنة ١٩٢٥ وجاء في الكرد وكردستان جزء(٢) جلد (١) اسماء قبائل اخرى تقيم في لواء كركوك يحسن بنا ذكرها واليك جدولا.

اسم القبيلة	عدد بيوتها	مقامها
ليلاني	٥٠٠	في نواحي ليلان
طالباني	١٠٥٠	فريق منهم في قضاء كفري بين شيروان وكفري وفريق في خانقين
صالحي	٢٠٠	بين كركوك وقره حسن وكيل
شيخ بزيني	٦٠٠	على الشاطئ الجنوبي من الزاب الصغير
كاكي	١٥٠٠	بين حويجة والزاب الصغير
بيباني	٤٠٠	شمالي كركوك في قرية خويانا

راجع الملحق الموجود بكتاب سيرماركسيكس عن القبائل الكردية الموجودة في تركيا القديمة ص ٥٥٣ – ٥٨٨.

وتتكلم القبيلة باللغتين التركية والعربية بيد ان هنالك كثيرين منهم لا يفهمون الا لغة واحدة إما التركية أو العربية. وقد اعتبرتهم لجنة الحدود بين العراق وتركيا عام ١٩٢٥ اتراكا في حين ان طه الهاشمي يعتبرهم عربا، وتسكن هذه القبيلة في قضاء كفري ايضاً والثالثة اعني الزنكنة عشيرة كردية تقطن في ناحية كيل التابعة لقضاء كيل ويبلغ عدد بيوتها (٣٠٠) بيتا وهذا القضاء بأجمعه لا يسكنه إلاّ الاكراد فقط.

كركوك ٢٠ تموز

وصلت اليوم الساعة العاشرة صباحا محطة كركوك فاستأجرت عربة اقلتني الى المدينة وتبعد نصف ساعة عن المحطة وذهبت توا الى فندق بالشارع العام ولم يكن الحر شديدا كما في بغداد وفي المساء خرجت للنزهة في حديقة عمومية تقابل الفندق قسم منها للرجال وقسم للنساء. اجتمعت هناك بصديق كردي كنت تعرفت به في بيروت وسرت واياه الى النادي العسكري حيث عرفني بإثنين من اخواننا الاكراد أحدهما زميله في الجيش والآخر موظف في مالية بغداد وقد فهمت منهم ان الحركة التجارية تكاد اليوم ان تكون مشلولة بعد ان كانت قبل بضعة اعوام في شدّتها مما دعا الكثيرين من الهنود وغيرهم من الاجانب ان يفدوا اليها للكسب والعمل. وكركوك بلدة قائمة في وسط سهل اشتهر بجودة حنطته ويمر بالقرب منها نهير تجف مياهه نصف العام. وتحيط بها الهضاب من جهاتها الثلاث وتنفرج في الجهة الشرقية وقد جعلتها السكة الحديدية من مدن الشرق التجارية الكبرى لوقوعها على خط تجاري يصل بين كردستان وبغداد وايران وستزداد اهميتها حينما تتّصل بموانئ البحر الابيض المتوسط حيث ينقل بترولها الى طرابلس الشام في سوريا وحيفا في فلسطين.

وإن كانت كركوك إحدى مدن كردستان الجنوبية فسكانها خليط من

عناصر الشرق الادنى والاوسط شأنها في ذلك شأن المدن التجارية الكبرى حيث يتوافد الناس اليها للكسب والارتزاق ففيها الكردي والتركي والعربي والارمني والسرياني واليهودي. واللغات التي يتكلم بها السكان عموما الكردية والتركية والعربية. والاتراك او التركمان معظمهم من بقايا جيش المعتصم ويكثرون في المدينة ولهجتهم التركية اقرب الى التركية الاذرية منها الى التركية العثمانية. ويقطن العرب الجهات الجنوبية والغربية اي الجهات القريبة من البادية على ضفة دجلة اليمنى بين سامرا وكركوك واكثرهم من قبيلة العبيد – احد افخاذ زبيد – ويقطن الاكراد المدينة والاراضي الشرقية منها.

ويبلغ سكان كركوك ١٥ الف نسمة تقريبا واليهود فيها هم المسيطرون على التجارة وهم هنا جزء من اليهود الذين يعيشون في كردستان الجنوبية والشرقية وهم احفاد اليهود الذين ساقهم نبوخذ نصر أسرى الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد ويتكلمون العبرانية القديمة في جميع انحاء كردستان ويحترفون تجارة الاقمشة الصوفية والحريرية وقد كانوا ولا يزالون واسطة نقل اصواف كردستان إلى مانتشستر حيث تطلب بكثرة. وكركوك سوق للخيل الكردية حيث تصدر منها إلى الهند وقد اقامت شركة النفط معامل ضخمة في بابا كركر لاستخراج البترول وتصفيته وستمتد انابيب منها، لتصبه في مينائي طرابلس وحيفا. (وقد انتهى مدها سنة ١٩٣٤م).

وتكثر الملاريا في المدينة ولوائها الجنوبي، وقد استندت في معلوماتي على ما اخذه الفريق طه الهاشمي عن تقرير الدكتور وليم كورنر الذي وضعه سنة ١٩٢٣م عن انتشار الملاريا في لواء كركوك وذلك نتيجة فحص دقيق. وقد وجد ان عدد المصابين بهذا المرض يبلغ زهاء ٥٣٪ في اللواء و ٥٥٪ في المدينة والاماكن التي تكثر فيها الاصابات هي التي تكثر

فيها المزارع والمياه المتراكمة، ففي ناحية قره تبه يبلغ عدد الاصابات ٩،٣٢٪ و ٥،٦٧٪ في ناحية كفري. ويبدأ موسم الملاريا في شهر حزيران وينتهي في نصف آب.

السليمانية ٢٢ تموز

غادرت اليوم كركوك الى السليمانية في سيارة سارت بنا بضعة اميال في اراض قليلة الارتفاع ثم بدأت تصعد وتهبط ملتفة، التفاف الافعى بين تلال وجبال جرداء مالبثت ان اجتازت قرى كردية تظللها الاشجار وتمر بجانبها السيول والسواقي، ظهرت في ابرز مكان من كل منها (جاي خانه)[1] وبعدها جئنا الى جمجمال وهي اخر نواحي كركوك معظمها قائم على تل يطل على ما يجاورها من السهول والهضاب ويقال بوجود النفط فيها. وفي فترة الاستراحة سمعت شخصا ينادي امام حانوته (خوش كباب) فذهبت اليه واكلت من كبابه الشهي،وشربت من لبنه المثلوج. والكباب هنا منبسط بخلاف كباب الشام الاسطواني. واصلنا السير بعد الاستراحة ومررنا على مضيق (بازيان) وهو واد ضيق يقع في منتصف اراضي عشيرة الهماوند، وافر المياه والمراعي ابقاره واغنامه سمينة معلوفة. والابقار كثيرة الشبه بالابقار الانجليزية المعروفة بالكورنيشي يتراوح عرض هذا المضيق بين الميلين والثلاثة ويقع بين جبلي (زرغاته وجرجه) ويرتفع عند السهل مقدار الف قدم. ولما يتجه الطريق نحو السليمانية تعترضه سلسلة جبال طويلة تمتد من الشرق الى الغرب تقف سدا منيعا طبيعيا لولا وجود هذا المنفذ الذي تمر منه سيارتنا في بازيان ومنفذ اخر في (ساكرما). وفي هذا المضيق حدثت معارك شديدة بين الجند العراقي والطيارات البريطانية من جهة والاكراد تحت زعامة الشيخ محمود البرزنجي من جهة اخرى، كانت نتيجتها أسر الشيخ محمود.

---

١. مشرب الشاي

وتقيم حول بازيان قبيلة الهماوند Hemewend[1] وتشتهر بشجاعتها واقدامها ونظافة هندامها. جاءت قديما من كردستان الشرقية حيث كانت منازلها، قرب (قصر شيرين) وأسباب نزوحها تعزى الى انها كانت تقلق راحة السلطة الايرانية التي عمدت الى منح زعيمها (جوان ميرخان)حراسة الحدود بعد أن يئست من قهرها وإخضاعها فقبل جوان هذه الوظيفة وضاعف غزواته وزاد في إقلاق راحة الحكومة التي لم تصبر على اذاه فأخذت تعمل بكل الوسائل لإلقاء القبض عليه فتمكنت اخيرا من ذلك ونفته فخلفه ابنه (محمد بك) وادعى إذ ذاك العثمانيون بعثمانية هذه العشيرة فتنازلت لهم ايران عنها بكل طيبة خاطر تخلصا من اذاها وطلبت اليهم ترحيلها فورا الى اراضيها فكان ذلك، ومنحتهم الحكومة العثمانية اراضي (قره داغ) التي يقيمون فيها اليوم وعادوا الى طبيعتهم الاولى من الغزو والاغارة على القوافل والمدن. وقد اغاروا سنة ١٨٧٤ على المقاطعات في الجنوب منهم، واستولوا على عدة اماكن الى ان وصلوا مندلي وحاصروها فتمكن الجند العثماني بالاشتراك مع القبائل الكردية في تلك الانحاء من الضرب على ايدي افرادها واجبارهم على الجلاء عن تلك الاماكن فتراجعوا وانشطرت منهم فرقة اتجهت شمالا الى كردستان الشمالية فوصلت الى قرية ارمينيا على حدود بايزيد وعادوا منها مزودين بالغنائم الكثيرة.

ويعد خمسة اعوام هاجموا السليمانية ولم يرجعوا عنها الا بعد قدوم كتيبة من الجند. وتمكنت الدولة التركية بعد ذلك بقليل، من القاء القبض على عدد من زعمائهم خدعة ونفتهم الى طرابلس الغرب فلم يمكثوا فيها

---

١. وتقيم كذلك قبيلة شوان في هذه النواحي كما تقيم قبيلة جباري بين جمجمال وكركوك. ويبلغ عدد نفوس الاولى كما يقدره الميجرسون (١٥٠٠٠) نسمة والثانية (٥٠٠) بيتا.

طويلا حتى عادوا الى اوطانهم هربا، بعد ان قضوا ستة اشهر في الطريق قاوموا فيها كل الصعوبات والعراقيل التي وضعتها الحكومة العثمانية أمامهم. ولا يزال الهماوند الى اليوم يفاخرون بعودتهم الى الوطن رغم عداوة القبائل العربية وتعقيب الجنود التركية لإلقاء القبض عليهم. وحوالي سنة ١٩٠٠م أغار الهماوند بتحريض من شيوخ السليمانية وقره داغ على قافلة كبيرة من حجاج ايران قرب كركوك وقتلوا منهم ٢٠٠ وبذلك قضوا على مدخول كبير كانت تستفيد منه مدن رواندوز والسليمانية وكوي سنجق من حجاج ايران وهم ذاهبون الى بغداد بطريق ساوج بولاق احدى مدن كردستان الشرقية.

وفي عام ١٩٠٨م ثار الهماوند واستمرت ثورتهم عامين وبين خريف تلك السنة وصيف سنة ١٩٠٩ سطوا على حاكم السليمانية وسلبوه ثم قطعوا طرق المواصلات وهاجموا طابورا تركيا وقتلوا منه ١٢ شخصا بينهم قائد وعدة ضباط وجرحوا نحو ٤٥ شخصا واستولوا على جميع ما معهم من عتاد واسلحة وحيوانات وتركوا البقية على بعد ٣٦ ميلا عن السليمانية يمشون اليها على الاقدام. ومنذ ذلك الحين تسلح الهماوند جميعا ببنادق الموزر وهددوا السليمانية عدة مرات. وفي صيف سنة ١٩٠٩م كانت الجيوش العثمانية تتجمع في جمجمال فوصلت الانباء الى الهماوند وعلموا ان القائد لم يصل بعد فانتهزوا فرصة غيابه وتقدموا الى مخيم الجيش ليلا لعلمهم ان الجيش لن يتحرك قبل وصول قائده فعطلوا موارد المياه واخذوا خيام الحرس وعادوا من حيث اتوا قبل ان يلحقهم احد. وعلى اثر ذلك دعي حاكما السليمانية وكركوك الى جمجمال ليشكلا محكمة تحاكم الهماوند، غير أن شيوخ السليمانية رشوهما وبعض ضباط جمجمال، فلم يحضروا وعذرهم في ذلك عدم وجود خيل وبغال تنقلهم الى جمجمال وبذلك بقي الهماوند في مراكزهم يسلبون القوافل ويغيرون على

الجنود ويقطعون اعمدة البرق والتلفون ويحرقونها. ولم يتمكن حاكم السليمانية من ان يصل الى جمجمال بعدئذ الا بخفارة ٣٠٠ جندي من شجعان الاتراك اصطدموا قبل وصولهم، بالهماوند وتركوا خلفهم عدة قتلى. ولم تكن قوة الهماوند تزيد على٢٥٠ فارساً مما دعاهم ان ينقسموا الى جماعات صغيرة محاربة. والقوة التي قابلت فرسان الاتراك الشجعان لم تزد على الثلاثين.

ولما طال الأمر بثورة الهماوند هاج تجار بغداد والموصل واحتجوا الى الحكومة المركزية فأرسلت هذه امرا الى قائد بغداد ليقوم بتأديب الهماوند وضربهم ضربة قاضية. وقد اوصلت عيون القبيلة الخبر الى زعمائها فارتحلوا الى الحدود الايرانية وأقاموا على ضفاف السيروان في حمى قبيلة الشرفبياني فلما وصل القائد الى جمجمال ولم يجد احدا صدرت اليه أوامر مشددة بتعقب الهماوند ومهاجمة الايرانيين اذا حموا ولو طفلا من اطفالهم. فتقدمت الجيوش التركية اولا الى منطقة الهماوند فلم تجد فيها سوى الاعشاب فأحرقها وأضرمت النار في بعض بيوتهم واقامت شهرين في منطقتهم للتثبت من عدم وجودهم.

وقد القت القبض في غضون ذلك على بعض ضعفاء الاكراد بحجة انهم هماوند. وبعد ستة اشهر هاجموا الهماوند ولم يفوزوا منهم بطائل، فكروا راجعين تاركين المجال لهم يعبثون بالامن كيف وأنى شاءوا. ولم تكن حركات الهماوند العدائية نحو دولة الترك هي الوحيدة في كردستان فالقبائل الكردية كانت تثور لأتفه الأسباب على السلطة وتزعجها حتى اصبحت الحركات الثورية وروح التمرد بين القبائل ديدنا لها. وهذا دليل على عدم رضاء الكرد بسلطة الترك وقبول اي سلطة خلا سلطة أمرائهم. يقيم الهماوند الان في قضاء جمجمال في جبال (توكمه وتاسلوجه وقره حسن) على ضفاف (داقوق صو) وقبيلتهم شبه رحالة وتنقسم الى تسع

فرق، الخمسة الاول هم الهماوند الاصليون ويبلغ عدد بيوتهم زهاء ١٢٠٠ بيتا واليك اسماءها مع اسماء رؤسائها كما اخذتها من صالح زكي بك

بكزاده	محمد امين اغا
صفره وند	فتاح حاجي رضا
رمه وند	امين رشيد اغا
رشه وند	كاك عبدالله افندي
سيته بسر	.....................[١]

بتنا مدة في مخفر بازيان وعلى ذكر المخافر اقول ان الحكومة العراقية عمدت الى اقامة مخافر بشكل قلاع في المواقع الحصينة على طول طريق كركوك – السليمانية لتستطيع بها مقاومة حركات الاكراد الثورية التي كثرت، بعد ضم كردستان الجنوبية الى العراق العربي. وهذه الثورات تختلف عن ثورات الهماوند بنظامها وهدفها فهي تضم قبائل عديدة تحارب تحت لواء واحد، تجمعها وحدة الوطن لا القبيلة وتنزع الى تحرير بلادها.

انطلقت بنا السيارة في سهل بازيان المشهور بحنطته ثم جئنا الى مضيق تاسلوجه فاجتزناه واشرفنا على واد يجري فيه نهير (قلياسان) أحد روافد تانجارو فاجتزناه كذلك على جسر ودخلنا سهل سرجنار ومنه اطلت علينا مدينة السليمانية فدخلناها في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز.

السليمانية

بلدة قائمة على سفح سلسلة جبال مارمير وتبعد عن كركوك ٧٢ ميلا

---

١. والاربع الباقية، القرويون الاصليون الذين انضموا الى الهماوند وتبعوهم بعد ان اقام هؤلاء في منطقتهم، ويبلغ عدد بيوتهم زهاء ٥٠٠ بيتا واليك اسماءها (١) كافروشي (٢) جنكني (٣) ببرياتي (٤) صونيه وند.

وعن الحدود الايرانية (كردستان الشرقية) ٦٠ ميلا أبتنيت عام ١٧٧١م. على عهد سليمان باشا والي بغداد وسميت باسمه. والاكراد يدعونها (سليماني) لا سليمانية وسيأتي ذكرها مفصلا عند البحث عن تاريخ البابان وشهرزور وسأكتفي الان بوصفها كما شاهدتها.

ليست السليمانية بالمدينة الكبيرة فهي خالية من الابنية الفخمة اذا استثنينا سراي الحكومة القائمة على انقاض سراي البابان القديمة وبعض بيوت الاثرياء. على ان سكانها يبدون نشاطا كبيرا لإنشاء بيوتهم على الطراز الحديث وبيوتها اليوم ذات طابق واحد شيدت من الآجر المشوي واللبن يغلب في هندستها الفن الفارسي ويشاهد الزائر أكثر البيوت ضمن ساحات كبيرة مسورة غرست فيها بضعة اشجار تستظلها النساء عند جلوسهن للحديث والسمر وتعتبر السليمانية مركزا للثقافة الكردية في كردستان الجنوبية. فيها مدرسة ثانوية متوسطة ذات ثمانية فصول واخرى ابتدائية للذكور وثالثة ابتدائية للاناث ذات ست فصول والتدريس فيها كما في بقية مدن كردستان الجنوبية باللغة الكردية وتدرس العربية والانجليزية كلغات فقط. وهناك غير هذه المدارس معهد علمي أسسه شباب الاكراد ليقوم بتدريس الأميين، والعناية باللغة الكردية، اسمه (زانستي). وقد كانت هذه المدارس عاملا قويا في ايقاظ الحركة الفكرية والروح القومية.

ذهبت الى زانستي برفقة بعض الاساتذة واجتمعت بطائفة من الشباب المثقف وبحثت معهم عن الاحرف التي ينبغي ان يتخذها الاكراد نهائيا في تدوين لغتهم فكان جوابهم بلا استثناء الاحرف اللاتينية، وبعد ربع ساعة قرع الجرس ودخل التلاميذ الى صفوفهم صبية وشبانا والسليمانيون شديدوا الاعجاب ببلدتهم سريعون الى إصلاحها وترميمها سيما اذا كان الخراب ناشئا عن عدو مدمر. وقد كانت الطائرات البريطانية تلقي قنابلها على البلدة أثناء الثورات الكردية التي قام بها الشيخ محمود

على الحكومة العراقية وكانت بعض البيوت لا تزال متهدمة بعد ثورة سنة ١٩٣٠م. وحين عودتي من زانستي مررت بشارع شاهدت فيه رجلا يرمم بيتا له كانت الطائرات البريطانية قد هدمت قسما منه فوقفت وبعض الرفاق نرقب نشاطه في الترميم وسأله أحدنا عن داعي سرعته في الترميم فأجاب (أخشى أن تعود الطائرات فتجد بيتا متهدما فتلقي قنابلها على غيره فيزداد الضرر فلتهدم ما شاءت الطائرات هذا البيت فسأبنيه ما دمت حيا ويبنيه ابني بعدي. لتهدم إذن بيت الذل هذا وتعلمنا كيف نبني بيتا نعيش فيه أعزاء).

والسليمانية مركز كبير للتبغ ولواؤها يصدر الى العراق العربي خمسة أسداس محصول التبغ في حكومة العراق وتشتهر ايضا بالمن اللذيذ ويسمونه كزو gezu وبصناعة النحاس والاسلحة الجارحة كالخناجر والبنادق وقد مهر السكان بصنع هذه البنادق حتى أصبحت شديدة الشبه ببندقية (مارتين) وبندقية (بردان) الروسية. وبرعوا كذلك في صنع الاسرجة والمصنوعات الجلدية.

تنحصر تجارة البلدة مع بغداد إذا استثنينا تجارتها الخفيفة مع بلاد الاكراد في ايران وتعتبر هي وكفري وكركوك ثلاث مراكز لتجارة ألوية القسم الجنوبي من كردستان الجنوبية التي ترتبط تجارتها مباشرة مع بغداد.

عدنا من السوق بعد أن درسنا الحالة التجارية وذهبنا توا إلى المدرسة الثانوية واجتمعنا بمديرها فأخذنا الى الصفوف وكانت خالية من الطلاب بسبب العطلة الصيفية وأعلمني أن اللغة العربية تدرس من الصف الاول واللغة الانجليزية من الصف الخامس كما هي الحال في بقية مدارس العراق. زرنا بعد المدرسة منزل الشيخ محمود وقد كان سجينا في بغداد بسبب ثورة سنة ١٩٣٠ فاجتمعنا بابنه (بابا علي) وهو شاب في الثامنة

عشرة من عمره أبيض البشرة، باحثته باللغة الانجليزية لجهلي اللغة الكردية انئذ، وأفهمني أنه يتلقى تحصيله في كلية فكتوريا بمدينة الاسكندرية. وقد اكتسب بابا علي محبة اهل السليمانية وتعتمد عليه نخبة الشبيبة وتنظر اليه نظر المنقذ والمحرر.

وفي الساعة السادسة ذهبت لزيارة متصرف البلدة احمد توفيق بك في منزله وتناولت الطعام على مائدته مع بعض زعماء البشدر وتمكنت من استقاء بعض المعلومات التاريخية عن قبيلة البشدر وتاريخ حياة سعادته وهذا ما قصه علي بالحرف:

ولدت عام ١٣١٤رومي ودرست في المدرسة الرشدية العسكرية والاعدادية الملكية في السليمانية وتخرجت من الاعدادية عام ١٣٣٠ رومي وطدت العزم على إتمام التحصيل العالي في اسطنبول فحالت الحرب العامة التي فاجأتنا بعد شهرين، دون تنفيذ رغبتي. أضف الى ذلك ذهاب والدي لمقاومة الروس في اذربيجان مع عشائر البشدر وبكزادات (أعيان) بانه وساقز (بلدتان في كردستان الشرقية) اشتبك والدي مع الروس في مدينتي خوي وسلماس، ثم عادوا ومن معه بناء على طلب القائد العام التركي عمر ناجي بك، فطلب اليه أن يؤلف جيشا مجاهدا من الاكراد فذهب الى قبائل البشدر وبانه ومنكور ومكث بينهم ثلاثة اشهر استطاع خلالها من تنفيذ ما عهد اليه وسار بهم مرة اخرى الى اذربيجان واشتبك مع الروس مستقلا عن الجيش التركي النظامي في ناجيت واوج تبه التابعتين الى صاوج بولاق فاستشهد عن عمر يناهز الستة والاربعين سنة في اوائل سنة ١٣٣٢ رومي مع بعض رؤساء البشدر ولست اعلم بالضبط موضع دفنهم أهو في ناجيت ام في اوج تبه. ووالدي هو ابن عم سعيد باشا الكردي وزير خارجية الدولة العثمانية ورئيس شورى حكومتها فيما بعد.

ولدى احتلال الانجليز مدينة كركوك للمرة الاولى اسندت الحكومة

التركية الى ادارة السليمانية نيابة عن متصرفها التركي (على أن لا اكون مسؤولا) فشغلت الوظيفة بالوكالة الى أن استرد الاتراك كركوك وعاد المتصرف التركي الى مقر وظيفته وقبل تسلمي وكالة المتصرفية اتفقت مع الشيخ محمود البرزنجي على مخابرة القائد البريطاني بجعل ادارة البلاد الكردية بيد الوطنيين تحت اشراف الانجليز فتم الامر اثناء وكالتي. وقد تسربت الانباء الى الحكومة التركية فألقت القبض على الشيخ محمود وسجنته ثم القت القبض علي بعد عشرة ايام فجاء زعماء القبائل المنتمية الي بروابط النسب والقرابة كالبشدر والسنجابي والقبادي والباواجاني، وابرقوا الى الحكومة التركية ينبئونها أنهم جاؤوا تلبية لطلبي اياهم لخدمة الدولة فاطلقت الحكومة سراحه فورا.

ولما احتل الانجليز السليمانية انيطت ادارة البلاد بالشيخ محمود الذي أخل فيما بعد بالشروط التي اتفقنا عليها فاعتزلت السياسة. وفي عامي ١٩٢٥و ١٩٢٦، واوائل سنة ١٩٢٧م كنت متصرفا على السليمانية ثم استقلت بطلب الحكومة العراقية لاشتباهها باخلاصي، بيد انها عادت فعينتني سنة ١٩٣٠م. وفي ٦ ايلول من تلك السنة تظاهر الشعب لمقاطعة الانتخابات العراقية وطيروا برقيات الى عصبة الامم ووقعت مصادمات بين الجند والاهالي فبذلت جهدي لتسكين الحالة السياسية وتخفيفها واطلقت سراح مسجوني مظاهرات ٦ ايلول على مسؤوليتي. هذا ما أريد أن أقوله عن تاريخ حياتي. والان اروي اليك ما اعرفه عن تاريخ البشدر. تقسم هذه القبيلة الى قسمين اجتماعيين الزعماء والعوام ويدعوا الزعماء انفسهم (مير اودال) نسبة الى الرجل الذي ينسبون اليه ولهم سلطة ارستقراطية واسعة. والمعروف ان احمد الفقيه جدهم الاعلى ترك ثلاثة اولاد مير آودال ويبه سليمان الذي ينتسب اليه البابان وثالث ينتسب اليه اغوات (زعماء) الدبوكري والسرداربوكان. وكان نفوذ اغوات البشدر قبل ستة اعوام يسود

عشرين الف نسمة ثم تقلص بسبب انتشار نفوذ دولتي ايران والعراق وانحصر في القبيلة الاساسية، وعدد بيوتها كما ورد في مفصل جغرافية العراق يبلغ ٢٠٠٠ بيت.

وتقسم منطقتهم اليوم الى ثلاث نواح (١) مركه (٢) بشدر (٣) ماوت. يدير الناحيتين الاوليين مديران من البشدر ويدير الثالثة مدير من اهل السليمانية يرتبط بقضاء شهر بازار. وتمضي القبيلة شتاءها في قراها والصيف في باجار داخل قضاء سردشت وكان نفوذهم في هذا القضاء شاملا يمتد حتى بلدة (بانه) وكان هذا النفوذ عرضة للانتشار والتقلص حسب قوة السلطة الايرانية وضعفها ولم يتقلص هذا النفوذ الا قبل ستة اعوام. وكان انتخاب حاكم بانه في اغلب الاحيان تابعا لرأيهم.

قضاء شهر بازير (شهر بازار)

يقسم هذا القضاء الى ثلاث نواح (١) ماوت (٢) بشدر (٣) جوارتا والناحية الاخيرة هي مركز القضاء الذي يشمل ثلثي منطقة البشدر. تقع جوارتا على سفح جبل سرسير على طريق بانه – سليماني. وتبعد عن البلدة الاخيرة ست ساعات نحو الشمال الشرقي. وبيوتها اقل انتظاماً من البيوت الكردية المجاورة وسكانها اقل تعصباً في الدين من ابناء القرى في لواء السليمانية وأفقرهم لاشتراكهم في الثورات الكردية الاخيرة اذ كانوا اسرع من لبى نداء الشيخ محمود. ونساؤها سافرات كنساء حلبجة ولكنهن اقل جمالا. ويرتبط اهلها مع سكان السليمانية بروابط اقتصادية وللحكومة فيها مدرسة اولية ذات صفين يديرها معلم واحد ولا يتجاوز عدد تلاميذها الثلاثين وتكثر في اراضيها غابات البلوط.

وقبل مبارحتي البلدة ذهبت الى ينابيع سرجنار لتناول طعام الغذاء في مضرب كردي من اكراد قبيلة اسماعيل عزيزي والعادة ان يقدم الداعي

لضيوفه بعد ان ياخذوا قسطهم من الراحة قبل الاكل، لبنا حامضاً (مخيضا) يسمونه (دو) ويقوم مقام الشربات في فصل الصيف ثم يؤتى بالطعام وبعده الشاي او القهوة. ولما انتهينا من الغداء، خرجنا الى حقل تبغ مجاور وجلسنا تحت شجرة توت نتحدث وقد مر اثناء ذلك بنا حرذون فألقيت عليه حجراً قصد قتله. فنظر الى كهل وقال يخاطب احد الاساتذة (اي ذنب اقترف هذا الحيوان حتى يضربه صديقك؟) وكان سؤاله بالكردية فلم افهمه ولما عدنا الى السليمانية اخبرني صديقي عنه فاخذني العجب، لا لأن ذلك الكردي رفق بالحيوان، بل من مقارنة هذا الرفق بما يعزوه الغير الى الاكراد من اعتداء وتجاوز على الشعوب والدول المجاورة قصد الاساءة واقلاق الراحة، أو ليس الكردي الذي يرفق بالحيوان جديراً ان يحافظ على حياة من هو اسمى من الحيوان. ومن يدرس ملفات المحاكم الجزائية في العراق يجد ان الاكراد اقل الشعوب القاطنة فيه اجراما. وليس قيامه على دول الشرق التي وضعت يدها على بلاده الا دفاعا عن حريته واضمحلال عنصره فهل يعد هذا اجراما ؟ قضيت شطراً من تلك الليلة مع نخبة من اساتذة المدرسة الثانوية في مقهى جميل نستمع الى الاغاني الكردية ونلعب البليارد، ومنه في هذه البلدة ثمانية. وفي الصباح قبل السفر زرت دار الحكومة للاطلاع على نظامها فمررت بجميع الدوائر لأنها كلها كانت في بناية واحدة وقد رأيت المعاملات كلها تدور باللغة الكردية مع بقية الالوية الكردية. اما مع بغداد فتترجم الى اللغة العربية وتترجم كذلك الواردة من بغداد الى الكردية. والمفتشون الانجليز كان وجودهم انئذ ضروريا في كل لواء من ألوية العراق.

الفصل الرابع

الجاف - هورمان

أرى قبل الشروع في البحث عن قبيلة الجاف ان اقسم لواء السليمانية الى اقضيته ونواحيه تسهيلا للموضوع وفيما يلي جدول بذلك.

القضاء	الناحية
١. السليمانية	سرجنار – تانجارو – قره داغ – سيراجيك – سورداش – بازيان
٢. هلبجة (البجه)	خورمال – وارماوا – بنجوين
٣. شهر بازار	جوارتا – ماوت – بشدر

يعتبر قضاء هلبجة وطن الجاف وبلدة هلبجه مركز القبيلة. والذاهب اليها يركب سيارة من السليمانية ويسير نحو الجنوب فالجنوب الشرقي ويمر بأراض متماوجة على ضفة نهر تانجارو فيجتازه على جسر. ثم يمر بقريتي اوريات وميوان وعندما يصل الى موقع سراو تلتقي طريقه بطريق بنجوين فيتركها ويسير نحو سفوح جبال هورامان الغربية الى ان يصل خورمال (كول عنبر) ويكون بذلك قد اجتاز معظم سهل شهرزور الحار. وهذا السهل تقطنه بعض افخاذ قبيلة الجاف وتكثر فيه الروابي الاثرية التي تشير الى المدن الكردية التي اندرست ابان الفتح العربي في صدر الاسلام وغزو التتر للدولة العباسية. وقد كانت خورمال لقرن مضى مركزا للآثار الاشورية والساسانية وهي كما يصفها المستر هبارد (روضة من

رياض العالم وفيرة المياه والفاكهة تهب عليها نسمات كردستان المنعشة وتلطف حرارتها وحرارة شهرزور) ينعطف الطريق من هذه القرية جنوبا ثم يدخل هلبجة، وتبعد ٦٥ ميلا عن السليمانية.

هلبجة

بلدة قريبة جدا من الحدود الايرانية وتقع في سهل تكنفه الحدائق ويخترقها شارعان متقاطعان تسعى البلدية لانجازهما. كانت مركزا لقضاء خورمال ولما تبدلت الادارة العثمانية والحقت كردستان الجنوبية بالعراق جعلت مركزا لقضاء هلبجة او شهرزور واتخذها امراء الجاف مركزا لهم. ويرتبط سكانها بأهل السليمانية بروابط تجارية وادبية وتختلف نساؤها عن نساء السليمانية بالسفور والحرية المطلقة. ويقول الميجرسون في كتاب له عن كردستان (تمتاز نساء هلبجة بجمال فتان، لا يختلفن عن نساء الانجليز بعاداتهن يراهن الزائر جالسات امام بيوتهن يغزلن ويتحدثن، والرجال تسير جيئة وذهاباً. والفتيات الكرديات صريحات وامينات للغاية وجمالهن باهر وقاماتهن معتدلة ممشوقة، وذلك خلاف جمال الحرم في قصور الاستانة الممتاز بالصفرة واسوداد العينين) وللحكومة في هلبجة اليوم مدرسة ابتدائية ذات ستة صفوف وستة اساتذة ومائة تلميذ. ويشتهر قضاء هلبجة بالارز والتبغ والذرة والحنطة والشعير وتصدر بطريق خانقين الى بغداد.

الجاف

لقد استندت في معلوماتي عن هذه القبيلة على ما اخذته من الميجرسون وقد استقاها من محمد علي بك بشتمالا احد زعماء الجاف في قزلرباط: الجاف قبيلة قوية الشكيمة كثيرة العدد عرفت منذ عهد بعيد بإتحاد زعمائها وقد اكسبهم هذا الاتحاد قوة وثروة. ويمتلك زعماؤها اليوم بلادا

مهمة كهلبجة وبنجوين وقزلرباط خلا الاراضي والقرى الكثيرة التي ابتاعوها باموالهم الخاصة فهذه لا علاقة لها بأراضي القبيلة اي تلك الاراضي التي يحق للقبيلة ان تزرعها وترعى بها وتمر منها في رحلتيها الصيفية والشتائية فهذه الاراضي ملك للقبيلة اكتسبتها بالفتح والمنحة. كان وطن الجاف قديما في مقاطعة (جوانرود) الخصبة في كردستان الشرقية حيث كانوا يعيشون تابعين لنفوذ (أمراء) أردلان الاكراد وكان سبب انتقالهم الى وطنهم الحالي إندحارهم أمام الاردلانيين وذلك انهم كانوا في حروب طاحنة معهم على مشاطرتهم السيادة والحكم فلم يفلحوا، وسقط كبيرهم (محمد) وابنه واخوه بيد الاردلانيين.

وفي القرن السابع عشر للميلاد حينما استولى العثمانيون على بغداد وعقدوا معاهدة مع إيران سنة ١٦٣٩م، لتحديد الحدود انشطر الجاف حسب هذه الحدود الى شطرين، شطر بقي في إيران وشطر دخلت اراضيه في الاملاك العثمانية فانحاز هذا الى امراء البابان في السليمانية فحموهم ومنحوا عشائرهم حق التجوال والمرعى في المواقع التي يمتلكونها اليوم وهذه تمتد شمالا الى بنجوين وجنوبا الى خانقين وقزلرباط واعترفوا هم بدورهم بالخليفة العثماني على ان لا يمس هذا الاعتراف استقلالهم في إدارتهم الداخلية، وقسم الجاف النازح هذا هو القسم الرحال ويعرف بالمرادي ويبلغ عددهم ٥٠ الفا، واشهر افخاذه (بشتمالا) وهو الفحذ الذي ينتمي اليه زعماء القبيلة. واخر من عرف من الزعماء محمد باشا، ولما توفي ترك ثلاثة ابناء هم عثمان ومحمود ومحمد اقتسموا إدارة القبيلة واصبح محمود المسؤول الوحيد عن القبيلة في حلها وترحالها وعين عثمان قائمقاما على كول عنبر وهلبجة وشهرزور وبقي محمد علي في قزلرباط يعيش عيشة الترف والرفاهية. والافخاذ التي تنتمي الى البشتمالا هي:

املا (Amala) جافي سارتك (jafi sartk) جافي تيلان (jafi tilan) ميكائيلي، اخا سوري (Akha sori) جنكي (changani) رخزادي (Rukhzad) ترخاني (Terkhani) باشكي (Bashki) كيلالي (Kilali) شاطري (Shatiri) هاروني، نور والي، كوكوي، زارداوي يزدان بحشي، شيخ اسماعيلي، ساداني، باداخي، موسى، تيلاكوا.

وقد انشطر القسم المتخلف في إيران الى شطرين شطر هاجر في القرن الثامن عشر الى الجنوب وانضم الى قبيلة كوران القاطنة على حدود ايانتي كرمانشاه ولورستان وسمى نفسه (جافي كوران) وهذا الشطر يتألف من الافخاذ الآتية:

قاد رمير ويسي، تيشي، قالجاني، يوسف يار احمدي، كويك، نيرزي، كورك كيش. ويتألف القسم الباقي في وطنه الاصلي في (جوانرود) من: قبادي، بابا جاني ولد بكي، ايناحي، امامي، دبرشي، دلالتزي، ميرا بكي، نامدار بكي. ولا يزال الجاف رغم هذا الانقسام اعزاء الجانب اثرياء ويبلغ عددهم جميعاً كما يذكر الميجرسون بضع مائة الف.

الجاف والسياسة التركية

كان عثمان باشا الجاف قائمقاما على شهرزور، ونقل مركز القائم مقامية من خورمال إلى هلبجة ثم تزوج بعادله خانم إحدى أميرات أردلان عام ١٨٩٥م، فلم تستحسن الحكومة التركية هذا الزواج لشغل والد الخانم منصبا ساميا في طهران وقد استحسنته الحكومة الايرانية ومنح الشاه الباشا سيفا ولقبا. وثمة سبب اخر جعل الاتراك لا يرضون عن هذا الزواج وهو أن ارتباط الجاف بالاردلانيين يحول دون توسعهم في ايران، إذ كان الاتراك يستغلون خصام القبائل الكردية في إثارتهم على الحدود الايرانية فيتسنى لهم ان يتسعوا في اراضي ايران دون ان يتكبدوا نفقات عسكرية أو

يخسروا جندياً واحداً. ولما جاء الباشا بالخانم الى هلبجة ترك لها زمام الامور فيها فعملت على حل القضايا بين القبائل وبين الحكومة التركية في السليمانية وكركوك والموصل وقامت بادارة هلبجة خير قيام وابتنت فيها قصرين جميلين على طراز قصور (سنه) عاصمة اردلان وجعلت حاشيتها من اكراد بلادها وقد الفت منهم مستعمرة صغيرة ثم ابتنت سجناً جديداً ومحكمة كانت هي ترأسها وتباشر حل القضايا والمشاكل بحزم ونشاط وأمرت ببناء السوق المربعة وهي التي تسعى ادارة البلدية اليوم لإتمامها، وشجعت التجارة، فتوافد اليها التجار من البلدان المجاورة وبذلك ارتفعت هلبجة من قرية حقيرة الى بلدة صغيرة.

ولما حاول الاتراك بسط نفوذهم على هلبجة بمد اسلاك البرق (والتلفون) حالت القبائل دون تنفيذ رغبات الدولة فقطعت الاسلاك وارسلت الخانم انذارا على الفور، ترفض فيه اصلاح ما انقطع من الاسلاك لأنها لا ترغب في انتشار سلطة الترك الى امارتها. وبذلك صانت كل مقاطعة شهرزور الى انتهاء الحرب العامة. ولما تبدل الوضع السياسي والحقت كردستان الجنوبية الى العراق كانت شهرزور من المقاطعات الملحقة. يقول الميجرسون اثناء زيارته للخانم في هلبجة متخفيا كتاجر شيرازي، انني ابصرت على حراسة قصرها اثني عشر نفرا بالسلاح الكامل ولم اخطئ انها كردية لأول نظرة اليها اذ كانت تلوح في وجهها جميع الصفات البارزة للوجه الكردي وهو وجه بيضوي، الفم يميل للاتساع والانف خفيف القنى، العينان سوداوان حادتا النظر. أما القامة فلا هزيلة ولا تميل للسمن (راجع صورتها المنشورة في الكتاب السالف الذكر) ولا شك ان شخصيتها تسمو على كثير من شخصيات سيدات العالم الاسلامي بنبل اسرتها وسمو اخلاقها وحريتها الانثوية وهذه الحرية تمتاز بها نساء الكرد على نساء المسلمين في الاقطار المجاورة لكردستان.



بعض زعماء أكراد (هاورامان)

هورامان (أورامان)

تظهر من هلبجة سلسلة جبال وعرة تمتد من نهر السيروان شمالا على مسافة خمسين ميلا الى ان تتصل بالحدود التركية ويبلغ ارتفاعها ٣٨٠٠ قدما ويمر بذراها خط الحدود بين ايران والعراق ويطلق على هذه السلسلة (هورامان) وبهذا الاسم عرفت القبائل التي تقيم فيها.

وقد كانت (هورامان) مقاطعة مستقلة تحت نفوذ زعمائها وحاول الاردلانيون بسط نفوذهم عليها فلم يفلحوا الا قليلا. انشطرت هذه المقاطعة اليوم بين دولتي العراق وإيران، وزعماؤها لا يعترفون بسلطة الدولتين الا اسميا. وأشهر قرى الجزء الكائن في العراق (تويلة) و (بيارا) والسير من هلبجة الى تويلة على طريقين أحدهما يمر بقرية (خرباني) وهو الاقرب ويستغرق الفارس في قطعه اربع ساعات والثاني يمر بنهير(جم خواجايي) ويستغرق ست ساعات يرى الزائر اثناها عدة قرى وفيرة المياه لا تكاد ترى من اشجار الحدائق الملتفة، اشهرها(هاني كرملا) اي قرية النبع الحار وتقع في سفح جبل تنبع منه مياه تكفي حدائقها الكثيفة وأكثر اشجارها من الجوز والتوت والمشمش ويقدر عدد سكانها ٤٥٠ نفس وتمتاز سيداتها بجمال خلاب.

وقد اتخذ (افراسياو بك) ابن اخ جعفر سلطان الثائر الكردي الشهير على الحدود الايرانية العراقية هذه القرية مركزا له. ويمتلك هذا البك قرية اخرى هي (هاني نوتيه) اي قرية نبع النفط. وتظهر بعد هاني كرملا على بعد ساعتين قرية (بيارا) فوق قمة جبل شكله يشبه هيكلا وثنيا من هياكل الهند ويراها الناظر من واديها كمدرج روماني. وقد اختارتها عادلة خانم مصيفا لها لحسن مناخها وكثرة مياهها واتساع حدائق التوت الأبيض فيها.

وبعد مغادرة بيارا يشاهد الزائر في سفح جبل هورامان (تويله) وهي كبيارا بيوتها تتدرج مع انحدار الجبل الكائنة عليه ويخترقها في نهايتها سوق تقابله في سفح الجبل الثاني حدائق الجوز والتوت الابيض. وتبدأ حدائق الوادي من نهاية هذا الجبل وتمتد الى مسافة سبع ساعات ونصف. وتعتبر هذه القرية مركزا تجاريا بين العراق وايران ولذا برع اهلها في صنع الالبسة الكردية ونسجها. ولسكانها ميل شديد للتعليم مما دفع الحكومة الى فتح مدرسة فيها. وزعيم القرية (قادر بك ابن جعفر سلطان) ونفوذه لا يزاحم، سيما وان التشكيلات الادارية مفقودة فيها. ولقادر بك هذا خمسة وعشرون اخا واثنتا عشر اختا من امهات مختلفة.

وتويلة مركز كبير للنقشبنديين، لهم فيها تكية جميلة يفد اليها ابناء الطريقة النقشبندية من الهند وغيرها من الاقطار الاسلامية. يستطيع الزائر إذا صعد على جبل تويلة ان يشرف على وادي السيروان البديع والسيروان هو الاسم الكردي لنهر دياله ينبع من جبال أردلان ويصب بدجلة قرب بغداد للجنوب الشرقي منها وقبل ان يدخل الحدود العراقية يلتقي برافد (مريوان) الذي يستمد مياهه من بحيرة (زريبار كول) ثم يدخل العراق من جنوب شرقي هلبجة، ويعرض مجراه الى ان يلتقي بنهير(تانجارو) وهو التابع الغربي، ينبع من جبال (سرجنار). وعند وصوله اقصى اراضي كردستان الجنوبية والشرقية تصب فيه عدة روافد اشهرها (عباسان) وينبع من جبال (زوهاب – زوهاو)، (وخوراتو) وينبع من جبال بانيكاز والوند وينبع من سفوح جبال (كرند) الغربية ويمر بقرية قصر شيرين فخانقين وبعد انصباب هذه الروافد في نهر السيروان يتبدل اسمه في القسم الاسفل الى ديالة.

الفصل الخامس

شهرزور

شهرزور وسكانها

شهرزور احدى المناطق الكردية الشهيرة، يحدها من الشمال والغرب نهر الزاب الصغير ومن الجنوب ديالة وجبال حمرين ومن الشرق جبال هورامان وكانت تفصلها عن أردلان. واشهر قبائلها اليوم كالجاف والهماوند والزنكنة كانت في القرن الثامن عشر للميلاد لا تزال تقيم في كردستان الشرقية في ايران، ولم تكن كذلك عشائر الشيخانية والطالبانية والجبارية، سوى جماعات تجمعها روابط الطرق الدينية. وقد استطاع قرويو الاكراد في شرقي كركوك ان يحافظوا انئذ على كيانهم بربط قراهم بعرى الاتحاد. وما يشاهد اليوم من القلاع المتهدمة والكتابات الأثرية يرجع الى عهد حضارة كردستان في القرون الوسطى.

النزاع الفارسي التركي

ولما أراد الفرس والترك التوسع في الفتوح غربا وشرقا في الاراضي الكردية قاومتهم أمراء الاكراد المستقلون في شهرزور وسلاطين أردلان الذين سبقوا الصفويين والعثمانيين في بسط نفوذهم وسيطرتهم على شهرزور. ولما انتهى تاج ايران الى الشاه اسماعيل الصفوي، أخلص له سلطان اردلان ومنذ ذلك الوقت ظل خلفاؤه على وفاق تام مع حكومة ايران اذا استثنينا اعترافهم الوقتي بالسلطان سليم الاول عقب وقعة

(جالديران). ولما ظهر المأمون الثاني الاردلاني بعد هذه الوقعة ونشر نفوذه جنوبا وغربا واستولى على شهرزور واعترفت به امارات الزاب الصغير وهورامان وشهر بازار وقره باغ[1] اعترافا اسميا ولم يرق هذا التوسع السلطان سليمان القانوني الطامح للاستيلاء على الطرق الشرقية فأرسل جيشا لجبا عام ١٥٣٨م. بقيادة حسين[2] باشا وبعض امراء كردستان الشمالية من بينهم امراء البهدينان بغية الاستيلاء على شهرزور في الدرجة الاولى و (مريوان وسنه) اذا كان ذلك مستطاعا.

التقى هذا الجيش بقوات المأمون الذي دافع دفاعا مجيدا ثم تراجع مرغما الى حصنه في قلعة (زلم) فلحقه الجيش العثماني وحاصره فيها ولما لم يجد جدوى من الحصار استسلم وقبل شروط العثمانيين وذهب اسيرا الى الاستانة وعاد الجيش التركي بعد أن أتلف ما استطاع اتلافه، شأنه في ذلك شأن التتار والمغول في كل حروبهم.

وظهر بعد المأمون عمه (سرخاب) وجدد اعترافه بالشاه ودخلت بقية افراد الاسرة الى الاراضي العثمانية مما حمّل السلطان على ان يطلق سراح المأمون ويمنحه اقطاعية (الحلة) في العراق العربي وهو ما عليه الشرفنامه (تاريخ الاكراد) ويناقض ذلك صاحب (كلشن خلفا) في النقاط التالية:

١. ان السلطان سليمان اخذ المأمون رهينة من ابيه سنة ١٥٣٥م لا اسيراً، تأميناً لطاعة شهرزور. وتعيينه واليا على الحلة كان مكافأة على ما ابداه من الاخلاص والميل الشديد نحو السياسة التركية.

٢. ان وقائع المأمون كانت بين سنة ١٥٥٢ وسنة ١٥٥٤م، وان قوات بغداد هي التي حاربت في شهرزور وليس لأردلان ذكر.

---

١. الظاهر قره داغ

٢. الصحيح سلطان حسين امير العمادية، شرفنامه.

٣. ان شهرزور الحقت بالامبراطورية العثمانية بعد سنة ١٥٥٤م.

سرخاب وعثمان باشا

إن إعتراف سرخاب بالشاه أرغم السلطان على تجهيز حملة بقيادة عثمان باشا والي حلب وتعيين النائب العام محمد البلطجي واليا على بغداد سنة ١٥٤٩م بدلا من واليها الذي اخبر السلطان بظهور سرخاب. وكانت حملة عثمان باشا تتألف من جند المشاة النظامي وقوات امراء الاكراد الاقطاعيين ثم انضمت اليهم فرق عسكرية بكامل معداتها الحربية من بغداد. ولما تكاملت الحملة، تقدم عثمان باشا الى اردلان والتقى بقوات سرخاب التي لازمت الحصار فأطلقت مدافعه قنابلها على قلعة سرخاب، فلم تؤثر فيها ولم تستطع قواته ان تحيط برجال اردلان ففشل وكان لهذا الفشل اسوأ الاثر في نفسه فمات مدحورا مقهورا.

توافق الشرفنامة صاحب (كلشن خلفاء) في ان عثمان باشا هو قائد هذه الحملة لم ينجح في حملته وتزيد على ان قلعة سرخاب هي قلعة (زلم – ضلم) بذاتها وان الحصار الذي استمر عامين كان على اثر معركة شديدة جاءت بعده قوات الشاه طهماسب وانقذت القلعة وان محمد بك احد امراء اردلان توفي بعد ان انهزم امام قوات اخيه سرخاب في الوقت الذي توفي فيه عثمان باشا.

والمؤلف التركي صاحب (كلشن خلفاء) يهمل ذكر خذلان حملة عثمان باشا ويجعل شهرزور ضمن الاملاك العثمانية طيلة النصف الثاني من هذا العصر. وقد ذكر محمد البلطجي في سجل حوادثه انه اوفد ليستخلص شهرزور فسار من بغداد تاركا سهيل بك حاكم (الرماحية) نائبا عنه الى سرخاب ليفاوضه مفاوضة دبلوماسية فنجح في مهمته وعقد معاهدة مع سرخاب تقضي بفتح القلعة واعادة شهرزور الى الامبراطورية العثمانية.

ويذكر كذلك انه عين (ولي بك) بعدئذ حاكما على شهرزور وارسل معه حامية كافية وبذلك انتظمت هذه الايالة الكردية لأول مرة سنة ١٥٥٤م في املاك الدولة العثمانية.

أما سجلات أردلان فعلى نقيض ذلك إذ توافق الشرفنامة بمجيئ قوات من الشاه ازرت سرخاب فاشتدت بهم عزائم الاردلانيين وصدوا هجمات الترك عن شهرزور فبقيت بأيديهم مدة طويلة.

وتقول ايضا ان سرخاب ارسل ابنه بهرام حاكما على (رواندز) فأدارها إدارة حسنة وترك فيها من نسله اسرة حكمتها ثلاثة قرون. وخضوع شهرزور بعد ذلك لم يكن الا طوعا واختيارا من (تيمور) وهو أمير أردلاني شعر بضعف ملوك إيران فولى وجهه نحو الاستانة وارتبط مع السلطان (مراد الثالث) الذي عزز هذا الارتباط بفرماناته وإنعاماته وأصبحت جميع أردلان مربوطة أدبيا بالخليفة فتنازل الاردلانيون عن شهرزور فارتبطت منذ ذلك الوقت إدارتها وإدارة وديان الحرير وبازيان مباشرة بكركوك واصبحت جزءا من الاملاك العثمانية إعتبارا من سنة ١٥٨٠م. و (كركوك) هذه اصبحت إيالة تركية في عهد السلطان سليمان القانوني وكانت قبلا بيد أميرها الكردي الملقب بسنجاق بكي.

وفي عام ١٦٠٠م. تبدلت الظروف السياسية وأعلن أمير أردلان الجديد الاستغناء عن سلطتي الترك وإيران ولكنه ما لبث ان استسلم لغواية الشاه عباس وفترت همته. وفي سنة ١٦٠٥م خلفه على عرش (سنه) خان احمد خان وكان عدواً لدودا للترك تاصبهم العداء منذ باشر إدارة أردلان فغزا العشائر الكردية الموالية للترك كـ(مكري وبلباس) ثم استولى بعد بضع سنين على رواندوز والعمادية ووضع عليهما وعلى (كوي) و (الحرير) حكاما من قبله. وقد اظهر الامراء المحليون فيها معارضة ولكنهم غُلبوا على أمرهم واستسلموا له.

وقد دام حكم خان احمد خان على عرش (سنه) عشرين سنة هي ازهى عصور اردلان إذ استرجع فيها جميع أملاك أردلان القديمة وهادنه الشاه عباس وخشيته باشاوات الموصل. وينكر مؤرخو الاتراك والعراق غزوه للبلاد العثمانية واستيلاءه على بعض المقاطعات العثمانية، بسكوتهم وعدم ذكرهم شيئا عنها في سجلاتهم التاريخية. وقد تدخل خان احمد خان في شؤون إقطاعيات أمراء الاكراد المذبذبين المستقلين اسماء، واستبدل فرمانات السلطان الممنوحة اليهم بهدايا من قبله.

شهرزور

في القرن السابع عشر – البابان

منشأ البابان وعلاقتهم بقبيلة البشدر وأسرة السوران

يقول لونجريج إن كل مانعرف عن منشأ البابان هو انتسابهم لأحمد الفقيه الذي ظهر في اوائل القرن السابع عشر وتلقب بالبان. جمع هذا الفقيه حوله لفيفا من الناس وظهر بمظهر الزعماء الاشداء فهابته رؤساء القبائل.

ولما توفي قام بعده ابنه (ماوند) واستولى على شهر بازار وما جاورها وبذلك وضع الاساس لإمارة البابان ويعتبر ابنه سليمان بك المؤسس الحقيقي لهذه الامارة، اعظم شخصية كردية في شهرزور إذ استطاع أن يوسع حدود هذه الامارة في اراضي شهرزور التي كانت بيد الأردلانيين. وقد انتهز فرصة ضعف أمير أردلان وانتشار الفوضى والظلم في (سنه) فغزا بلاده سنة ١٦٩٤م. ومن العوامل التي شجعته على ذلك ابتعاد السلطتين التركية والفارسية عن مركز حركاته فاستولى في بادئ الامر على عدة مقاطعات منها، وأعدم حاكمين من حكامها ثم اصطدم مع جيوش أردلان التي كان يعضدها اربعون الفاً من شجعان الفرس ودامت

المعارك بين الطرفين سنة كاملة انهزم في نهايتها سليمان بك تاركا وراءه ألوفا من القتلى والاسرى. ويعزو بعض المؤرخين سبب خذلانه لتضافر الجيوش الفارسية والتركية على مقاومته. والبعض يقول ان الترك أرسلوا اليه رسولا يطلب منه أن يعقد الصلح مع الفرس قبل أن يحاولوا دخول الاراضي العثمانية. وقد ساق عليه الترك في سنتي ١٦٩٨و ١٦٩٩م جيشا لإرتيابهم من قوته النامية وعدم احترامه لسلطتهم. وكان سر عسكر هذا الجيش والي بغداد يصحبه باشاوات حلب ودياربكر. وكل ما يعرف بعد ذلك، أن سليمان بك ذهب الى الاستانة واستقبل فيها بحفاوة عظيمة ومنحه السلطان (سنجق البابان) ثم ذهب من الاستانة الى (أدرنة) عاصمة العثمانيين الثانية في اوروبا حيث توفي هناك رحمه الله. وكان موته فرصة لقبائل الزنكنة فهاجموا بلاده واستولوا على قسم منها ويقول جودت باشا المؤرخ التركي ان الاراضي التي اخذتها هذه القبائل هي املاكها التي اغتصبها البابان منهم فاستردوها.

ولما لم يتفق ابناء سليمان بك على من سيخلفه تدخلت الحكومة التركية في شؤون البابان وحكمت امارتهم مباشرة بضع سنين الى أن فاز ابنه بكر بك بالامارة فتخلوا له عنها.

بكر بك واتساع امارة البابان

بعد أن تسلم بكر بك الحكم ازال نفوذ الترك عن بلاده ونشر سلطانه شرقا وغربا فأصبحت بلاده تمتد من السيروان الى الزاب الصغير شرقي طريق (كفري – التون كوبري). وعقد معاهدة مع أردلان تدل على تساوي نفوذه بها وأصبح بمقدوره حماية الجاف الذين خرجوا منهزمين من (جوانرود). وفي ايامه ازدهرت الآداب الكردية واتصف احفاده وابناؤه بالتضحية القومية وكانت عاصمة البابان على عهد سليمان بك قرية (قلا جوالان).

سقوط العراق ثانية بيد الفرس

موقف بكر الصوباشي والي بغداد من الحكومة العثمانية - موقف الكرد من ذلك (١٦٠٠-١٦٣٩م).

اسباب سقوط العراق بيد الفرس

تعزى أسباب سقوط العراق بيد الفرس بعد افتتاح السلطان سليمان القانوني لها قبل ذلك التاريخ (٨٧) سنة الى ما يلي:

١. اغتصاب بكر الصوباشي ولاية بغداد.

٢. ضعف الامبراطورية العثمانية في أمورها الداخلية وسببه:

ا. ثورة حسن باشا الابازة الجركسي في الاناضول.

ب. ثورة جبل لبنان.

ج. تقلص نفوذ السلطان على ولاة مصر.

د. وصول نفوذ الاقطار المأهولة بأكثرية عشائرية الى درجة الاستقلال.

هـ تهديد قرصان القوزاق شواطئ البحر الاسود ودخولهم البوسفور.

ز. تولي السلطان مراد الرابع العرش وهو طفل.

واهم هذه الاسباب هي استيلاء بكر الصوباشي على ولاية بغداد وتسليمه مفاتيح المدينة للفرس.

حياة بكر الصوباشي

كان بكر انكشاريا في بغداد ارتقى الى رتبة صوباشي ثم رئيسا لفرقة الانكشارية واستطاع بما لديه من الثروة ومؤازرة بعض القواد له ان يكتسب سطوة عظيمة وقد رجح نفوذه على يوسف باشا حاكم بغداد. وفي

سنة ١٦٢١م. خرج على رأس حملة تأديبية من العرب والانكشارية الى جنوب العراق، وقد اغتنم عدوه القديم (محمد قنبر) فرصة غيابه وهاجم رجاله وانتصر عليهم بسبب حصانة مركزه وشذ من رجال قنبر، كخياه عمر وابنه محمود فلم يوافقاه على مهاجمة قوى بكر. وبعد هذا النصر كتب الى ابنه وقد كان مع الحملة التأديبية ان يغتال بكرا فسقط كتابه بيد بكر. ولما تم لهذا الاخير النصر على ثوار الجنوب عاد الى بغداد وافتتحها حربا والقي القبض على قنبر وولديه وانتقم منهم شر انتقام إذ وضعهم في سفينة ثم اضرمها فاحترقت ومن فيها. وبعد هذا الحادث اظهر فرمانا مزوراً بتوليته حاكمية بغداد ثم ارسل رسلا الى الاستانة والى حافظ باشا والى ديار بكر ينبئ بأن يوسف باشا، خان الدولة وأنه حرصا على سمعتها استخلص منه حكم بغداد ولذلك يطلب رسميا منحه حاكميتها مكافأة على حسن عمله.

تعيين سليمان باشا على بغداد

لم يخف هذا الأمر على الوزير الاعظم فأصدر للحال أمرا بتعيين سليمان باشا على ولاية بغداد وارسل علي آغا ليدير شؤونها ريثما يأتي الباشا. ولما وصل الاغا بغداد القى بكر القبض عليه وقتله. أما سليمان باشا فقد ذهب الى ديار بكر واجتمع بحافظ احمد باشا واليها، وكان قد جمع اليه باشوات الموصل، شهرزور، مرعش، وسيواس وقوة كبيرة من اكراد الشمال تحت قيادة امرائهم ضمها الى قوته البالغة عشرين الفا. وبعد اجتماع هذه القوة عقد مجلسا حربيا في ديار بكر اجمع فيه القواد على خطورة الامر وأوصوا بأن لا تذهب هذه الحملة على هذا الترتيب فلم يوافقهم حافظ احمد باشا واصر على سيرها فاتجهت الى الموصل ولما وصلتها وردت نجدات جديدة من امراء الكرد في العمادية ووصلت كذلك نجدة من سيواس وتأخرت قوات اورفا ومرعش.

كان من رأي الباشا الاقامة في الموصل ريثما تتكامل النجدات ولكنه خشي ان تنسب اليه الحكومة الجبن ورشوة بكر فتقدم الى كركوك وارسل منها طلائع بقيادة سليمان باشا ويستان باشي وامراء السوران الاكراد الى بغداد فلما وصلوا (بهريز) استراحوا ثم واصلوا سيرهم، حتى وصلوا اسوار بغداد وضربوا خيامهم في الاعظمية شمالي المدينة.

ولما شاهد بكر هذه القوة امر بالحصار بضعة أيام ولما انس غفلة المحاصرين خرج اليهم على حين غرة وطوقهم ثم اوقع بهم فتراجعوا الى (ديالة)منهزمين. وفي اليوم الثاني تقدم الجيش الى بغداد واشتبك مع قوات الثائر بمعركة استمرت يوما وليلة اسفرت عن خذلانه وفراره الى داخل السور وقدرت خسارته بأربعة الاف شخص بين قتيل وجريح واسير. وعلى اثر هذا الانتصار حض امراء الاكراد حافظ احمد باشا باقتفاء اثر المنهزمين قبل ان يصل خبر القتلى الى الاهالي وتأخذ النساء بالندب والنواح فتتأثر معنويات الجيش وتضعف عزيمته فلم يعر نصائحهم اهتماما واخذ يعامل الجرحى والاسرى معاملة سيئة كانت نتيجتها ظهور الفوضى في جيشه غير النظامي.

وكان في غضون هذه المدة يتداول كل من بكر وحافظ احمد باشا في امر تسليم المدينة فلم يتفقا وارسل بكر مفاتيح المدينة الى الشاه عباس الذي ارسل للحال اوامر مستعجلة لأمراء الكرد والى الاوشار (افشار) في أردلان ولورستان كي ينضموا الى (صفي قلي خان) حاكم همدان. وبعد ايام قليلة وصل الجيش الايراني الى الحدود ووقف ينتظر الفرص السانحة لإعادة العراق والاماكن المقدسة فيه الى احضان ايران. وقد تقدمت فصيلة من هذا الجيش بقيادة (قارجغي خان) الى شهربان فكتب اذ ذاك بكر الى حافظ احمد باشا ينذره بالخطر الايراني المحدق، فوافقه على بقائه في حاكمية بغداد. وكتب القائد الايراني بنفس الوقت الى حافظ احمد باشا

يطلب اليه تسليم بغداد وحقن الدماء فأجابه هذا أن بغداد ولاية تركية وبكرا متمرد على حكومته جئنا الى تأديبه وليس للفرس حق في التدخل فكتب قارجغي يعلم صفي قلي خان بذلك فكتب هذا بدوره الى الشاه الذي امر بجمع الجيوش وارسالها الى الحدود ولما تكامل الجيش الايراني اتجه الى بغداد ولم يبقى فيها الا بكر الصوباشي إذ أن حافظ احمد بعد ان أجري الترتيب المار ذكره مع بكر عاد للموصل.

فكتب القائد الايراني الى بكر يطلب منه تسليم بغداد فأبى وحصن المدينة وحوصر فيها ثلاثة اشهر، ثم فر ابنه واتفق مع الفرس على تسليم البلد إذا هم ولوه عليها فوافقوه على طلبه وعاد الى المدينة وفتح الابواب صباحا فدخلت الجيوش الايرانية والقت القبض على ابيه وقتلته وبذلك استتب لهم الحكم على بغداد وارسلوا قاسم خان وقارجغي خان لاحتلال شهرزور والموصل فتراجع امامهم بستان باشي من كركوك الى الموصل ولم يستطع ان يقاومهم طويلا فاستسلمت شهرزور والموصل.

ولما رأى هذا الجيش الظافر ضعف الحامية التركية عزم على المضي الى ديار بكر فسار قاسم خان واستعمل حكمته السياسية ومهارته الحربية للاستيلاء على المدينة فلم يفلح وقد اضطر ان يتراجع على جناح السرعة الى الموصل خيفة سقوطها بيد كوجك احمد الالباني احد قواد حافظ احمد الذي ارسل ليسترد الموصل ويقطع خط رجعة الفرس. وما كاد أن يصل الى الموصل حتى وجدها قد سقطت ثانية بيد الترك وعلى حاكميتها سليمان ابن اخ كوجك احمد. أما كركوك فقد بقيت بيد الفرس الممقوت حكمهم بضعة اشهر.

وفي عام ١٦٢٥م. خرج حافظ احمد باشا من ديار بكر الى بغداد وارسل جركس حسن بقوة صغيرة طليعة للجيش، فجاء هذا الى كركوك وهاجم عشرة الاف من الجند الايراني وتغلب عليهم واحتل المدينة ثم طهر شهرزور

من قوات الشاه واعادها الى حظيرة الامبراطورية العثمانية وارسل اليها بستان باشي حاكما. وفي سنة ١٦٢٩م. تعين خسرو باشا وزيرا اعظم بدل حافظ احمد باشا وعهد اليه أمر إرجاع العراق الى احضان الدولة العثمانية. فاتجه الى العراق وعرج بطريقه على ديار بكر حيث اجتمع اليه أمراء الكرد بقواتهم فسار بهم الى اربيل وهنا عقد مجلسا حربيا من امراء الكرد وقواد الجيش وشيوخ بعض القبائل العربية وقرروا عدم مهاجمة الجنوب للأسباب الاتية:

١. كثرة وجود المستنقعات والاراضي السبخة.

٢. الخوف من مباغتة جيوش أردلان.

ولهذا قرروا مهاجمة قوات أردلان في شهرزور، وكان أمير أردلان إذ ذاك خان احمد خان الذي اشتهر باخلاصه للشاه عباس وهو في ذلك يخالف بقية افراد الاسرة الذين كانوا يميلون لموالاة الترك من أهل السنة وما كاد الوزير الاعظم يصل شهرزور حتى هرع الكثير من بكوات أردلان وعشرون خانا من خاناتهم الى استقباله وتقديم طاعتهم له.

ولما وصل جيش الترك الى (خورمال) على الحدود ارسل الوزير قوة الى أردلان بقصد الاستيلاء عليها وعلى حصن (مهربان - مريوان) فسقط الحصن بيد القوة المهاجمة. وقد ارسل الفرس في الوقت ذاته زينل خان القائد العام للجيوش الايرانية وخان احمد خان من همدان لقطع المواصلات بيت قوتي الترك في خورمال ومهربان فلم يفعلا ذلك بل ذهبا مباشرة الى مهربان واشتبكا مع قوات الترك التي تعززت بما جاءها من نجدات فغلبا وتراجعت قوة زينل خان تاركة وراءها بضعة الاف من الجند بين قتيل وجريح واسير ولما وصل خبر الهزيمة الى الشاه، عين رستم خان قائدا عاما بدل زينل خان وتقدم هو بالذات من أصبهان.

وبعد الانتصار الذي احرزه خسرو باشا في مهربان، توغل في أردلان

حتى وصل قلعة خان احمد(حسن آباد) فهدمها ونهبها ثم سار الى (دركزين) في طريقه الى (قزوين) فدمّرها كذلك. ويدل ان يذهب الى (اردبيل) و (قزوين) شمالا كما قد قرر سابقا، عاد الى بغداد بسبب تحسن حالة الجو.

ولم يحدث شي جدير بالذكر في عودته سوى وقوع مناوشات بين قواته وامراء لورستان. وفي تشرين الاول[1] عام ١٦٣٠م. شرع الاتراك بمهاجمة بغداد وفي تشرين الثاني كادت ذخائرهم تنفذ فأمر خسرو باشا خير فصائله ان تهاجم اسوار المدينة ففعلت ولكنها ردت على اعقابها مغلوبة وقد قتل خير رجالها فعقد الباشا على أثر ذلك مجلسا حربيا قرر الانسحاب الى الموصل. وبذلك انتهز خان احمد خان الفرصة وهاجم قوات الترك في شهرزور وغلبهم وهرب امامه خمسة من باشواتهم الى الموصل فدعاهم خسرو باشا الى غرفته وهو حانق واعدمهم جميعا. ظلت بغداد بعد هذا الانكسار بيد الفرس الى ان استرجعها منهم السلطان مراد الرابع في ٧١ شباط[2] سنة ١٦٣٩ وعقد معهم معاهدة في نفس السنة تقضي بشطر البلاد الكردية التي على الحدود الى شطرين، شطر بقي في ايران وهو اردلان ومنطقة الكلهر، وشطر ظل في الاراضي العثمانية وهو شهرزور ومنطقة بعض قبائل المكري. وتقضي كذلك ببقاء مدن (ساقز، زوهاب، درنه) تحت النظر. ولم تعيد هذه المعاهدة النظام الى الحدود لتعسر ضبط القبائل الكردية التي لا تعترف بحدود فاصلة ولا بسلطة الدولتين. ومع ذلك فقد اخذ النفوذ التركي يدخل في بلاد الاكراد بعد عودة العراق اليهم اعتبارا من القرن السابع عشر. يستثنى من ذلك امارتا العمادية وجزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر) حيث بقيتا شبه مستقلتين.

---

١. اكتوبر.

٢. فبراير.

حسن باشا والي بغداد من سنة ١٧١٥ الى ١٧١٧م.

ولد حسن باشا في اوروبا سنة ١٦٥٧ودرس الحقوق الادارية فيها ولما عاد للأستانة نال حظوة في عين الوزير الاعظم لشجاعته واقدامه. وفي سنة ١٦٧٣ عين في احدى وظائف القصر الشاهاني. وفي سنة ١٦٩٧ رقي الى منصب وزير وعين على كل من ولايات قونية وحلب واورفا بالتتابع وفي سنة ١٧٠٢ عين على ديار بكر ثم في سنة ١٧٠٤ على بغداد بدل (علي باشا).

وذهب في سنة ١٧١٥ والسنة التي تلتها على رأس قوة تأديبية الى قبائل بلباس الكردية واشتبك مع بكر بك الباباني وأسره ثم قتله وبذلك سقطت املاك البابان تحت نفوذ الترك الى ان ظهر خانه باشا سنة ١٧٢٠. وفي سنة ١٧١٧ تقدم لرد غارات قبائل باجلان الكردية لما غزت الاراضي العثمانية فلم يستطع أن يوقع بها لسرعة عودتها الى اراضيها داخل الحدود الايرانية.

الفصل السادس

الكرد بين المعارك الفارسية - التركية

من سنة ١٧٢٢ الى سنة ١٧٤٥

المعارك الاولى – الترك والافغان

ان المعاهدة التي عقدها قره مصطفى باشا الوزير الاعظم مع الفرس في بغداد في ٢٠ مايو سنة ١٦٣٩م عندما استرجعها مراد الرابع، تركت فارس هادئة زمنا طويلا فازدهرت واثرت وانتعشت في بلاط ملوكها الملاهي وارتقت الاداب. وتولى الحكم أثناء هذه المدة ثلاثة شاهات هم الشاه صفي، والشاه عباس الثاني، والشاه حسين. وفي ايام هذا الاخير سقطت إيران بيد فاتح أفغاني وتفصيل ذلك انه قام في أوائل سنة ١٧٢٠م محمود خان أحد أمراء قبيلة (الغيلزي مير ويسي) الافغانية من قندهار واتجه الى مدن كرمان ويزد في إيران ولما وصل الى (كل ناباد) على بعد اثني عشر ميلا عن اصبهان اشتبك مع جيوش الفرس وتغلب عليهم، وأسر الشاه حسين الذي تنازل له عن عرش إيران ولما رأى طهماسب ابن هذا الشاه وهو اخر من بقي من السلالة الصفوية ما حل بأبيه فر الى الشمال واخذ يجمع مناصريه ليسترد العرش من الافغان.

وقد تمكن الفاتح الافغاني محمود خان بعد هذا الانتصار من أن يستميل الشعب اليه بحلمه وعدله ولكنه مالبث أن اضطرته الظروف أن يستبدل العدل بالظلم، والحلم بالفتك سنة ١٧٢٣م. وقد استمر في أعمال الشدة الى سنة ١٧٢٥م. حيث عاجلته المنية.

أثر الغارة الافغانية في الاستانة

ولدت هذه الغارة روح الجشع والخوف في الاستانة وحفزت الترك لمجابهة هذا الشاه الافغاني والسلطان السني، فأخذ السلطان احمد الثالث العثماني يفاوض الشاه حسين وكان (دري افندي) أحد سفراء الترك والسفير المفاوض بينهما وقد ترك رسالة مفصلة عن مهمته في إيران. وقبل سقوط اصبهان بيد محمود خان وصلت الاخبارالى حسن باشا حاكم بغداد فأرسل هذا يعلم اسطنبول بذلك وشرع هو يستعد للدفاع فأصلح السور المتهدم وحفر الخنادق ويعث يهنئ الفاتح الافغاني متهكما، فأجابه هذا جوابا يظهر فيه احترامه للخليفة، وحسن نيته نحو حكومة ال عثمان. ومع ذلك كانت حكومة الاستانة تخشى من فتح الافغان لإغيران لأمرين:

١. تهديد العراق والامبراطورية العثمانية.

٢. احتمال ظهور فتن وقلاقل في البلاد العثمانية قد تنشأ عن وجود سلطان سني جاراً لها.

ولهذا وجدت ان لابد من الحرب، فدخلت في بادئ الامر في مفاوضات بين سنتي ١٧٢٢و ١٧٢٣م مع الافغان والفرس والروس لتكتسب وقتا ثم اضطرت، لما فشلت من المفاوضات السلمية ان تعلن الحرب رسميا مع الافغان سنة ١٧٢٣م. وتمكنت كذلك ان تستصدر فتاوى شديدة اللهجة تبرر حربها مع المغتصب الافغاني. وفي خريف تلك السنة اتفق الترك والروس مع الشاه طهماسب على ارجاع العرش اليه لقاء دفع نصف مملكته اليهم. وشرع كل من الترك والروس بتنفيذ المعاهدة المعقودة بينهم قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات على تقسيم مملكة إيران في القوقاس اي داغستان وكرجستان (جورجيا) وارسلت حكومة الاستانة اوامر مستعجلة للباشاوات في كردستان الشمالية وغيرها بالتجمع في (أرضروم) فوافق

على ذلك باشا الموصل وأمراء الكرد في كردستان الجنوبية وخالفه حسن باشا والي بغداد وابنه حاكم البصرة، إذ كان من رأيهما أن يجعلا العراق العربي قاعدة للهجوم لاحتمال وقوعه بيد الافغان قبل غيره فجاءهما الجواب بمهاجمة فارس من طريق (كرمانشاه) وتولى قيادة هذه الحملة حسن باشا وهو في السبعين من عمره مرغما ويدأ بالزحف الى كرمانشاه بطريق (خانقين) فانضم الى جيشه المدرب قوات أمراء الكرد وجيوش كركوك بقيادة (عبدالرحمن باشا) ولما اقتربت هذه الحملة من كرمانشاه خرج حاكمها (عبد الباقي خان) وسلم مفاتيحها للباشا دون مقاومة فاحتلها وفي ذات الوقت كتب (علي قلي خان) أمير أردلان الى بغداد يطلب مساعدتها، بيد أن العيون أخبرت حسن باشا أن هنالك مخابرة سرية تجري بين (سنه) والافغان فأرسل للحال (خانه باشا) البابانى لاحتلال اردلان ولما وصل هذا الى (سنه) استسلم اليه علي قلي خان واكثر اتباعه وسقطت أردلان. ثم أرسل عبد الرحمن باشا وأخاه علي بك على رأس حملة الى (لورستان) لتهاجم علي مردان خان الذي عزم على مساعدة طهماسب فاشتبكت معه بمعركة اسفرت عن انهزامه ثم استسلامه.

قضى الجند العثماني شتاء سنة ١٧٢٣ في كرمانشاه وفي اوائل الربيع توفي حسن باشا وكان قد لقب بفاتح (همذان) فبكاه الجند ثم نقل رفاته الى بغداد حيث دفن في جامع الامام الاعظم ابي حنيفة. وقد عين خلفا له احمد باشا وذلك بطلب اهالي بغداد فاكتسب بما لديه من حسن خلق ومرونة سياسية ثقة الجند وطاعتهم. وفي سنة ١٧٢٤م تقدم نحو همذان وأرسل طليعة لتستلم مفاتيحها ولما علم حاكمها الأمر خابر اصبهان. ولما لم ياته جواب، أمر بالحصار خلافا لرغبة سكانها الذين كانوا يرغبون في تسليمها للترك. وأظهر الجند شهامة كبرى في الدفاع عنها فلم ينجح الترك في هجوميهم الاول والثاني، ولكنهم استطاعوا في الهجوم

الثالث أن يحرقوا السور بمعداتهم الحربية في ثلاث جهات ودخلوا المدينة، واشتبكوا مع الجند المحصور بمعركة في الشوارع استمرت ثلاثة ايام عيد الاضحى انتهت بعقد معاهدة تقضي بجعل همدان ايالة تركية تدعو للخليفة، وعين عليها قره مصطفى باشا وهو الذي نقل من (طربزون) الى حاكمية شهر زور في كركوك لدى انتقال عبد الرحمن باشا من كركوك الى البصرة سنة ١٧٢٣م. وعلى اثر هذا الانتصار ارسل الخليفة كتابا بخط يده يشكر احمد باشا. وقد ظهرت بعد فتح همذان ثورات متعددة اشهرها ثورة لطيف ميرزا فقضي عليها (خانه باشا) البابانى والقي القبض على زعيمها وشتت شمل جيشه.

وبعد وفاة محمود خان الفاتح الافغاني خلفه اشرف خان الذي ارسل فورا يتهم الترك بكونهم السبب في تقتيل السنيين بعضهم بعضا فكان وقع هذه التهم على الرأي العام العثماني عظيما فخشي احمد باشا وغيره من القواد ان تثبط دعاية الافغاني عزائم الجند فأرسلوا تقارير اضافية عن ذلك الى اسطنبول. وفي هذه السنة اي عام ١٧٢٤م عاد احمد باشا الى العراق ليخمد نيران الفتن والقلاقل التي ظهرت فيه. وفي سنة ١٧٢٥م تقدم لفتح (لورستان) فقاومه واليها مقاومة خفيفة ثم فر هاربا فتوغل الباشا في اراضيه واستقبلته العشائر واظهرت له احترامها وطاعتها للخليفة ومنحت مندوبيه هدايا ثمينة. اما ما ذكره (جلبي زاده) بأن احمد باشا كان في صيف هذه السنة على رأس القوة المهاجمة امام (تبريز) فغير صحيح.

وفي الشتاء تقدم والي الموصل بقسم من الجيش واخترق بلاد (البختياريين) القاطنين على حدود ايالة (اصبهان) وقبل ان يصل اصبهان بثلاثة ايام التقى بحامية افغانية اوقفته عن التقدم إذ علم أن اللور – وهم البختياريون طوائف من الاكراد يقطنون لورستان الكبرى

والصغرى وتمتد حدودها من كرمانشاه في الشمال الى حدود (المحمرة) في الجنوب وجبال اصبهان في الجنوب الشرقي والعراق العربي في الغرب. إجتازوا حدود العراق العربي لينصروا قبائل بني لام وزبيد العربية فعاد بجيشه المنهك الى همدان. وفي صيف سنة ١٧٢٦م. عاد احمد باشا الى العراق لشؤون مستعجلة وعلم ان الحرب وقعت بين الترك والافغان.

ولم يتوان اشرف خان الذي كان ماهرا بنشر الدعاية في السلم عن نشرها في الحرب إذ اخذت رسله تمر بالمخيم التركي وتنشر الفتاوى الصادرة عن العاصمة الشرقية (اصبهان) دون وجل. وما حل الخريف إلاّ وقد ضعفت معنويات الجيش التركي بسبب هذه الدعاية. وقبل أن يعود احمد باشا الى إيران عين عسكرا ووضعت تحت تصرفه جميع البلاد الممتدة من (ديار بكر) الى (همدان والبصرة) اي معظم كردستان الكبرى والعراق العربي وقد بلغت جيوشه مائة الف (١٠٠٠٠٠) مجهزة بأجود الاسلحة يقابلها عشرون الفا (٢٠٠٠٠) من الافغان بينهم القليل من شجعان (قندهار) ومعظم اسلحتهم خفيفة.

ولما تقدمت جيوش احمد باشا من همذان نحو اصبهان (العاصمة) تراجع اشرف خان عنها إثني عشر ميلا. ووصلها الجيش التركي في ٢ تشرين الثاني وارسل احمد باشا طليعة لتشاغل الافغان ولكنها وقعت بأيديهم ولم يستطع الترك إنقاذها. وأرسل كذلك اشرف خان دعاة الى أمراء الاكراد في الجيش التركي يفاوضونهم على عدم الاشتراك في القتال لقاء منحهم اقطاعيات واسعة في إيران. ثم جاء بعدهم اربعة من علماء الافغان واجتمعوا بالباشا يتفهمون اساب القتال ولما حانت صلاة العصر خرجوا الى المعسكر التركي وصلّوا بالجند فكان لعملهم هذا وقع كبير في نفوس المصلين. ثم عادوا بعد الصلاة الى مخيمهم يتبعهم قسم كبير من الاكراد ولما ادرك الباشا هذه النتيجة خشي عاقبة التطويل فأمر بالحرب وولى ميمنة الجيش خانه باشا احد أمراء البابان والميسرة محمد باشا

واثنين من اسرة (الكوبريلي).

وفي شروق اليوم الثاني اطلقت عشر قنابل إيذانا بهجوم الترك وما أن تحامى النهار حتى ظهر تأثير الدعاية الافغانية وامتنع الجيش التركي عن الحرب عدا فرقة البابان التي استمرت بالقتال حتى الظهر ثم جاءتها اوامر بالانسحاب. وقتل من الاتراك في هذه الحرب إثنا عشر الفا واربى عدد المسالمين والمنهزمين والمتمردين على ضعف هذا العدد. وقد عاد جميع الاكراد الى اوطانهم وتراجع احمد باشا الى كرمانشاه تاركا وراءه الاحمال الثقيلة فتبعه اشرف خان بصورة المودع الى أن أوصله أبواب كرمانشاه وهنا اطلق اسرى الترك دون اي اتفاق او طلب واعاد الذخائر والامتعة واتبع عمله النبيل هذا بقبول الصلح معهم.

لم يكن موجب لهذه الحرب من البدء لولا حب الانتقام في نفسية احمد باشا ورغبة الحزب العسكري في اسطنبول ولهذا قرر الترك مقاومة الافغان مهما كلفهم الأمر فجردوا جيوشاً اخرى وارسلوها الى بغداد فوصلتها بوصول احمد باشا الى كرمانشاه. وفي اوائل صيف سنة ١٧٢٧م بلغ عدد الجيش المجتمع في بغداد (٦٠٠٠٠). وفي ايلول تلك السنة عاد احمد باشا مرة اخرى الى إيران فمر بكرمانشاه واقترب من همذان لمفاوضة الافغان وقد جاء لهذه الغاية وفد من الاستانة ففاوض الافغان وعقد معهم معاهدة تقضي:

١. بضم كرمانشاه وأردلان ولورستان (جميع كردستان الشرقية) الى الدولة العثمانية.

٢. باعتراف الخليفة باشرف خان ملكا على إيران تابعا لسلطته الدينية.

عاد احمد باشا بعد عقد هذه المعاهدة الى العراق تاركا قسما من الجيش لحماية الاملاك الجديدة واخذ القسم الاخر ليخمد الفتن التي ظهرت في العراق وكذلك عاد اشرف خان من همدان ليخمد الثورات التي ظهرت داخل إيران.

(نادر - طهماسب قلي) ومحاصرة بغداد

إستطاع الافغان أن يستولوا على عرش إيران لفساد أمور الصفويين وضعف نفوذهم فانضمت العشائر اليهم ومعظمها من اهل السنة. وكانت سرعة الافغان في حركاتهم سببا كبيرا في نجاحهم. غير أن بلاد إيران شاسعة تتطلب قوة كبيرة من الجيش لتحفظ الامن فيها وتقمع الثورات التي كانت تظهر من حين لاخر فضلا عن احضار الجنود من بلاد الافغان لم يكن من السهولة بمكان نظرا لفقدان طرق المواصلات وبعد المسافة ووعورتها، بين إيران وافغانستان ولهذا كان من البديهي ان لا يدوم حكم الافغان في إيران اكثر من عشرة اعوام اصطدموا في نهايتها مع (نادر – طهماسب قلي) اعظم قواد اسيا في زمانه.

حياة (نادر – طهماسب قلي)

ولد نادر في خراسان سنة ١٦٨٨م من اسرة متوسطة الحال اختلف في اصلها بين الكردية والأفشارية والمعروف انه نشأ بين قبائل الافشار وقضى حياته الاولى في رعاية الاغنام والمواشي ثم في قطع السابلة، ومنها لقيادة فرقة غير نظامية وله من هذه الناحية شبه كبير بالنبي داود عندما انقذ بني اسرائيل من الفلسطينين وقبل ان يلتحق بطهماسب الصفوي، الف قوة من رجاله المخلصين بلغ عدد رجالها سنة ١٧٢٧م (٥٠٠٠) من شجعان الكرد والافشار وبهذه القوة التحق بطهماسب في (فرح اباد) حيث اناط به امر إعادة (خراسان) فذهب استردها دون كبير عناء. ولم تمض عليه اسابيع قليلة بعد ذلك حتى منحه طهماسب لقب (خان) وعينه قائدا عاما لجيوشه واسند اليه امر ارجاع إيران من الافغان مغتصبي البلاد. فنازلهم عام ١٧٢٩م وكسرهم شر كسرة مرتين واعاد

منهم (اصبهان) وتخطئ (جهان كوسه) حين تذكر ان جيشا قويا من الترك على رأسه حاكم (همذان) أسعف الافغان في هذه الحرب و كان اخر موقف للافغان بعد اصبهان بالقرب من (شيراز) حيث قضى على قواتهما والقى القبض على اشرف خان ثم قتله ويقتله اجليت أسرة (الغيلزاي) عن إيران واعيد الصفوي الى العرش بقوة ذلك الكردي – الافشاري الطموح وبعد إرتقاء طهماسب العرش أرسل سفيرا الى الاستانة يطلب اعادة كردستان الشرقية. وفي أثناء المفاوضة وصلت الى عاصمة العثمانيين اخبار من إيران تؤكد وقوع الحرب بين الفرس والترك وان نادر خان يصر على استرجاع ما اخذه الترك لغاية العراق. وفي سنة ١٧٣٠م هاجم نادر خان الجيوش التركية المرابطة في همدان وهزم عثمان باشا الذي تراجع لينضم الى قوى زميله (تيمور باشا) فتبعه وقاتل الاثنين معا وتغلب عليهما واستولى على همدان وغنم اسلحة كثيرة ودخل المدينة بهتاف عظيم. تراجعت الحامية التركية الى(كرمانشاه) ثم الى (زهاب) ثم الى (خانقين) على الحدود القديمة. وفي الوقت الذي وصلت فيه اخبار التراجع الى احمد باشا وصلته انباء اعلان الحرب على الفرس من قبل السلطان احمد الثالث فشرع يجمع الجيوش في (زهاب) ثم هاجم (كرمانشاه) واستولى عليها دون مقاومة واسترد كذلك (أردلان).

يذكر (فون هامر) في كتابه تاريخ الدولة العثمانية صفحة (٢٥٣) أن سر عسكر هذه الجيوش كان (علي باشا حكيم زاده) ولكنه يناقض نفسه في صفحة (٢٥١) كما ان المصادر الفارسية والتركية تناقضه ايضا حيث تؤكد بأن السر عسكر هو احمد باشا. ولما علم طهماسب بدخول احمد باشا إيران واحتلاله (كرمانشاه) و (أردلان) وجد ان لا مندوحة له من مقابلة العدو بسبب غياب نادرخان في (خراسان) فاسرع للجنوب تاركا (أريفان) حيث كان مقيما. ولما إقترب من (همدان) كانت جيوش الباشا قد وصلتها

وضربت خيامها خارجها. فأرسل احمد باشا يفاوضه فامتنع فوقعت الحرب في ١٦ ايلول سنة ١٧٣١م في (قوريجان) على بعد يوم من (همدان) انتصر فيها احمد باشا بعد ان اوقع الخسارة بنصف الجيش الفارسي واسترجع جميع الاسلحة والذخائر التي اكتسبها منهم نادر خان سابقا. ولم تزد خسارة العثمانيين في هذه المعركة على الف شخص. وكان بين قتلى الفرس نبيلان احدهما حاكم شيراز والاخر حاكم تبريز وبعد هذا الانتصار دخل العثمانيون (همدان) وانيط بامير(العمادية) الكردي و (يودا) (ماردين) امر جمع الاسلحة والذخائر وتثبيت الحكم العثماني. وكلمة (ويودا) كلمة سلافية يلقب بها ولاة الترك في ولاياتهم الاوروبية ولا تطلق في الولايات الاسيوية الا على حاكم (ماردين).

ولم يستطع طهماسب بعد هذه المعركة الوقوف امام الجيش العثماني كما ان احمد باشا لم يجرأ على التوغل في اكثر من همدان. وفي الوقت الذي احرز به احمد باشا هذا الانتصار ارتقى السلطان محمود العرش العثماني فأرسل تهانيه الى الباشا. واسرع الوزير الاعظم بإرسال أوامر الى احمد باشا من اجل عقد الصلح مع الفرس خشية ان يعود نادرخان ويستأنف الحرب التي لا يريدها الترك لعدم استقرار الحالة السياسية في الاستانة. فشرع احمد باشا يفاوض الشاه من بدء خريف سنة ١٧٣١م حتى (١٠) كانون الثاني سنة ١٧٣٢م حيث عقدت معاهدة بين الطرفين تقضي:

١. إعادة تبرين، واردلان، وكرمانشاه، وهمدان، والحويزة، ولورستان الى الدولة الايرانية.

٢. قبول الحدود المتفق عليه في زمن السلطان مراد الرابع.

وفي خريف سنة ١٧٣٢م ارسل نادر خان كتابا الى احمد باشا يقول له فيه بلهجة الفاتح وروح الظافر. (إعلم يا باشا بغداد، إننا نطلب حقا لا مراء

فيه، نطلب زيارة قبور الائمة وتسليم اسرى الفرس في الحرب الاخيرة أما نحن فسنتقدم في القريب العاجل على رأس جيشنا الظافر لاستنشاق نسيم سهول بغداد العطر ونتفيأ تحت ظلال اسوارها).

والذي جعل نادرخان ان يوقع بالنيابة عن الشاه هو خلعه لطهماسب – بسبب إنكساره في معركة سنة ١٧٣١ وتسليمه همدان وعقد معاهدة تدل على الضعف – وتنصيبه الطفل عباس ميرزا شاها يتولى هو نيابة الشاهية.

وعندما وصل كتاب نادرخان الى احمد باشا أسرع الى تحصين ممرات الحدود في درنه وبدره ومندلي، وضاعف قوات زهاب وقصر شيرين واصلح مستودعات المدينة واسوارها ثم كتب الى الاستانة ينذرها بدنو الخطر الايراني أما نادر خان فقد أسرع بعد ارسال كتابه للباشا الى همدان حيث اجتمع إليه أمراء الاقطاع والنبلاء بجيوشهم فبلغ جيشه بهم مائة الف، سار على رأسهم الى كرمانشاه حسب رواية (هانوي) الذي يعتقد أنها كانت بيد الترك. وهذه الرواية قد تصح اذا اعتبرنا أنها لم تسلم الى الفرس حتى ذلك التاريخ رغم ان المعاهدة الجديدة تنص على إعادتها إليهم. وبعد كرمانشاه تقدم نادر خان الى زهاب بعد أن ترك مدافعه الثقيلة في (ماهي دشت) ولما اقترب من الحامية التركية في زهاب استفاد من حلكة الليل فطوقها واجبرها على التسليم في الصباح دون مقاومة، ثم أسرع بجميع قواته الى العراق.

وعندما علم أن احمد باشا قد حصّن بغداد أرسل قوات الى كركوك والموصل بقصد اشغالهما والحيلولة دون ارسال الامدادات الى بغداد. فتقدمت هذه القوات من (توز خورماتو) وسلبت قرى كركوك وواصلت فرقة منها سيرها الى الموصل فاضطرها الحاج حسين الجليلي حاكمها على التراجع فعادت الى القوات الجنوبية. وفي الاسبوع الاول من كانون الثاني

سنة ١٧٣٣م تقدم نادرخان من بهروز واجتاز ديالة بعد أن قضى على الحامية التركية على بكرة ابيها ثم تصادم مع الفرقة المرسلة بقيادة باشا كويسنجق من بغداد فقتل قائدها وهزمها ثم سار الى بغداد فحاصرها واستولى على ناحية الكرخ فاشتد الجوع بالمحصورين وارتفعت اسعار الحاجيات عندهم. وكان الحصار في ١٩ اذار سنة ١٧٣٣م وهو يوم عيد رأس السنة الايرانية وقد وصل في ذلك اليوم شيخا بني لام والحويزة لتقديم التهاني الى نادرخان فاستقبلهما استقبالا فاخرا وأعادهما بأوامر لمهاجمة البصرة. ولما علم أولو الأمر في الاستانة بمجئ نادرخان الى العراق ومحاصرته بغداد اسرعوا بارسال عثمان باشا على رأس قوة يربو عددها على ثمانين الفا. وعثمان باشا هذا ولد في بلاد اليونان ودرس في الاستانة وشهد معارك كثيرة اصابته فيها جروح كثيرة في قدمه اعجزته عن السير فلقب من اجلها (طوبال عثمان باشا) وقد تقلب على مراكز عالية في عاصمة الخلافة.

وصل عثمان باشا الى جنوب كركوك وقطع نهر العظيم وفي ١٩ تموز اشتبك مع نادرخان وانتصر عليه رغم انفصال أمراء الكرد عنه. فعاد نادرخان الى (همدان) ونظم جيشه ثم عاد الى العراق بطريق كرمانشاه لينتقم من عثمان باشا تاركا امر بغداد لوقت اخر إذ يحتاج فتحها الى وقت طويل فذهب مباشرة الى عثمان باشا وضربه ضربة قاضية في معركة قتل فيها الباشا وسقطت معظم اسلحته وجنوده بيد الفرس فكان لهذا الانكسار وقع مؤلم في اسطنبول حيث اجتمع أولو الأمر ورجال الحرب مرة ثانية وقرروا إرسال عبدالله باشا كوبريلي سر عسكرا بدل عثمان باشا.

ولم يبق بعد هذا الانتصار الذي احرزه نادرخان الا المضي الى بغداد فقطع نهر (الحاسا) الخالص وارسل مفرزة لمشاغلة احمد باشا الذي رفض

قبول جنود عثمان باشا المنهزمين الى بغداد فأرسلهم مع عائلته الى البصرة. وفي هذه المرة ايضاً عاكس الحظ نادرا فقرر العودة الى إيران ليخمد نار الثورة المندلعة في اقليم فارس في جنوبي إيران. وكان هدف الثوار إعادة الصفويين الى العرش. وقبل العودة عقد معاهدة مع احمد باشا تنص على قبول حدود السلطان مراد الرابع ومبادلة الاسرى فعاد الخان بعد ان زار الاماكن المقدسة في العراق مسرعا لإخماد نار الثورة.

وبعد ان اصبح عبدالله كوبريلي سر عسكر اسيا تقدم بجيوشه القوية ورابط في كردستان الشمالية وأمر بنقل احمد باشا والياً الى حلب جزاء له على عقد معاهدة مع نادرخان. وقد رجح احمد باشا (أورفا) على حلب وذهب اليها وفي عام ١٧٣٤م. تقدم نادرخان الى الحدود التركية بعد ان قمع الثورة في فارس فحاصر مدن (تفليس) و (اريوان) و (كنجه). وفي حزيران سنة ١٧٣٥م التقى بجيش عبد الله في (باغوند) قرب مدينة (قارص) ونازله فغلبه وقتله مع عدد عظيم من جيشه واحتل المدن المحصورة واتجه شمالا لفتح كرجستان (جورجيا) وداغستان. ولما وصل خبر هذا الانكسار المريع الى ولاة الأمر في اسطنبول اسقط في يدهم وندموا ولات ساعة مندم على رفضهم معاهدة كانون الثاني سنة ١٧٣٣م. فاضطروا أن يعيدوا احمد باشا الى اسمى مركز بآسيا التركية وفوضوه عقد الصلح مع نادرخان فغادر (أورفا) للحال الى (ارضروم) ودخل مع نادر في المفاوضة فلم يتوفق لأن مطالب الايراني كانت شديدة. وقد استمرت المفاوضة ستة اشهر ثم قطعها نادر وذهب الى قتال الروس ومازال يناوئهم حتى استرجع جميع مقاطعات بحر قزوين. وفي ١١ اذار سنة ١٧٣٦م نودي به شاهاً على إيران وقد صرح في خطبة العرش التي القاها في حفلة تتويجه بالمطالب التي كان يفاوض بها الاستانة وكلها تدور حول قبول الشيعة مذهباً خامساً في الاسلام يعرف بالجعفري.

وقصده من ذلك زيادة نفوس أسرته السنية وتوحيد عناصر جيشه المؤلف من الكرد والافغان والتركمان بصورة تضمن له مؤازرة الشيعة المتمسكة بالصفويين. وقد قبل السلطان هذا المطلب اخيرا بكل سرور وأمر احمد باشا أن يعقد المعاهدة حسب الشروط الاتية:

١. قبول الشيعة مذهباً خامساً في الاسلام يعرف بالجعفري.

٢. تعيين أمير حاج خاص للايرانيين.

٣. اطلاق سراح الاسرى.

أما الحدود فبقيت على ما كانت عليه في اتفاقية السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٩م ووقعت المعاهدة الجديدة في ١٧ تشرين الاول سنة ١٧٣٦م. وعاد احمد باشا لحكم بغداد بعد غيابه عنها عامين.

تفرغ نادر بعد عقد هذه المعاهدة للفتوحات في الشرق فاتجه الى الهند وكانت انتصاراته فيها تتوالى. وفي سنة ١٧٣٨م كتب الى السلطان العثماني من (قندهار) يطلب اعادة دياريكر وكردستان ارمينية فلم يجبه. وفي سنة ١٧٤١م طلب السفير الايراني رسما من الحكومة التركية قبول الجعافرة في الاسلام فرفض السلطان مدعياً أن الجعافرة كفرة فتحرج الموقف بسبب ذلك بين الدولتين وعاد الشاه، دون اعلان الحرب رسميا واخترق الحدود بطريق (مندلي) وهدد بغداد. وفي ربيع سنة ١٧٤٣م كتب الشاه الى احمد باشا وقد اصبح يحترمه قائلا (انني لا اريد بك ضرا ولا بمدينتك شرا انت لست خصمي فالسلطان مقصودي) فأجابه احمد باشا (افتح الموصل أسلمك بغداد) وبناء على ذلك تقدم نادر شاه الى الموصل وحاصرها فدافع عنها حاكمها الحاج حسين باشا الجليلي وولداه مراد وامين دفاعا مجيدا. ووالى الايرانيون هجماتهم عليها واستطاعوا ان يهدموا قسما من السور ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة. ولما شاهد نادر شاه كثرة التطويل وحسن مدافعة الجليلي عدل عن مقاومتها

وسار جنوبا الى بغداد ولما اقترب منها انعزل عن جيشه وسار منفردا الى (المعظم) ومنه الى الاماكن المقدسة حيث شرع بالمفاوضة وفي اثناء ذلك وردته انباء نشوب الثورات في بلاده واستعداد الاتراك في الشمال فعاد مرغما، ماراً بـ(سنه) بعد ان ترك قسما من جيشه في كركوك فخذله الترك فيها.

ولما وصل نادر شاه (اذربيجان) نازل الترك في كردستان الشمالية. وفي سنة ١٧٤٥م حاصر (قارص) وقهر جيش يحيى باشا. وعلى اثر هذا الانتصار طالب نادر شاه بقبول الجعافرة في الاسلام وإعادة مدينة (وان) وبقية كردستان والعراق بمدنها المقدسة وفي سنة ١٧٤٦م إنحصرت مطالب الفرس بمدينتي (كربلا) (والنجف). وفي ايلول من هذه السنة كان الشاه بمقاطعة (قزوين) فكتب الى السلطان من مخيمه يطلب عقد معاهدة تقضي بقبول الحدود كما كانت والتنازل عن مطالبه الدينية وتبادل السفراء فقبل السلطان هذه المقترحات بسرور عظيم وارسل (قيصري يه لي احمد باشا) احد رجال البلاط ومشاهير الساسة في تركيا لمفاوضة الشاه. ولما وصل الى أردلان سمع بمقتل الشاه في ٢٣ حزيران سنة ١٧٤٧م. فعاد من (سنه) بطريق (قلاجولان) الى بغداد تاركا ايران تتمخض بفتن داخلية وحروب اهلية إستمرت عصرا كاملا.

يروي اللورد كرزون صاحب كتاب الفرس وفارس أن الشاه ذهب الى خراسان ليخضع ثورة اكراد مقاطعة (قوجان) فاغتاله كردي في خيمته وقضى على حياته ولم يستطع جيشه بعد ذلك أن يخضع ثورتهم.

موقف امراء الكرد اثناء هذه الحرب

خانه (خانك) باشا البابانى

إزداد نفوذ البابان اثناء هذه الحرب بظهور شخصيتين بينهم اتصفتا بالحزم والاقدام وهما خانك باشا واخوه خالد باشا. وخانك باشا أو (خانه باشا) كما مّر ذكره هو ابن بكر بك ارتقى حاكمية (قلاجولان) سنة ١٧٢١م. ولما احتل العثمانيون أردلان ولوه عليها فترك (قلا جولان) لأخيه خالد باشا وذهب الى (سنه) فانتشر بذلك النفوذ البابانى من (كركوك) الى (همدان) وكانت مدة وجود (خانك) باشا في (أردلان) اربعة اعوام وليها بعده ابنه وقد اشتهر كلاهما بالعدل والرحمة.

وفي عام ١٧٣٠ قضى نادر شاه على حكمهما وفي سنتي ١٧٣٣و ١٧٤٣م. احتل الاردلانيون (شهرزور) وعينوا عليها حكاما اجانب فرقوا الاسرة الحاكمة الى حزبين احدهما هواه مع الحكومة الايرانية. وأول باباني التجأ الى نادر شاه هو سليم باشا فعينه على (قلا جولان) سنة ١٧٤٣م فابقى (شهرزور) سنة واحدة بيد الايرانيين ولما خرج هؤلاء من العراق شرع الاخوان سليم باشا وسليمان باشا ابنا خالد باشا يختصمان على حاكمية البابان. وقد كان موقف احمد باشا والي بغداد موقف المناصر لسليمان على اخيه الذي التجأ الى نادرشاه وبذلك اظهر ميله للسياسة الايرانية.

استطاع البابان اثناء الحروب التركية – الايرانية هذه أن ينشروا نفوذهم شمالا حتى (رواندز). وبعد أن كانت امارتهم محصورة سنة ١٦٠٠م في بقعة صغيرة امتدت الان الى سهل (الحرير). وفي سنة ١٧٣٠م

استولى خالد باشا على (كوي) بعد ان بقيت مستقلة حتى تلك السنة تحت امرة اسرة (سوران).

ابو ليلى والكرد

توفي احمد باشا سنة ١٧٤٧م. وارتقى مملوكه الكرجي سليمان ابو ليلى الى رتبة الباشاوية والميرميرانية وأرسله السلطان محمود واليا على(اطنه – أدنة) فبقي فيها بضعة سنين ثم عاد الى بغداد وضبط الامن فيها بيد من حديد واستكثر من مماليك الكرج في الوظائف العالية.

وفي أيامه كثر مجئ الكرج من ولاية (تفليس)واللاز والابازة من شواطئ البحر الاسود والقوقاس الشمالي. فأفتتح لهم مدارس خصوصية لتدريبهم على مهام الامور وقد اوجد بهذا كتلة مخلصة اعتمد عليها في الشؤون الداخلية. وفي عام ١٧٥٠م. ساق جيشه وجيش الموصل الى كردستان الجنوبية واضطر بعد ذلك بخمس سنين أن يسوق حملة اخرى على قبائل اليزيدية الاكراد في جبل سنجار انضم اليها امين باشا ابن الحاج حسين باشا الجليلي وقد كُتب له النجاح في اخماد الثورتين.

الفصل السابع

اليابان وايران

سادت الفوضى في إيران بعد مقتل نادرشاه وكثر طلاب العرش الذين جّردوا قواهم وثاروا في اماكن مختلفة، يخضع القوي منهم الضعيف الى أن انحصر عددهم في ثلاثة: الاول زعيم من أتراك (القاجار) في (اذربيجان) والثاني قائد افغاني من قواد نادر شاه والثالث كردي من عشائر الزند. وقد كان الحكم في انتخاب أحدهم الشعب فانتخب الزندي لحسن اخلاقه وكرمه وعدله وشهرته الواسعة وأضحى في سنة ١٧٥٧م حاكما مطلقاً في إيران واسماعيل الصفوي شاهاً بالاسم وألعوبة بالفعل.

بعد أن استأثر كريم خان الزند بسلطة ايران الحقيقية جعل نفسه وكيلا للشاه وحكم البلاد عشرين عاماً واتخذ (شيراز) عاصمة له.

يقول جودت باشا التركي في تاريخه، أن كريم خان، على ما قيل هو أحد الانفار الذين اخذهم نادر شاه من عشيرة الزند الكردية، وهم من القوم السالكين مذهب الغرابية من غلاة الشيعة المستوطنين في جهات شيراز، وأنه خدم نادر شاه مدة وخدم ابن اخيه (عادل شاه) وغيرهما واحرز رتبة (أونباشي) ثم تدرج الى (بيكباشي) وبعد ذلك انتهز فرصة الثورات الاخيرة ولقب نفسه خانا وتغلب على غيره وصرف النظر عن لقب (شاه) واحرز الاستقلال باسم وكيل شاه إيران، واتخذ شيراز عاصمة للحكومة وأخذ رهائن من أبناء الامراء وأقاربهم المتحيزين في إيران ووجه اليهم المناصب والايالات فقوى بذلك مركزه فحكم هو وابناؤه مدة اربعين سنة.

ويعرفون في تاريخ إيران بالزندية.

ثم يقول كذلك ان طوائف (لور) والـ(بختياري) والـ(لك) والـ(كرد) تشعبوا من اصل واحد وانقسم كل منهم الى بطون عديدة وتمتد بلادهم من (ديار هرمز) الواقعة في ولاية شيراز الى جوار ملطية ومرعش. ولما جلس كريم خان الزند على عرش إيران ثارت في نفوس هذه الطوائف المذكورة غيرة الاتحاد المقوية لنفوذه وافتخروا بظهور ملك مثله منهم فمالوا وانجذبوا اليه جميعا ولهذا أمسى امر المحافظة على بلاد الاكراد في تركيا يحتاج الى حامية قوية عظيمة وكانت حكومة بغداد المنوط بها امر المحافظة على بلاد الاكراد مختلة النظام وأصبحت تلك الجهات في حالة حرجة. ولما اتصل خبر كريم خان بالدولة العلية صادقت على حكومته في إيران. وفي ابتداء جلوس السلطان عبد الحميد خان أرسل له رسولا خاصا حاملا رسالة همايونية يهنئه فيها بجلوسه الشاهاني. ولما اشتد النزاع بين خانات إيران بسبب الفوضى الحاصلة في البلاد اضطرب الشعب وطلب سكان اذربيجان الحماية من الدولة العلية العثمانية ورغبها البعض في الاستيلاء على بعض انحاء إيران ولكنها احترمت العهود المعقودة في زمن نادرشاه وامرت القواد على الحدود ان لا تجري حركة مخالفة للمعاهدة. وبذلك أمن كريم خان جانب الدولة ولكن هذا السكون لم يدم طويلا فقد حدث توتر بين السياستين بسبب مصالح بلاد الاكراد.

أعمال كريم خان

انحصرت اعمال كريم خان في تحسين البلاد واسعاد ابنائها. ولم يفكر في غزو العراق الا في اواخر حكمه، وقد كان على اتصال بأبي ليلى(سليمان باشا) وبادله الهدايا وفي ايام عمر حاكم بغداد وهو المملوك الذي خلف سليمان ابي ليلى اشتركت جيوش كريم خان مع جيوش بغداد في اخضاع قبيلة (كعب) العربية في جنوبي العراق. وكان حقد العثمانيين

طيلة هذه المدة يزداد على الخلفاء زيادة متواصلة فشعر بها الايرانيون واستاءوا من:

١. خشونة العثمانيين في معاملة حجاج الشيعة. واخذهم ضريبة باهظة عليهم في درنه لقاء دخولهم العتبات المقدسة في العراق.

٢. تهديد حياة حجاج الشيعة في الاراضي العثمانية.

فاحتج كريم خان على سوء هذه المعاملات وهدد باشا بغداد. وقد أضاف الترك سيئة اخرى الى سيئاتهم بتحويل تجارة الخليج الفارسي من (بوشير) و (بندر عباس) الى (البصرة). وقبل البدء بذكر الحرب الجديدة بين الترك وإيران لابد من ذكر موقف حكومة (قلاجولان) لما له من علاقة مباشرة في هذه الحرب.

تغلب سليم باشا البابانى سنة ١٧٤٧م على اخيه سليمان باشا وعلى جيش احمد باشا والي بغداد واسترجع (قلا جولان) وغزا اراضي العراق وظل عدة سنين يهزأ بحكومة بغداد. وفي سنة ١٧٥٠م تقدم أبو ليلى لخضد شوكة سليم باشا وحاربه في اربع معارك انتهت بفوز ابي ليلى وفرار سليم باشا الى إيران فعاد سليمان باشا الى (قلا جولان) وحكمها مدة اربع عشرة سنة متقطعة. ويعد سليمان هذا من اعاظم البابان وقد راعى مساعدة ابي ليلى له، بأن ابقى جيشه تحت تصرفه مدة حكمه. وكانت عادلة خانم ابنة احمد باشا وزوجة ابي ليلى من المستائين من عمل سليم باشا فأصرت على الانتقام منه ودعته الى بغداد بصورة ودية وهناك جرى قتله غدرا. وبموته لم يبق منافس لسليمان باشا سوى محمد باشا بن خانك باشا فتغلب هذا على خصمه سنة ١٧٦٠م. واغتصب منه (قلا جولان) فعاد سليمان باشا والتجأ الى بغداد ورجع منها بقوة كبيرة لقتال محمد باشا فاجتمع بجيشه على شواطئ نهر (نارين) فتغلب عليه وأسره ثم أعدمه.

موت ابي ليلى وانتقاض البابان

زال بموت ابي ليلى الكابوس الذي ابقى البابان تحت طاعة بغداد فشرعوا يغزون اراضي العراق العربي فانذرهم علي باشا المملوك الذي خلف عمر على بغداد ولم يكفوا عن غزواتهم فساق عليهم جيشا. خرجوا لملاقاته بجيش يبلغ اربعة الاف فارس وثمانية آلاف مشاة مجهزين بالمدافع فالتقوا به قرب (كفري) واشتبكوا معه بمعركة اسفرت عن انكسارهم وفرار سليمان باشا البابانى مع ثمانين من اتباعه الى إيران فالتجأ الى حكومتها فامدته بجيوش كرمانشاه وعاد بها الى الاراضي العثمانية واسترد امارته.

وفي سنة ١٧٦٣م غزا أردلان فغلبه اميرها وكبده خسائر فادحة. وفي السنة التالية نال رضاء كريم خان فولاه (سنه) سنة واحدة قتل فيها وخلفه ابنه علي باشا باشارة من كريم خان وتولى اخوه محمد باشا (قلا جولان) فأحدث هذا التدبير تنافسا بين الاخوة اولاد خالد باشا محمد واحمد انتهى بمعارك شديدة تغلب في نهايتها محمد سنة ١٧٧٤م على اخيه احمد حاكما إذ ذاك على (كوي) فجاء الى بغداد والتجأ الى واليها المملوك عمر فأمده بجيش لاسترداد (قلا جولان) فعاد وحارب اخاه وتغلب عليه واجبره على ان يفر الى (سنه). كانت هذه التقلبات في سياسة البابان وبغداد مع العوامل المار ذكرها في معاملة حجاج الشيعة اسبابا كافية لإعلان كريم خان الحرب على الدولة العثمانية.

الحرب الفارسية - التركية

أرسل كريم خان جيشا يبلغ اربعة عشر الفا بقيادة (علي مردان خان) الى كردستان الفارسية أو أردلان ليجتاز منها الى الاراضي التركية ويعيد

محمد باشا البابانى الى مركزه. ولما علم والي بغداد بذلك أرسل قوة كبيرة انضمت الى جيش (قلا جولان) واصطدمت مع قوة الشاه فغلبتها واسرت علي مردان خان فجئ به الى بغداد ومنها اعاده الوالي الى الشاه فأعلن الحرب بصورة رسمية وخرجت جيوشه الى بلاد البابان وغيرها من مقاطعات الحدود فكبدت (باجلان) و (درنه) خسائر فادحة وافتتحت (شهرزور) واعادت اليها محمد باشا البابانى وبعد ذلك تقدمت هذه الجيوش الى كركوك وهددت حاميتها وسقطت (بدره) و (مندلي) بيد خانات كردستان وامرائها.

ولما علمت حكومة الاستانة بالخبر أعلنت هي ايضا الحرب رسميا على إيران وارسلت عبدالله باشا الطويل والي دياربكر والياً الى بغداد ونقلت عمر باشا المملوك مكانه وكذلك نقلت حسن باشا حاكم (ماردين) وكخيا ابي ليلى الى (كركوك) وجعلته حاكما عاما على كركوك والموصل ثم منحت كلا من عبدالله باشا وحسن باشا سلطة واسعة في اتخاذ التدابير اللازمة لمقاومة الايرانيين واخراجهم من العراق.

فكان اول عمل لحسن باشا الاعتماد على الاخوين محمد حاكم (قلا جولان) واحمد حاكم (كوي) بالرغم من أن كليهما لم يكن مستقرا في سياسته مع الحكومتين الايرانية، والعثمانية. فأرسل احمد الى كرمانشاه بطريق (زهاب) ومحمد من (قلا جولان) الى (سنه) فدخل هذا إيران وتغلب على جيش أردلان وكبده خسائر فادحة ونهب مدينة (بانه) ثم اشتبك مع خسرو باشا الاردلاني ففاز عليه فوزا مبينا، وهرب خسرو الى الجبال وتحصن فيها.

كان لهذا الانتصار تأثير حسن في الاستانة وارسل السلطان هدايا قيمة الى محمد باشا مكافأة على ما احرزه من النصر. أما احمد باشا فقد انضم الى الجيش الايراني الذي ارسله كريم خان بقيادة (قلب علي خان) أمير

لورستان. فتقدم هذا الجيش الى أن ضرب قوة محمد باشا وهزمها وظل في أثرها الى أن استولى على شهرزور فعاد احمد باشا الى إمارته غير أن اخاه محمد باشا ما لبث أن هاجمه بمعاونة حاكمي(كوي) و (كركوك) فلم يفلح. وقد كتب احمد باشا بعد ذلك كتابا الى حسن باشا بلهجة المنتصر يعتذر اليه على ما حدث ويطلب منه تأييده على امارة (شهرزور) فأجابه بالموافقة. وبذلك نال احمد باشا تأييد الفرس والترك على امارته في (شهرزور)، ولكنه لم ينج من هجمات باشا (كوي) السوراني واخيه التي كانت تترى رغم خذلانهما.

ولما ثار والي بغداد على اسطنبول جاءت أوامر الى حسن باشا بتجريد حملة تأديبية عليه. فكتب الى احمد باشا في (شهرزور) يستمده العون فجاء ولكنه توفي في الطريق وقام بأمر الحملة بعده اخوه الصغير محمود باشا فعزله بعد ازال سوء التفاهم مع اسطنبول ونصب ابن اخيه ابراهيم موضعه ولم يقف محمود باشا تجاه هذه التدابير مكتوف اليدين فأرسل ابنه عثمان يفاوض كلا من عثمان كخيا حسن باشا وحاكم كركوك لأحداث ثورة مشتركة فنجح في مهمته وصلت هذه الاخبار الى سليمان باشا الكبير والي بغداد وتقدم الى كركوك حيث انضمت اليه قوة الموصل وقوى المتنافسين من البابان ولم يسع محمود باشا تجاه ذلك إلاّ أن يقبل بشروط الوالي ويحقن الدماء واعيد الى مركزه بعد مرور عام على ذلك وباشر في توسيع امارته فضم (كوي) اليها رغم انها كانت ممنوحة الى محمود بك السوراني ووسع حدوده بضم قسم من اراضي امارة (رواندز) المنافسة الكبرى لامارة البابان اليه. وثار سنة ١٧٨٣م ونقض الاتفاقية المعقودة بينه وبين سليمان باشا والي بغداد. فساق الوالي وهو احد المماليك جيشا لاخضاع الثائر وقد انضم اليه قواد الملحقات واشهرهم ابراهيم باشا الكويي. ولما وصلت هذه القوة وطن الثائر لم تلق مقاومة

لأن اتباع محمود باشا تخلوا عنه وطردوه من حصونه ففر الى إيران حيث مات فيها ميتة شنيعة. وعاد الجيش بعد استتباب الامن وذهب عثمان باشا ابن الثائر الى بغداد وقدم خضوعه للوالي. وقد نصب ابراهيم باشا ابن اخ الثائر للمرة الثانية على إيالة البابان.

ابراهيم باشا

هو ابن احمد باشا البابائي وهو الذي أنجز عمران بلدة السليمانية التي بدأ بإنشائها عمه محمود باشا سنة ١٧٨١ وقد سماها سليماني تخليدا لذكرى سليمان باشا الذي كان اكبر عون له في توليته امارة البابان. وبعد أن انجز بناء المدينة حصن مركزه الاداري واضاف اراضي واسعة من مقاطعات زهاب وقصر شيرين وخانقين الى إمارته. ولم يرق للكثيرين من ملازميه سكنى المدن والانفصال عن العشائر، ولهذا اخذ يفقد مودة الشعب ومناصرته. ولما طلبت اليه حكومة بغداد أن يأتي لمعونة الجيش الذاهب الى جنوب العراق تأخر وارسل عثمان باشا ابن محمود ليقوم مقامه فذهب واحرز نصرا كبيرا في موقعة (أم العباس) ووقف موقفا شاذا في ثورة البصرة سنة ١٧٨٨م. فغضبت منه الحكومة وسجنته فمات وبموته مكث ابراهيم باشا سنة اخرى على كرسي امارته دون منافس. وفي نهاية تلك السنة خلع وعين موضعه عبد الرحمن باشا شقيق عثمان باشا.

عبد الرحمن باشا

هو من مشاهير أمراء البابان اتصف بالحزم والاقدام ودام حكمه من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨١١م حاول اقرباؤه ثلاث مرات في غضونها ان يوقعوا به فلم يفلحوا وفي ايامه حدثت زلازل هدمت كثيرا من المنازل وانتشر الطاعون ومات به خلق كثير. ومع ذلك ظل رابط الجأش يجد في تحسين امارته وإصلاحها وفي سنة ١٧٩٢ طلبت اليه بغداد أن يأتي

لمعونتها في تأديب الشاوي الثائر وفي سنة ١٧٩٤م ذهب بجيوشه الى سنجار فغزاه ثم تقدم الى (أورفا). وفي سنة ١٧٩٩ اشترك ثلاثمائة من اتباعه في غزو اليزيديين. وقد تمكن ابراهيم باشا في هذه المدة من استرضاء بغداد والعودة الى حاكمية السليمانية وانحصر حكم عبدالرحمن باشا بذلك في (كوي) و (الحرير). وفي اوائل سنة ١٨٠٢م طلب هو واخوه سالم الى بغداد فذهبا وارسلا منها الى سجن مدينة الحلة في العراق العربي.

شهرزور والبابان

من سنة ١٨٠٢ الى سنة ١٨١٣م

موقف البابان من الترك وايران

يتلخص موقف البابان ازاء الحكومتين في هذه المدة فيما يلي:

١. تأثيرهم في نصب وخلع ولاة بغداد وكان ذلك اكثر ما يكون في مدة حكم عبد الرحمن باشا وابنه.

٢. استحكام العداء بين الترك وايران بسبب تنافس أمرائهم.

٣. زوال الحدود بين الترك وإيران مما احتاج بعد ذلك عصرا كاملا لتحديدها.

عبد الرحمن باشا

عاد عبد الرحمن باشا سنة ١٨٠٢م مرة ثانية الى السليمانية وبقي مدة يعترف بسلطة بغداد وقد كان اميناً بتعهده ولذلك ذهبت جيوشه لإخضاع ثورة العمادية وعادت منها الى العراق العربي لتشترك مع الحامية التركية في تطهير الفرات من ثوار العرب. ثم ذهب هو ومحمود باشا الكوي سنة

١٨٠٥م لإخضاع الشاوي فاختلفا في الطريق وقتل محمود باشا. ولما عاد من الجنوب هاجم بغداد ونقض عهد علي باشا والي بغداد فأرسل هذا كتاباً الى الجليلي والي الموصل يطلب اليه عزل هذا الثائر الكردي فساق الجليلي جيشه والتقى بعبد الرحمن باشا قرب كوي واشتبك معه في معركة انتصر فيها عبد الرحمن باشا فدخل كوي وسلبها ثم تقدم الى مضيق (دربند بازيان) وحصنه في وجه جيش بغداد وقد التقى به ولكنه لم يستطع مقاومته ففر الى (سنه) وانتخبت حكومة بغداد خالد باشا بن احمد باشا شقيق ابراهيم باشا اميرا على السليمانية.

وكانت ايران لا تزال تعطف على أمراء شهرزور والبابان لتقلق راحة الدولة العثمانية ما امكنها ولذا منح الشاه عبد الرحمن باشا اقطاعية كبيرة وكتب الى والي بغداد باعادة عبد الرحمن الى كرسي شهرزور فلم يجبه. ثم ظهرت على اثر وصول كتاب الشاه شائعات تفيد مجئ جموع كبيرة من الفرس على الحدود تتأهب لمهاجمة العراق. وما أن وصلت هذه الاخبار الى الوالي علي باشا حتى اخذ يتأهب لمقاومة العدو. وقد غادر بغداد في منتصف صيف سنة ١٨٠٦م واجتمع بأمراء الكرد الموالين للحكومة التركية في (شهربان) ثم اجتاز الحدود دون إرادة سنية من اسطنبول.

فاستمر في تقدمه حتى وصل كرمانشاه، وسار منها الى الشرق ثم ما لبث أن عاد الى العراق تلبية لأوامر السلطان الذي امره بالعودة.

وبوصوله بغداد ارسل كخياه الصغير سليمان ليشد ازر خالد باشا البابانى ولم يقف الشاه مغلول اليدين نحو والي بغداد فأرسل الى ابنه علي ميرزا حاكم كرمانشاه يأمره بحراسة الحدود والى أمير أردلان يناصر عبدالرحمن باشا. وبذلك كان كل من تركيا وإيران تتأهب للحرب بسبب التنافس البابانى. وقد بدأ الحرب سليمان الصغير إذ اجتاز الحدود، عن

طيش ودون روية قاصداً أردلان ليشاغل الجيوش الفارسية بجيشه المنهك فغلب على أمره وسقط اسيراً. وكان عمله هذا لتقدم علي ميرزا من شمال خانقين وتوغله في ايالة بغداد ينهب ويسلب ودخول عبدالرحمن باشا الى السليمانية بعد أن كسر جيش الكخيا سليمان.

لم يرتح السلطان لهذه الاعمال التي نشأت بسبب سوء ادارة والي بغداد فعزله وعين سليمان باشا بدلا منه. وفي زمن هذا الوالي ازداد نفوذ البابان فهاجموا (كوي) وساق عبد الرحمن باشا مفرزة الى نهر الخاسا بطريق (كفري) فاصدر الوالي الجديد امرا بعزله. ثم عقب ذلك تقدم سليمان الصغير في اوائل صيف سنة ١٨٠٨م لتنفيذ الامر فاشتبك مع عبد الرحمن باشا وهزمه الى إيران حيث التجأ الى الشاه وعين سليمان باشا على السليمانية وبقي خالد باشا في كركوك حيث كان نفوذه يضعف بسبب دسائس الوالي وقد اضطر أن يهرب مع (٦٠٠) فارس من اتباعه الى إيران وينضم الى عبد الرحمن باشا وبذلك يحرج موقف الوالي فكتب الى عبدالرحمن يطلب اليه العودة الى امارة السليمانية ويعلمه أن سليمان باشا عوض بمقاطعات اخرى.

فجاءَ وانساق الى سياسة الترك وانخدع بصداقتهم الكاذبة وفقد بذلك مناصرة ايران. غير ان هذه الصداقة لم تدم طويلا فاتفقت عليه الدولتان وخلعتاه اثر ظهور اختلاف بينه وبين أردلان وظهور بعض الفتن الصغيرة في السليمانية. وبديهي أن ينقم عبد الرحمن باشا بعد ذلك على الدولتين فيهاجم السليمانية حال خروج جيش إيران من اراضي الدولة العثمانية فيدخلها ثم يهاجم قرى منطقتي (اربيل) و (كركوك) ليهزأ بقوة بغداد ولم يكن من الوالي الا ان اصدر اوامر بعزله وذلك سنة ١٨١١ م فأرسل جيشا بقيادة عبد الله باشا في حزيران سنة ١٨١٢م لينفذ الاوامر فالتقى هذا الجيش بجيش الامير الكردي في (كفري) ونازله فانكسرت قوة الترك في

بادئ الامر حين هاجم الاكراد مفرزة المدافع وضربوا خط العدو الاول. ولكن الترك ما لبثوا أن كروا على الاكراد بقيادة (داود افندي الدفتردار) فهزموهم وبذلك تمت الغلبة لهم، وكان لهذا النصر دوي عظيم في بغداد حيث اقيمت المهرجانات العظيمة وقد اغتنم الوالي هذه الفرصة وضم وديان شهرزور لايالة بغداد. ولم يجد عبد الرحمن باشا بعد هذا الانكسار بديلا من الالتجاء الى إيران فذهب اليها واسعفه شاهها بالرغم من عدم ثقته به، فكتب الى والي بغداد يأمره بإعادته الى امارة السليمانية دون مقاومة فحكمها هي و (كوي) و (الحرير) سنة اخرى وتوفي سنة ١٨١٣م.

سعيد باشا والبابان

خلف سليمان باشا بعد وفاته على ولاية بغداد ابنه سعيد باشا وهو في الثانية والعشرين من عمره ولم يكن ادارياً حازماً فظهرت بسبب ذلك قلاقل في العراق اوجبت صدور أوامر سلطانية بخلعه. ولم يكن كذلك موقفه مع الامارة الكردية موقفا يحمد عليه. فالبابان بعد وفاة عبدالرحمن باشا جعلوا محمود باشا ابن سليمان باشا أميرا على السليمانية، وسليمان باشا اصغر ابناء ابراهيم باشا حاكما على كوي فاستمر حكمه سنتين هادئا ثم ظهر اثنان من دهاة البابان كان احدهما خالد باشا فأخذا يترددان على بغداد وقد استطاع هذا بدهائه ان يحصل على حاكمية (اربيل) ثم (كوي). ففر سليمان باشا حاكمها الى الميرزا في كرمانشاه. وفي سنة ١٨١٦م عين سعيد باشا عبدالله باشا شقيق عبد الرحمن باشا البابانى على السليمانية وامده بالسلاح ليثبت مركزه فاضطر محمود باشا أميرها أن يستعين بإيران

داود افندي ومحمود باشا البابانى

لقد وصلت السلطان تقارير اضافية عن الحالة العمومية تتضمن

الاستعدادات الحربية الجارية في كردستان الجنوبية والعراق العربي وعدم جدارة سعيد باشا للإدارة وانه السبب المباشر في فوضى الامارة الكردية وتدخل ايران. فأصدر اوامره بعزله وقد اغتنم داود افندي الدفتردار الفرصة ورشح نفسه لولاية بغداد لإكتسابه ثقة الشعب. ثم ذهب الى السليمانية وتبعه اليها كثير من الزعماء والمناصرين فاستقبله محمود باشا البابانى بحفاوة عظيمة باسم حاكم العراق المرشح وصرح له انه سيرفض مساعدة إيران فيما اذا اولاه والي بغداد ثقته وقد عاد سليمان باشا حاكم (كوي) واتباعه من كرمانشاه الى السليمانية وهنا نظم البابان عريضة ارسلوها الى الاستانة يطلبون فيها تعيين داود افندي حاكما على العراق العربي.

وبعد أن قضى داود افندي اربعين يوما في السليمانية عاد الى كركوك لتنظيم شؤونها، ثم تقدم هو وأمراء الاكراد الى بغداد للقضاء على حكم سعيد باشا الذي حصن نفسه بقبيلة بني عقيل العربية والاكراد اتباع عبدالله باشا وخالد باشا فنشبت معركة بين الطرفين كان النصر بادئ الامر بجانب سعيد باشا، ثم عاوده داود افندي بقوات البابان وهزمه الى داخل حصنه. وقد فتح الشعب ابواب اسوار المدينة لرجال داود افندي فدخلوها. وبذلك سقط حكم سعيد باشا وباشر داود افندي ادارة البلاد فنظم شؤونها وعفا عن الاكراد وبني عقيل. وبعد عامين اي في سنة ١٨١٨م توترت العلاقات بين داود افندي ومحمود باشا البابانى فاستنجد هذا بالميرزا محمد علي عندما ساق عليه داود افندي جيشا. فأنجده الميرزا بعشرة الاف جندي جاء على رأسهم وارسل شراذم الى مندلي وبدره وجسان البلدان الكردية المتاخمة للعراق العربي من الشرق فنهبوها وقد انقسمت قوات بغداد بسبب ذلك الى قسمين قسم ذهب الى الحدود، ونازل الايرانيين وتغلب عليهم، وقسم ذهب بقيادة عبدالله باشا البابانى

لمقاومة قوات الميرزا، ولما وصلت هذه الفرقة كركوك وجدت ان جميع الوديان في شرقي المدينة قد سقطت بيد الجيش الايراني فلم يجسر عبدالله باشا على استردادها ولهذا اضطر داود افندي ان يرضخ الى طلب الميرزا ويعيد مجمود باشا الى امارة السليمانية ريثما توافيه القوى التي ارسل يطلبها من اسطنبول فعاد الميرزا الى إيران بعد ان انجز مهمته، ثم عاد فورا الى مهاجمة العراق للأسباب التالية:

١. التجاء بعض البابان طلاب كرسي امارة السليمانية وغيرهم من قواد بغداد بينهم الكخيا محمد الى إيران.

٢. حماية العثمانيين عشيرتين كرديتين ادعى الايرانيون تابعيتهم.

وكانت مهاجمة الميرزا العراق عن طريق (زهاب) فأرسل في الطليعة زعماء البابان على رأس فصيلة هاجمت (خانقين) وسلبتها.

ولما لم تكن قوات داود افندي كافية لصد الغارة الايرانية استنجد بالسلطان واعلمه ان الميرزا محمد علي هاجم كردستان الجنوبية والميرزا عباس ولي العهد، كردستان الشمالية فأنجده السلطان بخمسة عشر الف الباني غير نظاميين وصل قسم منهم بغداد فاضافه واليها الى قوته وجهزها بأربعين مدفعا وارسلها بقيادة الكخيا محمود الى (زنكك اباد) فوصلتها في ايلول سنة ١٨٢١م. مكثت فيها اربعين يوم، ثم تقدم الكخيا بطريق كركوك الى مضيق بازيان حيث علم بوجود عبدالله باشا على رأس خمسة الاف ايراني دخل بهم الحدود الى شهرزور فتابع سيره الى السليمانية ووصل قبل عبدالله باشا وقد تضعضعت معنويات جيشه بسبب ما حل بهم من الامراض الناشئة عن جو كردستان الشديد البرودة ونفاد الميرة ولم يثبت امام هجمات الكخيا محمد اغا فتقهقر الى كركوك والجيش الايراني يضرب في اقفية جيشه ثم انضم الى الاعداء وبذلك اتيح لعبدالله باشا ان يحتل السليمانية ويدخلها ويحصن مركزه فيها. وبعد ان

تيقن الميرزا من حصانة مركز الباشا اتجه الى كركوك ولم يحاصر قلعتها الحصينة خشية ضياع الوقت فغادرها الى الجنوب على طريق (داوق – كفري) واحتل عدة مراكز جعلها تحت امرة الكخيا محمد اغا ثم وقف عند نهر (الخالص).

،كان داود افندي طيلة هذه المدة يحصن بغداد ويتأهب لمهاجمة الجيش الايراني ويستنجد باسطنبول. ولما وصل الجيش الايراني الى(حبحب) بالقرب من بغداد شرع سكان هذه بالهجرة الى (الحلة) بيد ان تفشي الكوليرا بالجيش الايراني ومرض الميرزا نفسه دفعا الايرانيين الى سرعة عقد معاهدة مع والي بغداد نظم موادها عالمان من علماء الشيعة وعالمان من علماء السنة. وفيما يلي نصها:

١. قبول عبد الله باشا حاكما على امارة بابان.

٢. تخلية الاراضي العثمانية ودفع تعويضات عن منهوبات الخالص.

وقد تراجع الجيش الايراني بعد عقد المعاهدة الى كرمانشاه وتوفي الميرزا محمد علي قائده في (كرند) على أن الحالة السياسية توترت بين ايران والدولة العثمانية توتراً شديداً بسبب بقاء ولي العهد الميرزا عباس في كردستان الشمالية وتقدم الشاه بذاته الى همدان على رأس جيش قوي. ولم يسع الخليفة العثماني لقاء ذلك الا أن يصدر اوامر الى ولاة دياربكر، والموصل، وبغداد بمهاجمة الايرانيين. وحال وصول هذه الاوامر الى داود باشا (داود افندي) ارسل قوة مؤلفة من عشرة الاف جندي بقيادة الكخيا الجديد حاجي طالب اغا فتقدم هذا بمدافعه الى إيران عن طريق (خراسان) القديمة ولما وصلت هذه الانباء الى محمد حسين بن الميرزا محمد علي المتوفي خف لمحاربة الترك بدافع الانتقام فاجتاز الحدود بأربعين الف جندي وقتل في (مندلي) خمسمائة تركي ثم تقدم الى (قزلرباط) (جلولاء القديمة) واجبر الكخيا على الانسحاب ثم توغل في اراضي العراق الى أن

وصل شهربان والخالص، وهنا قابلته شرذمة من قبائل شمر العربية يبلغ عددها ثمانمائة نفر ففتكت بطليعة جيشه وفتك مرض الكوليرا ببقية الجيش فتراجع مرغما وبذلك انتهت الغزوة الايرانية الثانية.

وعلى اثر وفاة محمد علي ميرزا هاجم محمود باشا السليمانية واحتلها ثم اخلاها عندما ضايقته جيوش إيران وأردلان فرجع اليها عبد الله باشا باتفاق حكومتي بغداد وكرمانشاه. ولم يستطع محمود باشا أن يعود الى تولي أمارتها الا بعد أن قبل طاعة إيران. ورجوعه اليها كان باتفاق الدولتين. بيد أن حكومة بغداد ما لبثت أن نقضت عهدها وارسلت احمد بك شقيق داود باشا الوالي لتطبيق الحكم المباشر في إمارة بابان فتراجع محمود باشا من السليمانية الى إيران يستنجدها فانجدته بقوة قادها الى شهرزور واحتل السليمانية، وقد ادى ذلك الى التجاء حكومة بغداد الى عبدالله باشا فارسلته بقوة الى كركوك قصد احتلال السليمانية فعاد فاشلا، ثم الاتفاق على قبول محمود باشا اميراً على السليمانية وعبدالله باشا حاكما على(كوي).

وفي سنة ١٨٢٣م. عقدت الدولتان الايرانية، والعثمانية معاهدة بشأن الحدود في (ارضروم) اتفقتا فيها على قبول الحدود التي اقرها السلطان مراد الرابع لم يكن لها اي تأثير على سيادة بابان الذين ظلوا عاملا في استمرار الحرب بين الدولتين حتى سنة ١٨٥٠م وهو التاريخ الذي انقضى به حكمهم وارتبطت به امارتهم باسطنبول مباشرة.

سليمان باشا البابانى

وقد ارتقى كرسي امارة البابان في العهد الاخير من حكم داود باشا سليمان باشا بن عبدالرحمن باشا. فلم ترض عنه إيران فطردته سنة ١٨٣٢م. ثم عاد اليها وحكمها سبع سنين اخر، انتشر في غضونها

الطاعون ففتك بالسكان فتكا ذريعا وازداد تنازع الامراء فضعف، نفوذهم ولهذا بقيت جيوش إيران في امارة شهرزور الى سنة ١٨٣٤ ثم احتلتها بسبب وفاة فتح علي شاه سلطان إيران.

احمد باشا

هو ابن سليمان باشا خلف اباه على امارة البابان، ونظم جيشه على النظام الاوروبي. هاجمه محمود باشا بمساعدة الجيش الايراني واخذ كرسي الامارة منه، ولما تراجع الجيش الايراني منه بعد مرور عام واحد على حكمه اغتنم احمد باشا الفرصة وهاجم عمه فخلعه واعاد البلاد لحكمه ثانية وبدأ يدخل نفوذه في شؤون الحدود فأغضب بذلك حكومة بغداد التي طلبته عام ١٨٤٢م وعينت بدله قادر باشا حفيد ابراهيم باشا مؤسس السليمانية. غير ان عبدالله باشا شقيق احمد باشا رفض قبوله فتدخلت إيران واجتازت الحدود الى شهرزور بقصد اعادة محمود باشا فدحرها عبد الله باشا وبقي حاكما على السليمانية الى ان عاد اخوه احمد باشا بكفالة بعض باشاوات بغداد.

وكان والي بغداد الجديد نجيب باشا يسير مع البابان على سياسة (فرق تسد) ولهذا كان يبذل جهده لزيادة انشقاق البابان ويشجع الخصومات بين امرائهم ليقضي على إمارتهم فنجحت سياسته. وقد اشترط على عبدالله باشا في توليه إمارة البابان أن يقبل حامية تركية في السليمانية ويزيد الجزية التي كان يدفعها امراء البابان للخزينة العثمانية عن طريق بغداد.

سقوط السليمانية

استولى القائد العثماني اسماعيل باشا على السليمانية سنة ١٨٥٠م وحل محل اخر باباني وقضى على امارة البابان التي دامت قرنا ونصف

قرن. وبانقراض البابان دخلت الانظمة العثمانية، ودخلت معها اللغة التركية الاجنبية، وكثر عدد الترك الاجانب.

خلاصة تاريخية عن البابان

يستخلص لونجريك من هذه الابحاث التاريخية خلاصة جديرة بالتدوين نرى من الاهمية بمكان درجها، وهذا تعريب ما يقوله بالحرف الواحد. (لو لم ينشق امراء البابان على انفسهم ويضربون بسيف الترك والفرس ابناء كردستان لدامت امارتهم واتسعت واصبحت في موقف يهدد حكومتي الترك وإيران، ولا ريب ان البابان لو تآزروا مع أردلان، وبقية امارات كردستان الكبرى التي كانت على استقلال تام فعلا، وتابعة لايران وتركيا إسما، لأنتج اتحادهم دولة كردية كبيرة لا تقل بالمساحة وعدد النفوس عن إيران، أو الدولة العثمانية، ولكن المطامع الشخصية بين امراء الاكراد، والحروب الدينية بين السنة والشيعة كانت من اكبر العوامل في زوال الاستقلال الكردي.

الفصل الثامن

السليمانية بعد البابان

كان يتنازع السلطة في ايام بابان الاخيرة في السليمانية نفوذان، احدهما سياسي ويمثله البابان، والآخر ديني ظهر به البرزنجيون بعد انقراض البابان ودخول الانظمة التركية الجديدة، ولم يستطع هؤلاء السادة أن يبسطوا في هذه الفترة نفوذهم، فانصرفوا في عام ١٨٧٦م. والسنين التي عقبها إبان سلطنة السلطان عبد العزيز الى شراء الأراضي والقرى، ونشر نفوذهم الديني، وكان أبرزهم الشيخ سعيد الذي استكثر من شراء اراضي واسعة حول المدينة، واكتسب مودة الشعب. ولما ارتقى السلطان عبد الحميد الثاني كرسي الخلافة كان الشيخ سعيد قد أصبح من ذوي اليسار والنفوذ فاتجه الى الأستانة مستصحبا الشيخ قادراً لاكتساب رضاء الخليفة، فجعله هذا مستشارا دينيا خاصا له واتفق معه عزت باشا العابد السوري على إمتصاص موارد السليمانية. فأرسل عزت باشا موظفين من قبله لهذا الغرض، اخذوا يبتزون الاموال من التجار في السليمانية التي كانت وقتئذ مركز تبادل التجارة في، الشرق الادنى، وقد بلغ ايراد الحكومة منها في سنة ١٨٨٠م. نصف مليون ليرة عثمانية ذهب.

ولما عاد الشيخ سعيد الى السليمانية كما يذكر المسترسون اخذ في جمع الضرائب الباهظة واثقل كاهل السكان فثاروا عليه وطلبوا من قبائل الهماوند احتلال المدينة، فلبوا الطلب وحاصروا المدينة اربعة ايام ولم يجلوا عنها الا بعد مجيء قوات كبيرة من الجيش التركي في كركوك. وبعد

هذا الحادث اصبح الشيخ سعيد يقاوم الشعب علنا ولا سيما التجار منهم ففرض ضرائب فادحة على الفواكه ليحتكر هذا الصنف ويروج أثمار حدائقه الواسعة حول المدينة. فأدى هذا العمل الى إضعاف المزارعين، فأحرق معظم اشجارهم وهدم اقنية الري وهرب الى بلاد الكرد في إيران حيث شرع في زراعة التبغ. وفي سنة ١٨٨١م. احتل الهماوند المدينة، واضعفوا نفوذ البرزنجيين. ومع ذلك بقيت عزيمة الشيخ قوية فعقد النية على ايجاد صلة نسب مع هذه القبيلة فتزوج منها ليتخذها سلاحا بيده ويتمكن من بسط نفوذه بصورة اوسع.

وعند اعلان (الدستور) في شهر تموز سنة ١٩٠٨م. ظهرت ثورات عديدة في كردستان الجنوبية، وتقدم الهماوند الى السليمانية طلبا للنهب، ولما علمت حكومة الأستانة بالأمر طلبت الى الشيخ سعيد ان يشخص الى الموصل فاتجه اليها وهناك اغتاله بعض سوقة الموصل بتحريض طائفة من التجار. فعاد بقية افراد الاسرة الى السليمانية، واقسموا أن ينتقموا من تجار الموصل الذين كانوا سببا في قتل المرحوم الشيخ سعيد.

وقد تولى الزعامة بعد الشيخ سعيد، الشيخ محمود البرزنجي، وكان يعتقد أن تجار السليمانية اشتركوا مع تجار الموصل في اغتيال الشيخ سعيد، ولهذا بث رجاله في السليمانية لتسلب تجارها وتقتل كل من يصدها. فساءت الاحوال وسادت الفوضى. فشكى التجار أمرهم الى الحكومة فجاء والي الموصل الى السليمانية وخرج لاستقباله وفدان، احدهما يمثل الشيوخ والآخر التجار، فانحاز الى الاول. وبعد مرور اربعة وعشرين ساعة على وصوله دعا وفد التجار وطلب اليهم بلهجة تركية خشنة أن يجيبوا على اسباب تنكر التجار للشيوخ، فمنعهم الشمم الكردي عن الإجابة على سؤاله ولم يحضروا المحاكمة. فاتخذ الوالي هذا التصرف ذريعة لادانتهم، واعلم حكومته بذلك، فارسلت على أثر ذلك حاكما



الشيخ محمود الكردي من السادة البرزنجية

للسليمانية على رأس قوة وزعت في (بنجوين) و (بستان) و (گول عنبر) و (حلبجة) وتخلف منها مائة وخمسون جنديا من ذوي الاخلاق المنحطة مع المتصرف الجديد في البلدة، فأخذت الاحوال تسير من سيئ الى أسوأ واستنجد الشيوخ بالهماوند فجاؤا الى السليمانية وسلبوها وارعبوا سكانها.

ولما قوى مركز الاتحاديين، أخذوا بإضعاف شأن السلطان عبد الحميد الثاني فنفوا عزت باشا الى مصر، وأهانوا الشيخ قادراً وارسلوا واليا الى الموصل، ومتصرفا الى السليمانية، فعد الشيوخ إهانة الشيخ قادرا تحديا لهم فاستفزوا الهماوند وهم من فرسان الاكراد المغاوير فثاروا على السلطة وكانت أشد ثوراتهم في سنة ١٩٠٩ ثم اخذت تخف الى أن ظهرت الحرب الكونية سنة ١٩١٤م. فخرج الترك من اراضي كردستان الجنوبية والعراق العربي وتركوها للانگليز الذين بعد ان استولوا على بغداد اتجهوا الى كركوك وهنا اعلنوا ضم كردستان الجنوبية الى العراق العربي واطلقوا على المنطقتين كلمة (العراق) فلم يطب للاكراد هذا الضم فثأروا في وجه السلطة البريطانية في سنة ١٩١٩م. بقيادة الشيخ محمود البرزنجي الذي انقلب بعد الحرب الى داعية قومي، وأصبح يتفانى في سبيل القضية الكردية، ويلقي بنفسه امام ثوار الاكراد في وجه الانگليز.

الثورة الكردية في كردستان الجنوبية عام ١٩١٩م.

لخصت عن تقرير ج. سثين جونز قسيس قواد فرازر وقد عربها المقدم حسين نوري آمر لواء المدفعية في العراق في (المجلة العسكرية) العدد (الثاني من السنة الثالثة).

ان القتال الذي كانت تدور رحاه في كردستان الجنوبية سنة ١٩١٩م. كان شديدا لدرجة استوجب تجهيز قوات كبيرة وحشدها على منحدرات كردستان لمنع انتشار الثورة في مناطق القبائل الكردية القوية الشكيمة،

كقبيلة الجاف وغيرها وقد استطعنا ان نوقف عشيرة الجاف التي كان بوسعها تجهيز ستة الاف محارب من ابنائها موقف الحياد بصورة قطعية الى نهاية الاضطرابات.

وسبب الثورة الكردية الرئيسي هو تأسيس حكومة كردية مستقلة. وقد قام بها الشيخ محمود في ايار سنة ١٩١٩م. وهو اكبر شخصية في كردستان الجنوبية عهدت اليه الحكومة البريطانية بعد ان احتلت كركوك سنة ١٩١٨م. بادارة بلاد الكرد الجنوبية

المعارك الاولى

هاجم محمود خان ديزلي أحد رؤساء عشائر(هورامان) في كردستان الشرقية (الايرانية) وحليف الشيخ محمود، السليمانية واحتل البلدة في اول هجوم، وانضم اليه جميع من ينتمي الى الشيخ محمود، والقي القبض على جميع الحكام السياسين الانكلين. وقام الشيخ محمود بعد ذلك بادارة الامور، وفي ٢٢ آيار هجم المقدم دانيكلس بقوته المؤلفة من الجنود المأجورين غير النظاميين من الاكراد، فانغلب مع قوة تبلغ (٢٠٠٠) من المشاة و (٤٠٠) من الفرسان وتشتت جيشه وقتل اثنان من ضباط القسم البريطاني، وانضم عدد كبير من جنود (المرتزقة) بمجموعهم الى الثائرين ووقع المقدم دانيكلس وحكام سياسون آخرون أسرى، ونجا الميجرسون مندوبنا السياسي في السليمانية. وقد قويت بهذا الانتصار معنويات القبائل الضارية في جنوب (قره داغ) فهاجمت قافلة سلاح في طريقها الى السليمانية واستاقتها الى جيش الشيخ محمود فتزود بها

وفي (٢٣) آيار تقدم القائد بريد جس على رأس رتل سيار من حامية كركوك القليلة العدد، والمؤلفة من رعيلين من رماحة (٣٢) وسرية من فوج من الهنود وسيارتين مدرعتين و (٦٠) جندي من مأجوري الاكراد بقيادة

الرئيس (لونگ ريگ) معاون الحاكم السياسي في كركوك لانقاذ الحكام السياسيين تقدم هذا الرتل بسرعة الى مضيق (طاسلوجة) دون ان يلقى مقاومة فبات تلك الليلة، وعند الفجر كان الاكراد قد احتاطوا بالمعسكر فاصلوه من مرتفعاتهم ناراً حامية من بنادقهم وتمكن (مأجوري) الاكراد الذين بقيادة (لونگ ريگ) من الهرب والإنضمام الى العدو، فارتبك جيشنا واضطر القائد بريد جس ان يتقهقر اثني عشر ميلا وراء مضيق (بازيان) بسرعة زائدة تاركا السيارتين المدرعتين في منحدرات روابي (طاسلوجة) خيفة أن يحصره الاكراد في (دربند بازيان) ويقطعوا عليه خط رجعته الى جمجمال.

وما كادت اخبار هذه الثورة تصل الى مقر اللواء البريطاني في (بيجي) على شاطئ (دجلة) حتى هب اللواء (موريس) وسير مفرزة قوية بقيادة القائد (كندي) آمر الفوج الأول من كتيبة سرى الشرقية الخامسة وكان عدد محاربيها (٦٤)جندي تصحبهم (١٦) رشاشة من نوع لويس. وقد وصلت هذه المفرزة في سياراتها في الوقت الذي كان فيه (رتل بريد جس) تحت حصار الاكراد الشديد. وضع كندي رشاشاته على هضبة تضرب مضيق بازيان وبذلك مكن قوة بريد جس من الانسحاب من ذلك المضيق الذي لولا مجئ هذا المدد لاصبح مقبرة لقوة بريد جس حتماً، وقد استمر الاكراد يطاردون الجند المنسحب حتى جمجمال، وأمنوا قطعاتنا خسائر فادحة في تلك الاراضي الوعرة وارغموها على ترك سيارتين مصفحتين اخرى اخذها العدو.

وكانت خسائرنا في هذه المعارك الاولية بالنفوس والذخائر كبيرة، فقد قتل الملازم (بول) من كتيبة الرماحة (٣٢) وجرح الرئيس جيشولم من مهراتاس السادس عشر والملازم (ديكسون) من سرية الهند الثانية. ومجموع قتلى الضباط والجند ثمانية والجرحى اثني عشر والمفقودين

اربعة عشر وقد استمر العريف (تومز) وجنديان من مفرزة كندي يصلون الاكراد برشاشاتهم حتى قتلوا ولم توار جثثهم. وكذلك قتل شاب كردي عريفا وجرح جنديا. وقد اطلق الاكراد سراح اسرانا فالتحقوا بقوة بريد جس في جمجمال.

النجدات

وصلت جمجمال قافلة جديدة من سيارات فورد تحمل نجدات اضافية بقيادة الرئيس تومس وقام بالدفاع عن حصن جمجمال القائد مار آمر فوج الرشاشات الثالث عشر وكان قد جاء مع مفرزة الرشاشات وأخذ القيادة من القائد بريد جس الذي عاد الى كركوك. وقد انتهز الاكراد هذه الفرصة فسار الشيخ قادر شقيق الشيخ محمود في ٢٨ آيار على رأس ٥٠٠ فارس الى قرية (بينا) في الناحية الشمالية الغربية من جمجمال على بعد اربعة اميال منها، وبذلك اصبح يهدد خط المواصلة الى كركوك، ويقطع خط رجعة الحامية المحصورة في الحصن، وكان الشيخ محمود في الوقت نفسه يعزز مركزه في بازيان، وهبطت في ٢٦ آيار احدى الطائرات التي جاءت للتعاون مع القوات البرية قرب السليمانية لتنقذ الحكام السياسيين فلم يمسسها الاكراد بسوء لان الشيخ محمود اتخذ من فيها رسلا بينه وبين الكرنل ويلسون نائب المندوب السامي في بغداد وسيلة للمفاوضة. وقد عاد ضابط الطيران بعد ذلك وانبأنا بوجود الحكام السياسيين على قيد الحياة.

وحاولت قافلة تحمل ميرة وذخيرة بمن معها من الخفراء أن تجتاز في ٢٠ آيار الاودية وتصل الى جمجمال وتنقل الحامية المحصورة فلما اقتربت من مخرج المضيق الواقع على بعد ٢٤ ميلا من كركوك باغتها كمين من الاكراد، وأفناها عن بكرة ابيها. وعلى اثر ذلك تألف رتل آخر من الرماحة (٣٢) بقيادة المقدم فرازر الذي سار بجميع الحملة الى القتال

فوصل الى قرية (قره هنجير) القائمة على خط مواصلة جمجمال على بعد ١٧ ميل من كركوك. ولم تكد تسير بضع ساعات حتى أحاط بها العدو بقيادة محمود خان ديزلي وحاصرها ثلاثة ايام بين الروابي والتلال وجعلها عرضة لرصاص الاكراد الحاذقين في الرماية، ولضربة الشمس وانقطاع الماء. ولو لم يأت المقدم (جارت) آمر البطرية الجبلية الـ(٥٢) برتل صغير للنجدة، ولو لم ينسحب العدو نحو قرية (بينا) لكانت الخسائر دون ريب جسيمة.

وفي أواخر آيار نقل الجنرال موريس خفر لواء المشاة (٥٥) الى (قره هنجير) وأسس معسكر مستحكم الجوانب على مجرى الماء هناك وبذلك تكاملت التجهيزات والنجدات. ثم أمر بإحراق قرية (قره هنجير) في اليوم الاول من حزيران فألقت الطائرات قنابلها على (بينا) مقر الشيخ محمود الامامي، وأمنت الاكراد خسائر مادية ومعنوية. وقد اشيع إذ ذاك بعد اجبار قوات الشيخ محمود على التراجع من قره هنجير، أن محمود خان ديزلي سحب قواته ورجع بها الى بلاده على حدود إيران. ورغم ذلك كانت جسارة رجال الشيخ محمود اخذة بالازدياد إذ أخذت طلائعه تجوب الأراضي حتى جوار كركوك.

وكان موقفنا حتى تلك الآونة حرجاً إذ كنا لا نزال نتوقع اشتراك قبائل الجاف. وقد تلقى (ت.فرازر) آمر الفرقة (١٨) تعليمات من المقر العام في بغداد أن يحشد قوة تأديبية جسيمة في كركوك التي أصبحت بشاور العراق (وبشاور) مدينة في شمالي الهند على الحدود الافغانية لعبت دورا كبيرا في الحروب الافغانية البريطانية –. فجاءت القطعات العسكرية من دجلة وجهات العراق الإخرى الى كركوك وشرعت تتدرب على الحركات الجبلية. وأصبحت قوات فرازر تشمل معظم القوات البريطانية في العراق، ولهذا تمكن من ترتيب قوة تأديبية جعل هدفها السليمانية وعهد الى الجنرال

ساندرس امر الاشراف على خط المواصلات من كركوك الى جمجمال، فآلتون كوبري، واربيل.

وفي ٣ حزيران وقعت مناوشة مع العدو على أثر خروج تومبس مع سرية المشاة وبعض الفرسان حماة حصن جمجمال بقصد إشغال العدو وتطهير المضيق من إنقاذ القافلة التي باغتها الاكراد سابقا فلم يتمكن من تنفيذ مهمته لان قوة من الاكراد هاجمته من اطراف (بينا) وقطعت رتله من جمجمال فاضطر للتراجع الى(قره هنجير) ولم يثبت على قتال الاكراد الذين برهنوا على مقدرة كبيرة في حروب الجبال. وكان لحسن الحظ، الجنرال موريس قريبا من مكان الحادثة فسمع لعلعة الرصاص وخف لمعاونة تومبسون الذي كان تحت خطر تطويق الاكراد، فصدم العدو وأجبره على التراجع بعد ان أمناه بخسائر كبيرة فنجا بذلك تومبسون وعاد الى قره هنجير وخسرنا في هذه المناوشة الرئيس كنگ سولتر من وحدات (الگورگه) وهم جبليو الهمالايا ومقدم اللواء الـ(٥٥). وفي غضون هذه المدة كانت الطائرات تقوم بحركات كشفية تستطلع فيها قوة الاعداء، فلما أتمت عملها، قام الفريق فرازر بحركات واسعة النطاق وسير في (١٥) حزيران قوات تأديبية نحو السليمانية ليجبر بذلك الشيخ على الاشتراك في معركة حاسمة.

معركة بازيان - ثرموبيلي كردستان

كان بازيان خط الاكراد الدفاعي، وهو مضيق حصين وفرجة ضيقة في جبل (قره داغ) على شكل (٧) ومفتاح طريق السليمانية وبه تغلب الهماوند على قوة تركية كبيرة وجبل قره داغ سلسلة وعرة تمتد نحو الشمال الغربي وتكون سدا منيعا بوجه اي مهاجم، وترتفع فوق سطح البحر (٤٠٠٠) قدماً و (١٠٠٠) قدم فوق سطح المضيق. ولا ريب في ان هذا المضيق هو بمثابة (ثرموبيلي) لكردستان إذ تستطيع قوة صغيرة ببضع رشاشات ان تحارب

منه فيلقا، كما حارب الـ(٣٠٠) اسبارطي جيش فارس بأجمعه ولولا خيانة (افياليث). لتقهقر الجيش الفارسي واحرز اليونان الظفر[١].

تابع الاكراد هجماتهم وظل الفريق فرازر يردها الى أن تمكن من اجبار الشيخ محمود أن يتحصن وراء جدار بازيان التاريخي. وفي مساء (١٧) حزيران عسكر رتل على سفوح سلسلة قره داغ وارسلت ربيئتان قويتان الى الامام لمنع مباغتة العدو في الليل. وكان الجميع حريصا على هجوم الغد ولذلك لم يهجع المعسكر الا قليلا. وفي الساعة الرابعة من صباح (١٨) بوشر بالقتال اما القطعات فقد أخذت تشغل مواقعها منذ الساعة الثانية وأول قطعة تركت المعسكر هي فوج (٨٥) بورما المؤلف من السك والگورگة والكاجينس وهؤلاء شعب مغولي يسكن بورما من اعمال الهند. وقد انيطت بهذا الفوج عملية تسلق الجبال الشامخة على طرفي المضيق مباشرة ومقابلة جناحي العدو عندما يتقدم فوج (ايست سري) بقيادة القائد رو. وظل فوج بنجاب الـ(٨٧) في الاستناد.

وعند الانبثاق كانت المدفعية المختلطة وسرايا الرشاشات قد اخذت مراكزها والسرايا الامامية تتقدم للهجوم حاملة معها اعلام صغيرة لتشير الى مراكزها للمدفعية خلفها. وكان تقدم سرايا ايست سري بادئ الامر بطيئا الى أن جاء رسول من الجنرال موريس الى القائد رو، يبلغه ان يتقدم بسرعة لانه لم تنطلق طلقة واحدة من وراء جدار بازيان مما يدل على ان العدو يغط في نومه[٢].

---

١. لقد علمت وانا في السليمانية أن أحد الخونة من الاكراد ارشد القائد البريطاني الى مواضع اخوانه الاكراد، وساعد بذلك تقدم الجيوش البريطانية كما ساعد افياليث تقدم الجيوش الفارسية.

٢. لو لم يكن الشيخ محمود يعتقد انه في مكان امين من هجوم اعدائه لما ترك نفسه دون تحفظ شديد، وهذا ما يؤيد وجود خائن اعلم الاعداء عن منافذ معاقل الاكراد فسهل عليهم تسلق الجبال الواقعة على طرفي المضيق.

ولما حمى الوطيس سمعنا اصوات طلقات رشاشات المانية لم نكن نتوقع وجودها بين الاكراد، ولما لم تستمر تابعنا هجومنا واستطاعت المدفعية ان تستولي على المضيق بسهولة بيد أن اقسام البورما كابدت كثيرا إذ التحمت بالاكراد ودامت المعركة ساعتين اسفرت عن قتل (٥٠) كردي وجرح عدد كبير وأسر (١٢٠) وهرب الباقون الى السليمانية وحدود ايران. اما المعارك على روابي بازيان وجباله فقد استمرت مع مفارز العدو حتى سقط الشيخ محمود جريحا واسر نسيبه الشيخ غريب وبذلك تم الفوز وتقدمت الرماحة الى السليمانية دون ان تلقى مقاومة في خط دفاع الاكراد الثاني في طاسلوجة واطلق سراح الحكام السياسين الأسرى. وفي (٢٠) حزيران دخل الفريد فرازر بقواته السليمانية وانهى حكم الشيخ محمود. وفي اليوم الثاني تحرك رتل صغير مع وسائط النقل تحت قيادة القائد (بودي) من (قزلرباط) ليشترك مع قوات فرازر فارسل هذا رتلا ليلتقي بالرتل القادم فالتقيا في (حلبجة) في ١٤ حزيران دون ان يلقيا معارضة فعادا الى معسكر حسر (قلياسان) في ٢٧ منه.

انتهت الثورة الكردية الآن، وحوكم الشيخ محمود بعد ان ابل من جراحه امام محكمة مدنية في بغداد، وحكم عليه بالاعدام، ثم استبدل بعشر سنين وحبس في جزائر (اندامان) من اعمال الهند.

وعلى أثر انتهاء هذه الثورة تأسست جمعية كردية قوامها ضباط الاكراد وبعض اشراف السليمانية، غايتها تحرير الاكراد وتشكيل دولة كردية مستقلة فظهرت ثورات محلية اشتدت سنة ١٩٢٣ م واشتركت فيها قبائل البشدر وهاجمت القوات المرابطة في السليمانية وغيرها من مدن كردستان الجنوبية في يوم واحد وتغلبت عليها، واضطر الانكليز الذين كانوا في المدن أن يهربوا بالطائرات فلم تر بريطانيا بدا من أن تاتي بالشيخ محمود من الهند وتشكل له حكومة كردية وترسل الميجر نويل

مندوبا ساميا، ولقب الشيخ محمود حكمدار كردستان، ثم سلطانا، ولكنه كان يدعوا نفسه ملكا. وعندما كلفه الانكليز محاربة قوات (اوزدمير) الداعية التركي التي ارسلته القوات التركية الوطنية لإشغال الانكليز عن مساعدة اليونان ابى فتعكر الجو، وضرب الانكليز السليمانية بالقنابل ودمروا قسما كبيرا منهاوخرج الشيخ محمود واتباعه الى (سورداش) وتحصنوا بجبالها مدة ثلاثة أشهر. فأرسل الانكليزاثناءها السيد طه الشمديناني، وقبائل السورجي، والخوشناو، والدزي، لمحاربة الاتراك في (راوندز) فغلب الاتراك وهربوا الى حدود إيران وسقطت راوندز بيد هذه العشائر. ثم عاد الانكليز وارسلوا قوة الى السليمانية احتلتها دون مقاومة، وكلفوا الشيخ قادر أن يشكل حكومة وطنية ليحفظ الامن والسكينة ريثما ينظر في مصير القضية الكردية، فأبى وترك البلدة وذهب الى إحدى قراه. ولما حبطت هذه المساعي مع الشيخ قادر انسحب الانكليز بعد شهر الى كركوك وعاد الشيخ محمود من (هورامان) ومكث تسعة اشهر يحكم السليمانية، وشهر بازير، وناحية بنجوين، وسرجنار. ولم تكن العشائر الكردية ممن يرغب في حكم الشيخ ففاوضهم الانكليز منتهزين هذه الفرصة. وكذلك غادر الكثير من التجار والطبقة المتنورة السليمانية لسوء ادارة الشيخ ولم يبق فيها الا بعض الضباط الذين كانوا يميلون لحكم الاتراك وغيرهم ممن كانوا يعتقدون بتحسن ادارة الشيخ في المستقبل.

وفي نهاية الشهر التاسع قررت الحكومة الانكليزية أن تلحق لواء السليمانية بالعراق العربي، فأرسلت كتيبة فرسان مؤلفة من (٤٠٠) فارس وطائرتين ومدرعتين الى السليمانية، فسقطت دون مقاومة. انتهت خلاصة تقرير القسيس. واليك ما ادلى به الى ماجد بگ مصطفى القاضي. وكان إذ ذاك قائد الجيش النظامي والعشائري لقوة الشيخ محمود والمدافع عن السليمانية.

أن السبب في التسليم وعدم الدفاع انتماره من الشيخ محمود بعدم مقاومة الانكليز قبل ان يدخلوا المدينة كي لا يدمروها. ثانيا الاعتقاد بان الجيش العراقي بعد احتلال السليمانية سيواصل سيره لمقاتلة الشيخ، وهناك يفنيه على بكرة ابيه. ولكن الجيش بقي في المدينة ثلاثة اعوام ولم يعمل عملا يذكر وقد تصادمت بعض مفارزه خلال هذه المدة مع فرسان الاكراد، ولكنهم كانوا دواما يعودون خاسرين.

ولم تكن الاحوال تدعوا الى التفاؤل إذ كان احمد بگ متصرف السليمانية الحالي يسعى بواسطة أقاربه البشدر على تقوية نفوذ الحكومة، وتأسيس مراكز حكومية في الأقضية والنواحي. واختلف الشيخ مع رؤساء العشائر وفر الضباط والتحقوا بالجيش العراقي والتركي. ولم يبق مع الشيخ لغاية سنة ١٩٢٤م. سوى خمسة ضباط أحدهم ماجد بگ. وبعد مرور ثلاثة أعوام أي سنة ١٩٢٧م. اجبر الشيخ على عقد اتفاقية مع الانكليز تنص على ان يغادر العراق، ويقيم في إيران وأن لا يعارض سياسة الحكومة ويرسل نائبا خاصا عنه ليقوم بإدارة املاكه وتصدر الحكومة مقابل ذلك عفوا عاما عن كافة الثوار على أن يقيموا حيث شاءوا خارج السليمانية وبذلك انتهت الثورة الكردية الثانية. والاسباب التي دفعت الشيخ الى عقد هذه الاتفاقية تنحصر في ثلاث نقاط:

١. تقلص القوة الكردية المحاربة بسبب انفصال العشائر.

٢. وصول الجيش الايراني الى الحدود ليحول دون توسع الثورة.

٣. قلة الدراهم ووسائل الدفاع.

وقد عاضد الترك هذه الثورة ماديا بان أرسلوا طبيبا ومستوصفا سياراً و (٨٠٠) ليرة ذهب و (٢٢٠٠٠) خرطوشة تركية اعتقادا منهم بأن يجعلوا من هذه الحركات آلة تركية تهدم آمال الانكليز في العراق، وكلف وصول هذه الاسعافات الى الثوار اكثر من الف جنيه. وفي سنة ١٩٣٠م عاد الشيخ

وأضرم نار الثورة الثالثة، اكتفي الأن بالإشارة الى ما قيل عنها في الصحف العربية:

نشرت جريدة الجامعة العربية التي تصدر في القدس بعددها(٦٠٦) بتاريخ ١٤ حزيران سنة ١٩٣١م. مقالا للسير ويلز أحد كبار سياسي الانكليز بمناسبة نشوب الثورة الكردية في تشرين الاول سنة ١٩٣٠م. يصرح فيه (ان الثورة الكردية لن تخمد حتى تضمن للاكراد حقوقهم. ثم قال) أن مندوبنا السامي في العراق صرح في ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٢٢م. وذلك علــى اثـر انـتـهـاء الـثـورة الـكـرديـة الاولـى الـتـي اضرم نارهاالشيخ محمود سنة ١٩١٩م أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومة العراقية تعترفان بحقوق الاكراد القاطنين ضمن الحكومة العراقية في تأسيس حكومة كردية ضمن تلك الحدود وتأملان أن العناصر الكردية ستتصل في أقرب فرصة ممكنة الى اتفاق فيما بينها على النوع الذي تريد أن تتخذه تلك الحكومة وسوف ترسل مندوبين الى بغداد للبحث في علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع حكومتي بريطانيا والعراق. وذكرت جريدة فلسطين التي تصدر في يافا في عددها ٣٩-١٧٠٦، الكلمة التي ذكرتها مجلة (النيرايست) الانكليزية في لندن بتاريخ ٢٣ نيسان سنة ١٩٣١م عن المسألة الكردية في افتتاحيتها (ان ليس احمق ممن يتصور أن اختفاء الشيخ محمود من الميدان سينهي المسألة الكردية). وقد ارسل مكاتب هذه المجلة من بغداد وهو ما قد يكون معبرا عن رأي المندوب السامي البريطاني في العراق إن لم يكن عن رأي الحكومة البريطانية نفسها (اما المسألة الكردية الكبرى فليس لدي من جديد اقوله عنها غير انه ما من غلطة - كما يظهر الزمن ذلك ستكون اعظم من الظن بأن المسألة الكردية الكبرى هي نفسها هذه المسألة المحلية التافهة اعني مسألة الشيخ محمود.

والمسألة الكردية الكبرى تشمل القضية الكردية لكردستان باجمعها اي البلاد الكردية التي تفصلها الحواجز السياسية التركية، والايرانية، والعراقية. ثم نشرت جريدة فلسطين المذكورة بتاريخ ٥٢ حزيران سنة ١٩٣١م عن رحلة الملك فيصل الى السليمانية على اثر انتهاء الثورة الكردية الثالثة التي قام بها الشيخ محمود والقاء خطبة هامة في عدد عظيم من زعماء الاكراد، نأخذ منها النقاط الآتية ليقارنها القارئ الكريم بتصريح المندوب السامي في العراق في ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٢٢م. فيقف علي التطور السياسي في القضية الكردية بالعراق:

لا يخفى عليكم ان الدين لله، والوطن للجميع، ولا فرق ولا تمييز عندي بين سكان بلادي الحبيبة. والوطن لنا جميعا فهذه الجبال وهذه الاودية الجميلة هي ملك لباقي سكان الوية البلاد العراقية الاخرى، كما ان كل شبر في تلك الالوية لسكان هذا اللواء حق فيه. اقول اكثر من ذلك كل قطرة من دم سكان هذا اللواء، هو من دم العراقيين جميعا وكلهم اخوان في الوطن لا يؤخرهم عن خدمته شئ. وأما الدين والمذاهب فهي لله، ويلزم أن يبقى بين الرب وعبده في داخل الجوامع والكنائس.



الثائر الكردى الشهير

(الشيخ محمود الكردى) يحف به أركان حربه

اسباب الثورات الكردية

ولكي تتضح لنا اسباب الثورات الكردية التي يقوم بها الشيخ محمود البرزنجي في كردستان الجنوبية، رأيت أن اجمع الوثائق الرسمية من رجالات لهم وقوف تام سواء أكانوا من الانكليز أم من الكرد. وقد سبق أن ذكرت شيئا عن ذلك، وسألخص الآن ما دونه هاملتون في كتابه طريق في كردستان، ومصدره في ذلك الكابتن كلارك الحاكم السياسي في السليمانية، وهو احد الثقاة في لغة وعادات واخلاق الشعب الكردي، وهذا موجز قوله.

«عندما دخل الجيش البريطاني كردستان سنة ١٩١٨م أبدى الشيخ محمود صداقته نحوه، ثم ما لبث بعد عام أن ثار عليه وقاوم مقاومة شديدة غير أنه أسر ونفي، ثم أعيد الى مركزه عندما وجد انه قوة حقيقية في قومه، وأخذ عليه العهد بأن لا يثور على السلطة البريطانية وقد حافظ على عهده. ولما أخذ إشراف الانكليز يتحول عن العراق احتج بشدة وأخذت بوادر الاضطراب في السليمانية تظهر في سنة ١٩٢٤م. فأمرت بالذهاب الى السليمانية حاكما سياسيا لأقنع الشيخ على قبول ادارة العراق فلم اتمكن لإلحاح الرؤساء المحليين على الشيخ بطلب انشاء دولة كردية مستقلة فنزل عند رغبتهم وشكل حكومة وأصدر طوابع بريدية خاصة نادرة جدا. وأخذت حكومته تعمل على مجاراة نظمنا الغربية الادارية، ومتابعة التقدم العام. ولما وجدت أن الشيخ مصر على فكرته أوضحت له بجلاء أن بريطانيا ترغب اليه أن يخضع لحكومة العراق ويحل مجلس وزرائه وينهي ادارته الحالية، وإذا عمل على غير ذلك فسيعامل كثائر.

وبطبيعة الحال بقي على اصراره إذ يعتقد أن إدارته جيدة كأي إدارة شرقية اخرى، وألزمني الاقامة في السليمانية تحت المراقبة وما زلت الح

عليه في العودة الى بغداد حتى سمح لي. فعدت، وقدمت تقريرا اضافيا بالحالة وعلى ذلك تقدمت قوة الطيران الملكية بأوامر صارمة لضرب السليمانية وليست تفاصيل الاضرار التي اوقعت بالكبار والصغار مما يسر وقد امر الجيش العراقي كذلك أن يحتل هذه المقاطعة الكردية، غير أن العرب ابناء السهول كانوا أعجز من أن يقفوا امام الجبليين الرشيقين، ولذلك صدرت الاوامر الى الفرق الآشورية أن تتقدم بهذه المهمة، والآشوريين كالاكراد شجاعة واقداما في الحروب الجبلية. وقد اشتركت القوة الجوية مع هذه الفرق وانتهت الثورة وتراجع الشيخ محمود الى الحدود الايرانية.

وفي سنة ١٩٣٠م. رفع علم الثورة للمرة الثالثة وذلك عندما زورت الانتخابات النيابية في السليمانية وانكر حق السليمانيين في التمثيل فدامت ثورته عامين ثم انتهت ولم يقض عليها جيش الحكومة الجنوبية كالسابق بل الذي قضى عليها هي قوة الطيران الملكية. وفي هذه المرة اسر الشيخ وسلم للادارة العراقية)

وهاهي بقية خطبة الملك فيصل التي سبقت الاشارة اليها انفا، نذكرها فيما يلي ثم نعقبها بقانون اللغات المحلية.

«لا شك أن كل واحد منكم يعلم أن دولة العراق لا تقبل التجزئة والتفريق وهي بمجموعها قد اصبحت جزءا لا يتجزأ. وأن منهج الحكومة الوطنية منذ تأسيسها كان ولم يزل، وسيبقى مدى الدهر يرمي لنشر العدل بين افراد الشعب وتطمين رغائبه حتى يصبحوا جميعا عمالا لخير الوطن ونفعه، ومن جملة ذلك انها سنت قوانين منحت بموجبها حرية التعلم باللغات المحلية وكذلك حرية التقاضي بتلك اللغات. فالكردي يتعلم بلغته وكذلك العربي والتركي اي كل يتعلم بحسب اللغة الذي تتكلمه اكثرية اللواء. أما العادات والتقاليد والديانات والمذاهب فتحترم احتراما كما احترمت في



الشبيبة الكردية بالسليمانية تبرق الى عصبة الامم بالاحتجاج على تدخل
الحكومة العراقية في انتخابات سنة ١٩٣١

الماضي. وان الوضع السياسي لبلادي قد ثبت وتعين ولم يبق مجال لتحويره وتغييره. فعلى هذا يلزم على الشعب أن يتعاون افراده مع الحكومة للقيام بالواجب العام. إذا وجد من شذ عن هذه الطريقة المثلى فسيكون شذوذه كشذوذ ابن نوح عندما دعاه ابوه. واني ذكرت ما ذكرت لتطمين شعبي على المركز السياسي الذي نالته البلاد وما عليكم غير التشمير عن ساعد الجد لانعاش الوطن في مواطن الاقتصاد كالزراعة والتجارة حتى تتناسب خطواته السياسية الواسعة مع نهضته الاجتماعية».

قانون اللغات المحلية رقم (٧٤) لسنة ١٩٣١

نشرت الوقائع العراقية (الجريدة الرسمية) في العدد ٩٨٩ بتاريخ ١ حزيران سنة ١٩٣١ قانون اللغات المحلية المذكورة اعلاه وهذا نصه.

نحن ملك العراق نأمر بعد موافقة مجلسي النواب والاعيان بوضع القانون التالي:

مادة– ١ تسري احكام هذا القانون في الاقضية المذكورة في المادتين ٢,٣.

مادة – ١ تكون الكردية لغة المحاكم في الاقضية التالية:

لواء الموصل أ –عمادية، ب – زاخو، ج – زيبار، د – عقرة.

لواء اربيل أ– كويسنجق، ب – رانية، ج – رواندز.

لواء كركوك أ– كيل، ب – جمجمال.

لواء السليمانية أ– سليمانية، ب – حلبجه، ج – شهر بازير.

مادة – ٣ يجوز ان تكون لغة المحاكم في الاقضية التالية الكردية او العربية او التركية.

أ– دهوك، ب – شيخان، ج – اربيل، د – مخمور، ه – كركوك، و – كفري. ويعطي قرار المحكمة في اللغة الاكثر شيوعا.

مادة– ٤ يحق للمتهم بجميع الاحوال في الاقضية المذكورة اعلاه:

أ – أن يحاكم ويبلغ بالعربية إذا كانت لغته البيتية العربية.

ب– أن تترجم المرافعات الشفهية الى الكردية أو العربية أو التركية وتعطي له نسخة الحكم المترجم. ويجوز لكل شخص ان يقدم دعواه أو استدعاءه للمحاكم في الاقضية المذكورة اعلاه او المحاكم أوسع صلاحية بالكردية او العربية او التركية.

مادة– ٥ في الأقضية التالية حيث يجوز ان تكون مخابرات الدوائر الفنية والمخابرات بين مراكز الالوية والوزارة، وبين مركز لواء الموصل والأقضية في العربية وتكون اللغة الرسمية الكردية.

لواء الموصل ١– عمادية ٢ – عقرة ٣ – دهوك ٤ – زاخو ٥ - زيبار

لواء اربيل ١ – اربيل ٢ – مخمور ٣ – كويسنجق ٤ – رانية ٥ – رواندز.

لواء كركوك ١ – جمجمال ٢ – كيل

لواء السليمانية ١ – السليمانية ٢ – حلبجة ٣ – شهر بازير.

يجوز ان تستعمل الكردية او التركية في قضائي كركوك وكفري.

مادة– ٦ تكون لغة التدريس في جميع المدارس الاولية والابتدائية في الاقضية المبينة في هذا القانون الكردية أو العربية أو التركية حسب اللغة الشائعة فيها.

مادة– ٧ يستطيع كل شخص أن يراجع المقامات الرسمية باللغة العربية وأن يأخذ الجواب فيها. وتقبل جميع المخابرات في إحدى اللغات الواردة في المادة الخامسة ويجاب عليها بنفس اللغة.

مادة– ٨ تستعمل اللغة الكردية في أقضية ألوية السليمانية وكركوك

واربيل المبينة في هذا القانون بشكلها الحالي. ويجوز أن تستعمل لهجة هذه الألوية في أقضية لواء الموصل من تاريخ تنفيذ هذا القانون الى السنة التي يختار فيها اهالي هذه الاقضية لهجة يتفقون على استعمالها.

مادة – ٩ جميع الوزراء مكلفون كل حسب صلاحيته بتنفيذ هذا القانون.

بغداد بتاريخ ٢٣مايس سنة ١٩٣١ الموافق ٦ محرم سنة ١٣٥٠.

جمال بابان	عبدالله الدملوجي	مزاحم الباجه جي
وزير العدلية	وزير الداخلية	وزير الخارجية
جميل الراوي	رستم حيدر	عبد الحسين
وزير الدفاع	وزير المالية	وزير المعارف

نوري السعيد رئيس الوزراء ووكيل وزير الاقتصاد والمواصلات

الفصل التاسع

سليماني - هولير

بارحت السليمانية (سليماني) في ٢٦ تموز سنة ١٩٣١ الى اربيل أو (هولير) كما يسميها الاكراد، فعرجت على كركوك وفي الطريق أشار موظف كان معنا في السيارة الى مياه مررنا بها فقال (حاصر الشيخ محمود كتيبة من الجيش العراقي اثناء الثورة الاخيرة في ناحية لم يكن لها فيها من مياه تشربها غير هذه فأشار بعض رجال الشيخ بتسميمها فأبى).

قضيت ليلة في كركوك وبارحتها في صباح ٢٧ الى هولير في سيارة اتجهت بنا نحو الشمال الغربي تخترق سهولا شديدة الشبه بسهول البلقاء في شرقي الاردن من حيث طبيعة اراضيها واعتماد مزروعاتها على الامطار، وتختلف عنها في سعة عمرانها وكثرة سكانها. واكبر القرى التي اجتزناها حتى نهر الزاب الصغير هي (آلتون كوبري) وتقع على هذا النهر المعروف في هذه النواحي باسم (زي بردى) (اي زي بلدة الجسر – التون كوبري) ولفظة الزاب فارسية مركبة من كلمتين – زا واب ومعناها ماء أو نهر. وشهرتها في بطون الكتب اعم منها بين الاكراد.

وعلى هذا النهر انتصر ابو مسلم الخراساني على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ٧٥٠م وقضى على الدولة الأموية. وكان لهذا الانتصار تأثير معكوس في حياة العرب السياسية إذ اتخذ سكان المشرق من غير العرب، الدولة العباسية التي قامت على أكتاف الايرانيين وعلى

حدود بلادهم، ذريعة لتنظيم بلادهم تنظيما سياسيا كانت نتيجته ظهور دول اسلامية في آسيا الصغرى وايران وأواسط آسيا من الكرد والفرس والديلم والترك، وبذلك اخذ نجم العرب يأفل ثم انكمش انكماشا كلياً بمجئ التتر الى بغداد. يبلغ عرض هذا النهر هنا (٧٠٠) ياردة وطوله (١٩٠) ميلا وينبع من جبال (لاهيجان) في كردستان الشرقية.

دخلنا البلدة على جسر طويل واجتزنا شارعها الوحيد الذي يخترقها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وابصرنا بيوتها المشيدة على صخور واطئة تتشكل من مجموعها جزيرة يحيط بها النهر. والبلدة مركز تجاري لقضاء كويسنجق إذ تنقل صادراتها وصادرات (طقطق) بواسطة القوارب الى بغداد. وسكانها التراكمة بقايا الجند التركي الذي اوجده المعتصم في القرون الوسطى. وبعد أن اقمنا نصف ساعة في البلدة خرجنا منها على جسر آخر وواصلنا سيرنا نحو الشمال الغربي حتى وصلنا (هولير) ويبعد عن كركوك (٦٤) ميلا وفيها اجتمعت ببعض اساتذة المدرسة الثانوية والمتوسطة وذهبت برفقتهم لزيارة كوجك ملا افندي (ابي بكر) في قصره خارج البلدة. والملا من سراة اكراد البلدة وأثريائهم وهو كهل قصير القامة أنشأ تكية يدرس لتلاميذها وينفق عليهم من ماله الخاص. ومن قصر الملا، عدنا الى نادي الموظفين حيث شاهدت في ملعب (التنس) الذي أنشأه اعضاء النادي قاضيا كرديا يخلع جبته وعمامته ثم يتناول المضرب (الركت) مبتهجا وينزل للمباراة.

وفي المساء ذهبت لمشاهدة ما تقوم به فرقة التمثيل وقد جاءت حديثا من بغداد وكانت ميول الشعب نحوها كميول اهل السليمانية معظمهم يستنكر وجودها لان التمثيل لم يكن بالكردية، ولان هذا النوع من التمثيل يدفع بالشبيبة نحو الرذيلة، ويمتص مواردهم. وفي اليوم الثاني مررت بسوق المدينة وشاهدت مصنوعاتها النحاسية ومعظمها اوان بيتية

ثم عرجت على دار الحكومة فاذا بها بناية محكمة جميلة دوائر الحكومة الاخرى والمعاملات الرسمية فيها تجري باللغتين الكردية والعربية. ومن هنا مررنا بالمدرسة وكانت مقابل دار الحكومة وعدنا الى بيت صديقنا الاستاذ رفيق حلمي وكان ملازما لي في هذه الزيارات وفي بيته سمعنا الاغاني الكردية من مغنيين شهيرين احدهما الملا كريم وغناؤه باللهجة الكردية الجنوبية والآخر عزيز آغا وغناؤه باللهجة الكردية الشمالية.

اربيل التاريخية

اربيل.- تقع وسط سهل أجوف يحيط به الزابان، الكبير والصغير وتحجبه جبال كردستان ولولا قلعتها القائمة على التل الذي يخفي تحته خرائب مدينة الآلهة (عشتار) لما كان بالامكان مشاهدتها عن بعد. والبلدة الحالية قسمان علوي ويقع ضمن القلعة وسفلي وهو القسم العامر والآهل بالسكان ويبلغ سكانه ثلاث اضعاف سكان القسم العلوي ولغة البلدة الرئيسية الكردية، بيد أن لغة بعض السكان التركية الأذرية. وليس فيها من الآثار سوى القلعة. وبعض الآثار الاسلامية في القسم السفلي يرجع اكثرها الى عصر مظفر الدين كوك بوري أحد امراء السلطان صلاح الدين الايوبي. وتاريخ اربيل قديم جدا يرجع الى ما قبل ثلاثة آلاف سنة واسمها مشتق من الكلمة الاشورية (أربا أيلو) اي مدينة الاربعة الهة. ورد ذكرها في ادوار مختلفة اثناء حكم الآشوريون والميديين والفرس والبرتيين وبعد سقوط الآشوريين اضحت عاصمة لمقاطعة يعرفها التاريخ باسم (أديابين).

وفي عام ٨٣ ق.م، غزا تيغران الاول ملك أرمينية أديابين وأربيلا ولكن البرتيين بالاشتراك مع الرومان اخرجوا هذا الوقح حديث النعمة وهذا (وهي العبارة التي يصفه بها الميجرسون) بعد عشر سنين من دخوله إياها. وفي عام ٦٢ب.م غزاها تيغران الخامس الملك الذي عينه الامبراطور

(نيرو) الروماني على أرمينية مغتنما فرصة غياب ولكاسوس الاول الملك البرتي وضايق سكانها لدرجة لا تطاق فكتبوا الى ولكاسوس يشكون الحالة ويهددون بالانضمام الى الرومان إذا لم ينقذهم من هذا الطاغية فلبى ولكاسوس شكواهم فوراًواعلن الحرب على أرمينية والرومان وعين (مانوياز) ملك أديابين قائدا فطرد تيغران وغزا بلاده وظلت أديابين بعد ذلك نقطة نزاع حتى ظهر الفرس وقضوا على نفوذ البرتيين والرومان فيها.

وبعد ذلك تغلب الاسكندر المقدوني في سهلها على دارا (داريوس) ملك فارس وحل العقدة الكردية التي قيل أن من يحلها يصبح سيد آسيا. ثم استردها أردشير الساساني فازدهرت في ايامه واتسعت تجارتها وبقيت كذلك الى أن جاء العرب في صدر الاسلام وغزوا فارس فسقطت في ايديهم. ولما وسع صلاح الدين الايوبي ملكه، وقضى على دولة الاتابكية الزنكية حربا وصلحا كانت اربيل من البلاد التي والت السلطان وارسلت جيشا اشترك في معركة حطين الشهيرة انتصر فيها السلطان على دول الصليب.

اهمية اربيل التجارية

تسعى الحكومة العراقية الى ربط اربيل بمدينة تبريز الايرانية عن طريق راوندز وصاوج بولاق لتسهل بذلك نقل بضائع العراق العربي وكردستان الجنوبية الى تبريز وايران الشمالية الغربية وتستورد منها ما تتجر به العراق من حاصلات اذربيجان وكردستان الشرقية. وسيربط هذا الطريق اربيل بشواطئ سوريا ايضا وبذلك تزدهر تجارتها وتنتعش تجارة العراق

لواء اربل

هو من الالوية الكردية الغنية الواسعة وينقسم اداريا الى الاقضية والنواحي التالية:

القضاء	الناحية
اربيل (مركز اللواء)	قوش تبه، شقلاوة، ديرا حرير
مخمور	مخمور، كوير، كنديناوه
راوندز	بالك، برادوست
رانية	ناودشت، جناران
كويسنجق	طقطق

إن وضع التقسيمات الادارية على الصورة المار ذكرها يسهل جدا على القاريء معرفة الاماكن التي سيرد ذكرها اثناء هذه الرحلة.

شقلاوة ٢٩ تموز

غادرت هذا الصباح اربيل الى شقلاوة مع مدير مدرستها الابتدائية الشيخ حسن والاستاذ رفيق حلمي وشاب ثالث، في سيارة اتجهت بنا نحو الشمال الشرقي في سهل اربيل فاجتازته الى أن وصلنا وادي بستورة الذي يفصل ناحية شقلاوة عن حدود اربيل والسهل عن الجبال. وأول قرية لاحت لنا في الجبل (بانمان) وقلعتها، وتتراوح بيوتها من ٢٠-٣٠ بيتا ومياهها كلسية جدا إمتنع السائق عن استعمالها للموتور فامتنعنا نحن ايضا عن الشرب خيفة وجود املاح اخرى.

ظلت السيارة بعد ذلك تصعد بنا باستمرار على جبل (بني بيرمام) المكسو باشجار العفص والبلوط والبالغ ارتفاعه ١٧٧٧ مترا وقد لفت بنا اربع عشرة دورة كبيرة حتى وصلنا نقطة اشرفنا منها على جبل (خانزاد) المكسو ايضا باخراج العفص والبلوط ثم اخذنا نهبط الى وادي (دولي كورى) وهو من الوديان العامرة تبلغ قراه ١٧ قرية عرفت منها الماوان، وكور. ولا تبعد القرية عن الاخرى اكثر من نصف ساعة وجميعها خضراء تكسوها الاشجار المكتظة وتنساب بينها المياه النميرة. ويرى الناظر

شرقي هذا الوادي جبل (سفين) وهو من الجبال المجاورة ويعتبر السلسلة الاساسية التي يتفرع عنها جبل بيرمام وتبلغ اعلى قمة فيه ١٩٧٠مترا ويقال ان النمور توجد فيه ولم اتحقق من ذلك ويخزن الاكراد به الثلج لاستعماله في الصيف. ومنه يبدأ (دولي كورى) وينتهي بقرية ديرا في الغرب. اجتزنا قرية كورى ووصلنا بعد بضع دقائق قرية (گرده جال) ومنها حتى شقلاوة اخذ السوسن والسماق يظهر بكثرة وتبدل شكل الصخور الى اللون الاحمر ولهذا يسمي الاكراد هذه الجبال (سورك) اي الجبال الحمراء. فمررنا بسفحها وسفح جبل (جيارش) اي الجبل الاسود ثم دخلنا شقلاوة الساعة ١١,٣٠ وذهبنا توا لزيارة مدير ناحيتها السيد عبدالله نجل السيد عبد القادر احد مشاهير كردستان الشمالية فاستقبلنا ببشاشة ورحب بنا اعظم ترحيب ثم استأذناه لزيارة زعيم الناحية (ميران قادر بگ) فاجاب بعد أن الح علينا بالعودة لتناول طعام الغداء سرنا بين الاشجار نستمع للاسطوانات الكردية حتى وصلنا بيت الزعيم فاستقبلنا أقاربه في ساحة مربعة اقيم في وسطها بحيرة يأتيها الماء من ساقية عذبة المياه تغطيها شجرة من نوع العزب يقال ان عمرها (٥٠٠) سنة ويتراوح قطرها بين المتر والمترين وبعد الاستراحة وفد علينا للسلام اعمام الزعيم وهم عزيز بك وعلي بگ ثم تلاهما ابنه عمر بگ وله من العمر (١٣) سنة. وقد قيل لي ان عزيز بگ يعرف تاريخ اسرته فانتهزت فرصة وجوده ورجوته ان يقص علي ما يعرفه من تاريخ اسرته فتكرم وادلى بالمعلومات التالية.

(ترجع اسرتنا باصلها الى الاردلانيين هاجرت بلادها في كردستان الايرانية قبل (٤٥٠) سنة وأول من هاجر (أمبيز) لخصام وقع بينه وبين احد اقاربه فجاء الى كردستان الجنوبية واستوطن (باليسان) على بعد (٣٠) كيلو متر شرقي شقلاوة. وكان له ثلاثة ابناء اكبرهم محمل والثاني

يوسف والأصغر اودل. وقد تمكن الاب من توسيع نفوذه في اراضي قبيلة (خوشناو) في ناحية شقلاوة. ولما توفي انقسمت قبيلته الى ثلاثة اقسام تبعت ابناءه الثلاث وعرفت فيما بعد بالمير محمل والمير يوسف والمير اودل وظلت رئاسة الجميع منذ ذلك التاريخ بيد اسرة الاخ الاكبر مير محمل. وفي عهد جدنا عثمان بگ، هاجم مور محمد باشا امير رواندز (باليسان) وحاصر جدنا فاستعان بالبابان مغتنما فرصة الفتور المستحكم بينهم وبين امير رواندز ولكن ميرته نفدت قبل وصول نجدة البابان فاستسلم على ان يحتفظ بسيادته على قبيلة خوشناو فقط. وحين عودتهم الى رواندز اشتم الامير رائحة الغدر من جدنا فامر بالتشديد عليه ولما وصلوا البلدة اعدمه، والحق املاكه بامارته. ولم يغفل محمود بگ ابن عثمان عن الانتقام من أمير رواندز فساعد الجيش التركي خصم الامير واعاد شقلاوة ولكن الاتراك سيطروا على كردستان وقضوا على الامارات الكردية في منتصف القرن التاسع عشر وادخلوا انظمتهم. ولم يحدث شئ في عهدهم يستحق الذكر).

وعدنا ونحن نأسف لعدم مشاهدة ميران قادر بگ لوجوده خارج البلدة وصلنا بيت مضيفنا السيد عبدالله فوجدنا على باب حديقته نفرا من أتباعه يختلف لباسهم عن لباس اكراد شقلاوة فتقدموا امامنا الى داخل الحديقة حيث استقبلنا السيد عبدالله وابنه عزيز بگ وله من العمر (١٥) سنة وبعد أن استرحنا قليلا جئ بالطعام ووضع على خوان وكان امام كل منا كأس من اللبن الحامض (دو) وهو شراب كردستان القومي تجده حيثما سرت وانى حللت. ولما كان من المستحسن أن يدور الحديث على الطعام بدأت الحديث باسئلة جغرافية عن الناحية، اليك اجوبتها:

شقلاوة

مركز ناحية وبلدة: تقع على سفح جبل سفين يبلغ عدد سكانها (١٨٠٠)



اولاد السيد طه وهم بالملابس الوطنية الخاصة
بعشيرة الشكاك الكردية

نسمة (١٥٠٠) منهم اكراد من الخوشناو و (٣٠٠) كلدان مسيحيون. ينتقل سكانها في الصيف الى الحدائق حيث يشتغلون في تجفيف الاثمار وصنع المربيات وفي الشتاء يعودون الى بيوتهم ذات السقف الداني والبلدة وان كانت جبلية فسكانها يزرعون من الحبوب ما يكفي مؤونتهم وأشهر حاصلات شقلاوة ماعز (المرعز) والخشب ويصدرونها الى اربيل أما شعر المرعز فيحتفظون بأكثره فيأخذه الكلدان ويصنعون منه الملابس الكردية القومية وليس في البلدة سوى مدرسة ابتدائية للذكور ذات خمسة صفوف عدد تلاميذتها (٨٠) واساتذتها (٤) ويقال ان في الجبال المجاورة للبلدة معادن غير مكتشفة اهمها النفط والفحم الحجري والرصاص وأشهر بلدة في شمال شرقي شقلاوة رواندز، كنت شديد الرغبة في زيارتها فلم اتمكن لعدم انتظام سير السيارات بينها وبين اربيل ومع ذلك بذلت الجهد في ان استقي معلومات وافية عن قضائها من اشخاص لهم معرفة واسعة به.

شقلاوة – رواندز

يغادر قاصد رواندز شقلاوة من ناحيتها الشمالية الشرقية ويمر بسيس آوه وهي أول قرية عامرة تقع في سهل وفير المياه مكتظ الحدائق تكسو جباله اشجار العرعر سكانها من قبيلة خوشناو ويبلغ عدد بيوتهم (١٥٠) بيتاً، ورئيسهم عبد الرحمن بگ ابن اخ ميران قادر بگ. ثم يمر بعد نصف ساعة بقرية (حرير) وتقع في منبسط من الارض على سفح جبل (جيارش) ويبلغ عدد بيوتها (٢٠٠) بيتا منها عشرة بيوت للآشوريين والباقي للخوشناو ويقدر عُدد منازل جميع الخوشناو بألفين ولهذه القرية تاريخ مجيد إذ انها كانت بلدة كبيرة اتخذها امراء السوران الاكراد عاصمة لهم قبل احتلال السلطان سليمان القانوني للعراق وكان من امرائها في عهد العثمانيين سليمان بگ فحارب الاتراك مرارا وقهرهم ولم تستطع حكومة بغداد ان تقضي عليه الا خدعة فاوعزت الى خادمه ان يحسن له حج بيت

الله الحرام ففعل وتوجه الى بغداد حيث ألقى الأتراك القبض عليه ودسوا له السم بالأكل فمات ولما وصل الخبر الى اخته خانزاد قتلت الخادم والقت جثته في اساس البناء وابتنت عليه، ثم عقدت النية على مقاومة الاتراك فبسطت نفوذها على رواندز وشقلاوة وأعلنت العصيان في قلعة بنتها على جبل حرير وكان السكان يأتونها بالطعام مناوبة.،شقلاوة تنسب الى جدها شاه قلي بگ وهو اول من بناها ولفظها الحالي محرف عن اسمه. وفي جملة ما ذكر لي ان في جبل حرير هيكلا حجريا لشخص لم تعرف حقيقته بعد. وبعد حرير ينحدر الطريق الى وادي كلي علي بگ اي وادي علي بگ وهو واد جميل مياهه وفيرة نميرة يخترقه نهر رواندز احد روافد الزاب الكبير وطول الوادي (٢٣) ميلا يجتاز الطريق الحالي منه (١٧) ميلا. ثم يصعد الى جبل سبيلك البالغ ارتفاعه (١١٢٣) مترا فوق سطح البحر ثم يعود فينحدر الى سهل باتاس الشهير بزراعته ووفرة مياهه ويمتاز هذا الطريق بكثرة غياضه واحراجه. وقبل ان يصل الزائر باتاس يشاهد قرية صغيرة على بعد خمس دقائق شمالي الطريق تدعى (بابشتيان) تفاخر بانها موطن اجداد محمد باشا امير رواندز ويبلغ عدد بيوتها (٥٠) بيتا والطريق منها يتفرع الى فرعين فرع يسير شمالا الى ديانان وفرع الى رواندز في الجنوب بعد ان يمر بقرية جنديان. ويتفرع من بابشتيان طريق آخر يصل قريتين في سهل باتاس هما ديرا حرير مركز الناحية وباتاس، ومعظم سكان الاولى آشوريون والثانية اكراد.

رواندز

مركز قضاء على بعد (٧٥) ميلا عن اربيل تقع على سفح جبل مستطيل طرفاه سحيقان بين الجبال العالية المكسوة بغابات الجوز والبلوط. وتكثر فيها المياه وتروي حدائقها وقل ان يخلوا منها بيت. وسكانها من قبائل كردية مختلفة قل أن تخلو من بينها المشاحنات وقد هاجر بعض هذه

القبائل من منطقة هكاري في كردستان الشمالية، وهم اتباع السيد طه الشمديناني وبعضهم من (سنه وصاوج بولاق) في كردستان الشرقية. ويبلغ عدد منازل البلدة (٥٦٥) للاكراد وسبعة بيوت لليهود. والبلدة على اتصال بايران فتصدر اليها العفص وتستورد السجاد وينتظر ان تتحسن حالتها التجارية بعد ان ينتهي فتح الطريق المعبدة بينها وبين مدن كردستان الشرقية والشمالية واذربيجان.

وقد شيدت بلديتها خزانا يوزع المياه بضغط الهواء الى احواض صغيرة متعددة كل حوض تستقي منه بضعة بيوت وتتصل هذه الاحواض بالخزان العمومي بانابيب. وتنقسم رواندز الى قسمين (١) القلعة و (٢) (الگند) اي القرية وهذه مر البحث عنها، أما القلعة فقد احرقها الروس اثناء الحرب الكونية ولم يعن السكان باعمارها الا حين بوشر بافتتاح الطريق العام واجتيازه بها ولا تزيد بيوتها الحديثة على (٥٠) بيتا شيدت بين اشجار الفاكهة والتوت.

رواندز ممر للعشائر الكردية

تجتاز رواندز قبائل كردية تقضي صيفها في جبالها المجاورة او تتعداها فتدخل الحدود الايرانية وتقيم في كردستان الشرقية ثم تعود الى مواطنها حين اشتداد البرد والقبائل التي تمر بهاهي سورجي، خيلاني، بولي، آكوي، بالكي، ريشمه يي، وهركي. وهذه الاخيرة اشهر القبائل جميعا لقوتها وثروتها ولا يقل عدد المسلحين فيها عن (٦٠٠٠) حسب ما جاء في مفصل جغرافية العراق. ويقدر عدد بيوت السورجي بثلاثة آلاف بيت، والخيلاني بمائتين وخمسين والبولي بمائتين والاكويي بالف. ويقطن في أقصى شمال قضاء رواندز في ناحية برادوست قبيلتا برادوست وشبوان ويقدر عدد نفوسهما بما يقرب من ثمانية آلاف نسمة

شلال بيخال

في الناحية الشمالية الغربية وعلى بعد ساعة ونصف عن رواندز ينبع شلال بيخال من كعب شجرة كبيرة وينحدر بقوة عظيمة الى واد عمقه (١٣٠) مترا يمر خلالها بخمسة جبال ويشكل خمسة شلالات ثم يستقر في بطن الوادي ويمتزج برويار رواندز (نهر رواندز) وقد صرح المستر هاملتون المهندس البريطاني ان هذا الشلال يكفي لتوليد كهرباء الموصل واربيل ورواندز.

واشهر حيوانات رواندز ماعز الجبل والارنب والنمر وابن آوى وهي حيوانات يرى السكان في صيدها ربحا ولذلك عكفوا على صيدها.

كانت بلدة رواندز عاصمة إمارة كردية في العهد العثماني واشتهر من امرائها كور محمد باشا وهو الذي شيد فيها القلاع وزودها بالمياه وجهزها بالمدافع التي لا تزال باقية تحمل اسمه. وحين سقوط العراق وكردستان الجنوبية بيد الانكليز رمموا هذه القلاع ثم استفادت منها حكومة العراق وجعلتها مخافر لها تناوئ منها حركات الاكراد حينما تحدثهم انفسهم بالثورة عليها. والان قبل ان اشرع في ذكر نبذة تاريخية عن امارة رواندز ارى أن اصف القرى التالية لاهميتها.

بالكان: قرية كبيرة في شمالي رواندز وعلى بعد ساعتين منها تقع على احد روافد الزاب الكبير ويبلغ عدد بيوتها (٥٠٠) بيتا وسكانها من قبيلة البالكي[١] ورئيسهم الملا يوسف آغا. وليس لهم عمل سوى الزراعة وتربية الاغنام ولهذه القرية الفضل في شد ازر الامير عيسى بن كلوس مؤسس

---

١. وقبيلة البالكي تقطن في ٦٠ قرية يبلغ مجموع بيوتها عما لا يقل عن ١٢٠٠ بيت (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان).

الامـارة الـكـرديـة مما ادى الى انـتـصـاره على خـصـمـه وتثبيت قدمـه فـي إمـارتـه.

لهوديان: قرية كبيرة ايضاً في شمال غربي رواندز وعلى بعد ثلاث ساعات منها تقع على سفح جبل بالكيان. ويبلغ عدد بيوتها(٢٠٠) بيتا ولـهـا رئـيس يـلـقب بـ (بـگـوك)وهـي موطن كلوس مؤسس امـارة السوران (امـارة رواندز) ولـيست يـهـوديـان كـمـا جاء ذكرهـا فـي هـامش الشرفـنـامـة. ويشتـغـل أهـلـهـا بـالـزراعـة وصيد الحيوانـات الجبلية. وفي القرية كهوف كثيرة ضمنها بيوت قديمة تتشكل من مجموعها قرية.

آكويـان: قرية كبيرة في شرقي رواندز وعلى بعد ساعة منها تقع بين هضبتين ويتراوح عدد بيوتها من (١٨٠-٢٠٠) بيت تزينها حدائق الجوز والخوخ والـرمـان والـتـوت ويشتـغـل اهـلـهـا وهـم من آكـويـي بـفـلاحـة الـبساتين وصيد الحيوانـات الجبليـة. وبـالـقـرب من هـذه القرية قرية فقيان وهي في جنوب رواندز وعلى سفح جبل گرك البالغ ارتفاعه (٣٢٧٣) مترا، وتكثر فيها الحدائق والكروم ويبلغ عدد بيوتها (١٢٠) وترأسها إمرأة تدعى فطمة خان في الخامسة والاربعين من عمرهـا. ويصل القرية برواندز مضيق آكويـان.

ديـانـة: قرية على بعد ساعة ونصف شرقي رواندز تقع في سهل فسيح تكتنفه الجبال، مياهها قليلة وجوهـا حار، وقد اتخذهـا الانكليز مطاراً لهم وجعلوهـا مركزا للآثوريين والجيش الآشوري المرتبط بهم ويبلغ عدد بيوتها (٥٠٠) بيتاً ويدير شؤونها ضابط انكليزي برتبة أمير آلاي وشرطة بريطانية. ويبلغ عدد افراد الفرقة الآثورية الـتـي فـيـهـا (١٥٠٠) جـنـدي. والحكومـة جـادة الآن في ان تجعل الطريق الى إيران يجتازهـا.

امارة السوران

أمـارة كـرديـة نشأت فـي منطقة رواندز فـي القرن الثـانـي عشر للميلاد وتاريخ نشأتها يرجع الى ان شخصاً يدعى كلوس ظهر في قرية هوديان ولما توفي ترك من الأبناء ثلاثة هم عيسى وابراهيم والشيخ ويس. وكان عيسى أبرز أخويه فطار صيته في القرية وتعداها الى القرى المجاورة ثم تقدم الى اوان مركز الناحية ليقضي على حاكمها الطاغية فانضم اليه في الطريق سكان بالكان وهتفوا به اميراً وأسعده الحظ فحاصر الحاكم في القلعة ثم افتتحها عنوة وبذلك قضى على خصمه وأصبح صاحب اليد العليا في جميع انحاء المنطقة واتخذ بلدة حرير عاصمة له، وشرع بعد ذلك يعمل على تثبيت أُسس إمارته، وما ادركته المنية الا وكان قد مهد كل شيء.

تولى الحكم بعده من اسرته سبعة أمراء، آخرهم المير عزالدين شير بن المير سيدي بن شاه علي بگ. وفي زمنه قدم السلطان سليمان القانوني الى اربيل سنة ٧٤١هـ سنة ١٥٣٤م. وألحق إمارة السوران بأربيل وقتل المير عزالدين شير والقى بمقاليد الامور الى أمير يزيدي يدعى حسن بگ الداسني. بيد ان السلطان ما كاد يقفل راجعا من العراق حتى هب السوران واسترجعوا إمارتهم، وكان ذلك في عهد المير سيف الدين بن الميرحسين بن بير بوداق الذي هزم حسين بگ الداسني هزيمة شنعاء، وحافظ السوران بعد ذلك على استقلالهم رغم هجمات أمراء الاكراد المجاورين وتدخل حكومتي تركيا إيران، وفي زمن قلي بگ ابن سليمان بگ تقلص حكم السوران وذهبت منهم حرير واتخذوا شقلاوة عاصمة لهم لحصانتها، ولما ولى ابنه سليمان بگ وسع حدود إمارته واسترجع حرير سنة ٩٩٤هـ وقد ظل حكم السوران بين المد والجزر الى أن تولاها أغوز بگ فتراجع امام

هجمات البابان، وتخلى لهم عن عاصمته واتخذ رواندز مركز الإمارة. وفي عام ١٨١٠م. تولى حكم رواندز مصطفى بگ بن اغوز بگ وكان في حروب مستمرة مع البابان، وفي عهده بدأ سلطان السوران يتسع ولذلك تزوج فتاة من البابان ليوقف ما بينهما من الحروب فيكتسب وقتا لتنظيم امارته

الامير محمد الكبير

دعا مصطفى بگ هذا عام ١٢٢٩هـ ابنه المير محمد وكان إذ ذاك أميراً في جولامرك فبايعه بالإمارة أمام جمهور من الأشراف والنبلاء ثم ذهب الى قرية آكويان واقام في قلعة دمدم الى أن توفي سنة ١٢٣٨هـ

حياة الامير محمد واعماله

ولد المير محمد سنة ١١٩٨هـ في رواندز وتثقف على يد ملا احمد احد مشاهير علماء كردستان، وتولى إمارة السوران وهو في الحادية والثلاثين من عمره وباشر حكمه ببناء قلعة حصينة على تل مرتفع مستحكم الجوانب في شمالي البلدة ملأها بالذخيرة والمدافع. ثم درب جيشا من الفرسان والمشاة جهزه بأجود اسلحة عصره،من اعماله:

١. تثبيت الخزينة دار (مدير الخزينة)عبدالله اغا، ثم قتله.

كان عبدالله آغا خزينه داراً في عهد مصطفى بگ فلما اعتزل الحكم اشترط على ابنه المير محمد ابقائه في منصبه فقام بعهده غير ان كثرة تردد عبد الله آغا على عميه تمرخان بگ ويحيى بگ ادخلت الريبة الى نفسه ولا سيما بعد ان نصحه مراراً بعدم العودة الى زيارتهما ولما لم ينتصح امر بقتله فصلب.

٢. تجهيز حملة على عميه سنة ١٢٣٠هـ

ساق الامير جيشا من المشاة الى هوديان في اليوم الاول من المحرم

لمحاربة عميه تمرخان بگ الذي تراجع الى قلعته (شيتنة Shaitene) واعلن الحصار وفي اليوم الثامن والعشرين منه افتتح القلعة بعد مذبحة كبيرة واسر عمه وابنه محمود بگ وقتلهما. وبعد ذلك استولى على (روست) وقتل اميرها ثم هاجم عمه يحيى بگ واستولى على قلعته (سيداكان) وقتله هو وابنه عثمان بك. وبعد قتل عميه لم يبق من يقض عليه مضجعه فانصرف الى التوسع.

٣. تجهيز حملة على برادوست، وليتان، وشيروان سنة ١٢٣١هـ

تقدم الامير في هذه السنة بعد أن امن الفتن الداخلية شمالا الى مقاطعة برادوست وكانت بيد محمود بگ بن سليم خان بگ صاحب قلعة هركيلا وحسن بگ صاحب قلعة سرداو، فأخضع قبائلها واستولى على القلعتين بعد حرب شديدة ثم سار الى مقاطعتي ليتان، وشيروان وافتتح قلاعها وبذلك ادخل مقاطعات غنية بالمعادن والرجال الأشاوس الى إمارته. وكانت برادوست مركزا غنيا بمعدني النحاس والرصاص الذي كان يستعمله الامير في صنع المدافع والبنادق وغير ذلك من الأدوات والذخائر الحربية.

٤. طرد البابان من لواء اربيل.

وضع الامير نصب عينيه بعد هذا الفوز توسيع إمارته فباشر باعداد الأسلحة وتجهيز جيش منظم وأرسل سراً امراء اربيل وكوي وحرير وارتبط معهم بعهود تقضي بطرد البابان والانضواء الى إمارته واستغرق هذا الاستعداد ثلاث سنين خرج في نهايتها الامير وذلك سنة ١٢٣٨هـ الى حرير عاصمة آبائه وأجداده، واستولى عليها من البابان دون حرب وتابع سيره الى اراضي الخوشناو واستولى عليها، ثم ذهب الى ديرا، واحتل قلعتها دون حرب وكانت ايضا بيد البابان. وفي محرم سنة ١٢٣٩هـ تقدمت جيوش السوران الى اربيل واحتلتها هي والتون كوبري (بردى).

وفي صفر سقطت كوي دون حرب وخرج منها البابان. وفي جمادى الثانية احتل الامير رانية وجعل الزاب الصغير مرة ثانية حدا يفصل إمارة السوران عن إمارة البابان. وعلى اثر هذا الانتصار ارسلت حكومة ايران كما ارسلت خانات (حكام) مكري، وجهري، وهكاري، في كردستان الشمالية والشرقية تهاني اللأمير.

انقراض الباهدينان والاتساع شمال الزاب الكبير.

ساق الامير جيشا كبيرا سنة ١٢٤٧هـ الى منطقة الباهدينان واجتاز زي بهدينان (الزاب الكبير) ووطئ منطقة علي بگ الداسني واحتلها بعد حرب، ثم واصل سيره الى الموصل فخشيه واليها محمد بگ واعلن الحصار. ودون ان يضيع وقته على حصارها غادرها الى العمادية بعد ان أمر جنده بنهب قراها ولما وصل العمادية قسم جيشه ثلاثاً ابقى قسما بقيادة موسى باشا على حصار العمادية وقسما أرسله بقيادة شالي بگ الى زاخو، وقسما آخر، بقيادة أخيه رسول بگ الى شنگار (سنجار) فسقطت العمادية بعد حصار ثلاثة اشهر ونصب موسى باشا حاكما عليها وكذلك سقطت زاخو وشنگار.

يقول الاستاذ حسين حزني المكرياني في كتابه (ميراني سوران) أن مخابرة جرت في شهر تشرين سنة ١٨٣١م. الموافق سنة ١٢٤٧هـ بين الامير ومحمد علي باشا والي مصر على أن يخرج جيش مصر الى سوريا واذنه وجيش الامير يتقدم الى ماردين ودياربكر اي انه تم الاتفاق على اقتطاع بلاد الاكراد وبلاد الشام ومصر من جسم الدولة العثمانية. وصل كتاب محمد علي باشا الى الامير بعد سقوط العمادية وزاخو في مايس سنة ١٨٣٢م. وفي تموز من تلك السنة وصل ابراهيم باشا المصري حمص وارسل المير فوصلته الرسالة بالقرب من الموصل.

وفي أوائل سنة ١٨٣٣م. توجه المير الى (عقرة) و (زيباري) فحاصر قلعة عقرة شهرا ثم استولى عليها وطرد اميرها اسماعيل، وبعد أن نظم شؤونها ساق جيشه الى جزيرة بن عمر (جزيرة بوتان - بختان) واشتبك مع الازيزان[١] بحرب شديدة واخذ منهم الجزيرة ثم تقدم الى قلعة (اروخ) واحتلها ايضا بعد حرب حامية الوطيس. وقد ارغمه عدم استقرار الحالة في المناطق المحتلة شمالي الزاب الكبير على أن يعود اليها ثانية ويقر الامور في عقرة وزاخو ودهوك ويلحقها بإمارته وبعد ذلك عاد الى حسن كيف (حصن كيف) وارعب الامراء البدرخانيين وهدد ماردين ونصيبين. وفي هذه الاثناء اغتنم امير العمادية الفرصة وشق عصا الطاعة على الامير فاضطر أن يعود من ماردين الى العمادية ويحتلها ويسقط اميرها سعيد باشا، ويقضي بذلك على إمارة البهدينان.

دور الانحطاط.

وبين عامي ١٨٣٣و١٨٣٤م. قدم رشيد محمد باشا الصدر الاعظم العثماني الى (تلعفر) وهي ناحية تركمانية من النواحي التابعة الى الموصل على رأس قوة كبيرة ليقضي على الامارات الكردية التي كان يخشى منها أن تهدد نفوذ الدولة العثمانية وتقضي عليه في كردستان. سيما وكانت إمارة رواندز هي المقصودة في الدرجة الاولى لانها كانت تكتسب قوة باستيلائها على الامارات الكردية الصغيرة وقد تجسم خطرها لدى الباب العالي حيث اتفقت مع محمد علي باشا المصري على إقتطاع البلاد الكردية والعربية من جسم الدولة العثمانية. إستطاع الصدر الاعظم بدهائه وحنكته السياسية أن يستميل امراء الاكراد المنافسين للامير ويضمهم الى قوته فتراجع الامير حالا الى رواندز واخذ يتأهب لمنازلة الترك. بيد أن الصدر الاعظم الذي كان يعرف مبلغ قوة الاكراد لم يقدم على

١. ازيزان - عزيزان: هم اجداد البدرخانيين.

حربهم فاستمال علماءهم ليكون النصر بجانبه كلية واقنعهم باستنكار وقوف الامير في وجه خليفة رسول الله فاصدر منهم الملا محمد، خطى فتوى مؤداها (إن كل من يحارب جيش الخليفة غير مؤمن وزوجته منه طالق) كان لهذه الفتوى اثرها العظيم في الجند واعوان الامير فانفضوا من حوله وبعد ذلك كتب الصدر الاعظم قائد الحملة العثمانية الى الامير يعده إن هو ذهب وإياه الى الأستانة لتقديم الطاعة للخليفة يستصدر له فرماناً (مرسوما) ببقاء إمارته له فانطلت الحيلة عليه وذهب للاستانة ولم يعد منها إذ قتل كما قتل غيره ممن خدعوا بعهود السلطان ووزرائه. ولا ريب ان الملا محمد خطى حين اصدر فتواه لم يكن يتصور هذه النتيجة ولم يكن يعلم أن الترك يستعملونه وغيره من علماء المسلمين ليوصلوهم الى غايات هم اعجز من أن يصلوا اليها عن طريق السيف. ومن المؤسف جدا أن يجد المتتبع لتاريخ الاكراد أن بعض رجال الدين يسيطرون على رجال السياسة ويكون بعضهم سببا لنكبتهم ليس لانهم يقصدون ذلك بل لانهم كانوا ينساقون انسياقا اعمى. فهذه الامارة تتسع هذا الاتساع ثم تنقرض دون ان يظهر عليها الهرم او يحول دون تقدمها قوة من القوى، اللهم الا فتوى شيخ مخدوع.

ظلت رواندز بعد ذلك بيد امراء من الاسرة الحاكمة رغم ما بذله الاتراك من الجهد للقضاء عليها قضاء مبرماً. وآخر من تولاها منهم رسول باشا شقيق الامير محمد باشا الكبير. وقد توفي رسول باشا عام ١٢٩٨هـ في ارضروم عندما ذهب ليشترك في المعارك الروسية التركية مع جيش احمد مختار باشا. وبموته انقرضت امارة السوران وحكمها الترك بعد ذلك حكما مباشرا وجعلوها متصرفية بضع سنين ثم قائمقامية. وبسقوط العراق بيد الانكليز في الحرب العالمية سقطت رواندز مع غيرها من مدن كردستان الجنوبية بيدهم وهي اليوم مركز قضاء.

الفصل العاشر

كوي سنجق

غادرت اربيل في ٣٠ تموز ميمما كويسنجق مع رفقة اطياب نحو الشرق فمررنا في الكيلومتر العاشر بقرية (كسنزان) وهي قرية أنشأتها طائفة من قبيلة الكيردي بجانب نبع فياض فرات. ثم اخذت سيارتنا بعد ذلك تسير في دولي خاني (وادي الخان) وبعد اجتيازه شرعت الارض ترتفع تدريجيا ولما وصلنا الكيلومتر الثاني والعشرين ظهرت أمامنا تلال محرجة هي بداية المنطقة الجبلية واول صعود اعترضنا طلعة (برده باس) التي اشرفنا منها على مضيق (دربند گوم اسبان) حيث كان الامير محمد الكبير المعروف بكور محمد باشا أنشأ قلعة جددتها الحكومة العراقية وعززتها بقوة من الشرطة. وهذا المضيق وجبل سفين للخلف منه يفصلان منطقة قبائل الخوشناو عن منطقة قبائل الكيردي[1] ومنطقة الكيردي التي نجتاز بها الان تقع في سهل شهير بالمراعي واولى قراهم التي اجتزناها (اشكفت سقا)وتقع في الكيلومتر الواحد والثلاثين والنصف وتليها قرى باقلين، واريان، وتركينا، وديكالا، وتختلف هذه عما سبقها بطبيعتها فهي منقسمة الى قسمين قسم منها مشتى وهو الكائن في الوادي وقسم مصيف وهو المشيد على الجبل، اما القرى الاخرى فجميعها في السهل وتنتهي منطقة الكيردي في قرية ديكالا ثم تليها اراضي قبيلة الكوردي واولى قراهم كوماتال، وهي في الكيلومتر الخمسين ثم باوا قوب، فأرمونا، وهذه

---

١. ويقدر طه الهاشمي عدد بيوتهم بنحو (٦٠٠٠) وامين زكي بـ(٦٠٠).

سكانها كلدان وهي القرية الوحيدة في كردستان الجنوبية التي شاهدت فيها زيتونا. وتقابلها على يسار الطريق قرية تويزاو وهي اخر القرى التي اجتزناها قبل ان ندخل كوي سنجق.

كوي سنجق

بلدة قائمة على تلال منبسطة ابنيتها من الطوب التي تبعد عن اربيل (٧٥) كيلو مترا. يحدها شرقا جبل هيبت سلطان، وغربا جبل باوه جي، وشمالا جبل ميرسيدوش وقسم من رويار كوي. وهذ النهر يمر من شرقي البلدة ويروي حدائقها التي تمتد مسافة تبلغ ثلاث ساعات وتحيط بالمدينة من جهتها الشمالية والشرقية. والبلدة اكثر ما تنفرج في الجهة الجنوبية حيث ينبسط سهل كوي. والبلدة مركز كبير للتبغ الذي يتجمع فيها من مختلف القرى ثم يصدر الى بغداد والكمية التي تصدر منها يعتقد انها تبلغ سدس تبغ العراق وهذا السدس يتمم الخمسة اسداس التي تصدرها السليمانية. ويبلغ سكان البلدة ستة ألآف، جميعهم اكرادا الا (٣٠) بيتا للكلدان و (٣٠) اخرى لليهود وينقسم الاكراد في البلدة الى ثلاث طبقات (١) الاشراف وهم طائفتا الحويزي والغفوري (٢) رجال الدين وهم النقشبنديون و (٣) التجار.

والحويزي: عشيرة كبيرة تنتسب الى (حويز آغا بالي) احد الحكام الذين تولوا حكم كوي باسم البابان. وقد تولاها منهم ايضا حاجي بكر اغا باسم السوران في عهد كور محمد باشا، مما يثبت أن كوي كانت عرضة لهجمات البابان والسوران يتولاها القوي منهم. وفي عهد حاجي بكر آغا انتشر الطاعون وذهب بقسم عظيم من سكان البلدة وهذا الآغا هو جد قائمقامها الحالي جميل آغا.

والغفوري ينتسبون الى غفور آغا ومنهم حمه آغا الذي عينه الانكليز

قائمقاماعلى كوي سنة ١٩١٨م. وجعلوا جميل آغا مساعداً له. وفي سنة ١٩٢٠م توفي حمه آغا عن ثمانين سنة وعين في منصبه جميل آغا ومنه علمت أن أشهر القبائل التابعة الى كوي هي: (١) المير يوسفي وتقيم في إحدى وعشرين قرية وأشهر عمل لها زراعة التوت والكروم (٢) كه لوي و (٣) لك و (٤) منتك.

السوق

هبطت السوق بصحبة مضيفنا كاكه محمود ووجدت أن تجار كل صنف قد اجتمعوا في ناحية والأصناف الرئيسية أربعة. (١) الأقمشة ومعظمها من صنع ايران. (٢) السروجية وأدوات الخيل ولوازمها و (٣) الأحذية. و (٤) الأسلحة. ويقوم اليهود بالصياغة والصباغة وبيع الأقمشة، والكلدان بالحياكة ويتاجر الاكراد بالأصناف الأربعة ولا سيما الأصناف الثلاثة الأخيرة. عدنا من السوق وذهبنا الى منزل الأستاذ سعيد فهيم لتناول طعام الغداء واجتمعنا بمدير المدرسة ولفيف من الأساتذة وعلمت منهم أن المدرسة واسعة تتألف من طابقين شيدت في مكان صحي، وهي ذات ستة صفوف يبلغ عدد طلابها (٢٤٠) طالبا وأساتذتها ستة، والتدريس باللغة الكردية أما العربية فتدرس كلغة شأنها شأن الانجليزية، وهي بالرغم من تدريسها من الصف الاول والانگليزية من الصف الخامس أصعب على تلامذة الأكراد والسبب في هذه الصعوبة يعود الى أن اسلوب كتب القراءة العربية ومواضيعها لا تتلائم ونفسية الطلاب، ولذلك تجدهم اقوى بالانگليزية لحسن اسلوب كتب القراءة الانگليزية وقرب مواضيعها من تصورهم. وقد ادخلت الكشفية حديثا الى المدرسة بعد ان ذللت عقبات كثيرة في وجهها كان رجال الدين يثيرونها وقد بلغ عدد الكشافة في هذا العام (٨٧) كشافا منقسمون الى تسع طلائع والعدد اخذ بالازدياد عاماً بعد عام بإزدياد إقبال السكان على التعليم.

مصيف آب جيناروك

اقترح بعض الاصحاب ان نخرج الى الضواحي ونزور مصيف آب جيناروك فأعدت لنا خيول كردية (كديش). والخيول الكردية أقوى من الخيول العربية وأسرع ركضاً في الجبال ولها شكل يسهل تمييزه عما سواها. امتطينا هذه الجياد وتقدمنا دليل سار بنا نحو الشرق فتبعناه نصعد جبل هيبت سلطان العالي الذي يبلغ ارتفاعه (١٠٦٨) مترا فوق سطح البحر فأشرفنا من قمته على جبال كردستان الشرقية العالية. وقد اشار علينا الدليل حين اخذنا في الهبوط أن نترجل لشدة انحدار الطريق والتوائها، ففعلنا وسرنا في ارض حمراء حديدية التربة ومررنا بكاني توارش، وهي عين ماء تتدفق من تحت صخرة جلسنا قبالتها نستريح وهي آخر مرحلة، وصلنا بعدها الى جيناروك مصيف كوي وحللنا ضيوفا على الحاج عبدالله افندي آل جلي، وهو شيخ جليل يقرض الشعر بالكردية امتدح لنا جيناروك وما يجاورها من القرى في البيت التالي وهو من نظمه:

هناري نازنين وخوخي هيران وسيوي شقلاوى
بحقت جنت العدنن جناروكش لبر آوي

ومعنى البيت (ان نازنين برمانها وهيران بخوخها وشقلاوة بتفاحها وجيناروك بمائها في الحقيقة جنات عدن). واسترسل بعد ذلك في الحديث واشار الى شلال سماه (سول باشا) اي شلال الباشا وقال (تزداد مياه هذا الشلال في الربيع وتتناقص في الصيف وهي بعد ان تهبط الطور العالي – وكنا نجلس في سفحه – تسير الى الحدائق فترويها. والباشا المنسوب اليه الشلال هو رسول باشا البابانی، وكان في حروبه مع العثمانيين يضرب مخيمه بالقرب من نبع الشلال فنسب اليه غير ان الباشا لم يجد في هذا

الموضع المناعة الكافية فانتقل الى جبل (توه كرد) وهو جزء من جبل سفين. وهنا احتيل عليه فوقع اسيراً ونفي الى الأستانة. وبالقرب من هذا الشلال نبع آخر بين اشجار السماق والاجاص البري، يدعى (كاني خاتون) اي نبع الخاتون وينسب الى زوجة رسول باشا. انتقل بعد ذلك شيخنا في حديثه الى المنطقة الجبلية التي شاهدناها من قمة جبل هيبت سلطان وشرع يبحث عنها فقال (انظروا الى الشرق الشمالي تروا امامكم جبال كردستان وهي تتدرج بالارتفاع وتسير موازية لبعضها وكلها مكسوة بالاحراج، واقرب سلسلة ترونها هي جبال شيخ زاد، وهي اقل الجبال ارتفاعا واقلها حراجاً ولكنها اغناها مراعي صيفية وشتوية. ويليها جبل ماكوك المشهور ببلوطه الحلو ويبرز شماليه جبل كاروخ واعلى قمة فيه (هندرين) ويبلغ ارتفاعها (٢٦٢٥) مترا فوق سطح البحر. وفي الجنوب يبدأ بالانخفاض واعلى ارتفاع له فيه في سرنه كور يبلغ (٢٥٩٨)مترا وينفرج هذا الجبل في اقصاه الجنوبي عن مضيق زارتاو، وتقع فيه قرية شيبان ويمتد منها دشتا بتوين وهو سهل، حده الشمالي هذه القرية، والجنوبي الزاب الصغير ويقدر طوله بعشر ساعات وعرضه بخمس ويجتاز بحده الغربي رافد (كوماكا) الذي ينبع في قرية سماقولي على سفح جبل آوه كرد ويخترقه رافد (سروجاوه) وهو ينبع من قرية سروجاوه وسكانها من قبيلة بلباس وهي من القبائل الرحل التي تقضي صيفها في جبال قنديل وشتاءها في دشتابتوين ويقدر عدد بيوتها بنحو (٦٠٠٠) بيت. وكلا الرافدين يصبان في الزاب الصغير ويرويان السهل بصورة جعلت سكانه يقبلون اي اقبال على زراعة الأرز.

ويقوم في شرق وشمال هذا السهل جبال رانية وهي تتمة سلسلة كاروخ ويليها جبال قنديل الشاهقة التي لا تبرحها الثلوج صيفاً شتاءً.

ان هذه الجبال التي نشاهدها هي في الحقيقة نهاية سلاسل جبلية

متوازية يبلغ عددها ستة اذا اخذناها بالتسلسل من هيبت سلطان وهو أولها ونهاية سلسلة جبال بيرمام، والسلسلة الثانية جبال سفين التي منها جبل آوه كرد والسلسلة الثالثة جبال حرير ومنها جبل شيخ زد، والسلسلة الرابعة جبال كريك، ومنها جبل ماكوك. والسلسلة الخامسة جبال كاروخ ورانية والسلسلة السادسة جبال قنديل الشاهقة ويبلغ اعلى ارتفاع لها (٣٤٨٦) مترا فوق سطح البحر وذلك في قمة حاجي ابراهيم الواقعة على الحدود الايرانية العراقية. عدد لنا المضيف الجبال المار ذكرها وعدت بارتفاعها الى خارطة انگليزية عن كردستان الجنوبية، ويتقسيمها الى سلاسلها الى كتاب مفصل جغرافية العراق.

أشهر قرى كوي

طلبت الى الاستاذ سعيد فهيم ان يزودني بمعلوماته عن اشهر قرى كوي فكتبها لي ثم تلاها امامي لضبط اللفظ وها انا ادونها كما أخذتها

كروز – قرية تبعد ساعتين في الناحية الشمالية الغربية عن كوي وتقع في واد على حافة نهير صغير يدعى (باسه لم – رويار كروز) وهو الجزء الاعلى من نهر كوماكا. وتشتهر هذه القرية بكثرة مياهها الكبريتية التي تنبع من تل مجاور لها وبالفحم الحجري الموجود في قيران.

سماقولي كلي – قرية تبعد (٤٠) دقيقة شمالي كروز بالقرب من واد سحيق ويسمي الاكراد هذا النوع من الوديان گلي – فاشتهرت به. وسكانها من قبيلة هيزوب ويشتغلون بصنع الفحم وتصدير الصمغ الذي يجمعونه من الاحراج الى كوي والموصل حيث يستعمل للحياكة، وفي موسم الزراعة ينصرفون لزراعة الأرز.

جلي – قرية صغيرة واقعة على نهر كروز وتبعد عن كوي ساعتين ونصف الساعة للجهة الشمالية منها. والى هذه القرية ينتسب الملا محمد

– مضيفنا في جيناروك – ويشتغل سكانها بزراعة التبغ وجمع الصمغ، وتكثر فيها المياة الكبريتية الحارة ويؤمها في موسم الاستحمام عدد كبير من القرويين.

نازنين – قرية على سفح جبل سفين تزدان بالحدائق الجمة وغابات العرعر ويبلغ عدد بيوتها (١٢٠) بيتاً وأهلها يشتغلون بفلاحة البساتين وبيع الفواكه وتقع شمالي كوي على بعد اربع ساعات منها.

هيران – قرية على سفح جبل سفين تزدان بالحدائق وغابات العرعر والسرو وهي قسمان هيران القرية الاصلية، وبيلنگا ويعزى انقسامها الى تشاجر اخوين من زعمائها انفصلا فانقسم الاهالي الى طائفتين تؤيد كلا من الاخوين. ورئيس هيران كاك مصطفى وله من العمر (٤٥) سنة وهو عالم ديني وشاعر بالكردية وله مقطوعات فضلها بعض شعراء الاكراد على قطع تماثلها لحافظ الشيرازي الشاعر الايراني الشهير. ويبلغ عدد بيوت القسمين (٤٠٠) بيتا. ويقوم سكانها بزراعة التبغ، وبيع المحاصيل الجبلية كالصمغ والعفص والبلوط والاخشاب.

خوران – اقصى قرى كوي في الشمال الغربي وتبعد عنها ثماني ساعات. وتقع في واد قليل الانخفاض قبالة جبل سفين. ويبلغ عدد بيوتها (١٥٠) بيتا سكانها من قبيلة مير يوسفي احد افخاذ الخوشناو.

طقطق – هي الناحية الوحيدة المربوطة بقضاء كوي، يقرب سكانها من الخمسمائة، وقد ازدادت اهميتها لوقوعها على الزاب الصغير ونشط اهلها لنقل التبغ على قواربهم الى بغداد.

رانيه – مركز قضاء مربوطة بلواء اربيل وتبعد عن كوي خمس ساعات للشمال الشرقي منها وهي قائمة في دشتا بتوين (سهل المابين). يخرج منها نبعان يجف احدهما في الفصول، ويصل الاخر وهو (قله) دائم الجريان. وفيها تل قديم يقال ان الجيوش الايرانية اقامته وقد شيدت عليه

البيوت بشكل مدرج وهو شبيه بتل اربيل. بالقرب من هذا التل جبل مرتفع حديث التكوين يرجع الى الدور الجيولوجي الرابع يسمى جبل (كني ساي - سگ) اي وكر الكلب. وينتسب سكان رانية الى قبائل البلباس والبشدر ولآكو ونظرا لكثرة المستنقعات التي تستوجبها زراعة الأرز فقد تفشت الملاريا بين سكانها. واشهر محصولاتها الارز والتبغ.

خدران – ناحية من نواحي رانية وهي قرية صغيرة قائمة على سفح تل بالقرب من جدول خدران (جوگەی خدران) يصب مياهه في نهير گوماگا ويبلغ عدد بيوتها (٤٠) بيتا، جميع سكانها بلباس يتعاطون زراعة الارز والتبغ. ويلباس من القبائل الكردية الرحالة الشهيرة ويقدر عدد بيوتها نحو (٦٠٠٠) بيت.

سەنگەسەر – قرية من قرى رانية تقع على تل يطل على الزاب الصغير شيدت بيوتها حديثا ويبلغ عددها (٢٥) بيتا جميع سكانها من قبيلة مانگور وتبعد ثلاث ساعات ونصف الساعة شرقي رانية.

سركبكان – قرية صغيرة جميع اراضيها وعرة تقع في واد بين جبلين وتل يدعى كيلكه ي نمرود، اي ذنب نمرود ويبلغ عدد بيوتها (٧٠) بيتا سكانها من قبيلة مامند آغا أحد أفخاذ عشيرة آكو. واشهر محصولاتها التبغ والأرز والمحاصيل الجبلية.

كلمة عن تاريخ كوي

ورد ذكر إمارة كوي في القرون الوسطى وكانت من إمارات الزاب الحصينة وكان امراؤها في الغالب من السوران (سهران) ولم تستطع ابان انتشار نفوذ البابان او سوران رواندز أن تحافظ على استقلالها، فكانت تارة تسقط بيد البابان وطوراً بيد السوران. ومن آثار دور إمارتها قلعة اتخذتها حكومة العراق ثكنة للجنود ولم يبق من سورها الا آثاره.

الفصل الحادي عشر

أربيل - الموصل

الطريق بين اربيل والموصل ٣ آب

قفلت من كوي في اليوم الثاني من آب عائداً الى أربيل، وفي صباح اليوم الثالث عزمت والاستاذ رفيق حلمي على السفر الى الموصل، فأخذنا سيارة وقفت بنا قبل السفر في اطراف البلدة امام بيت السائق حيث دخل يتزود بالزيت ولما خرج جاءت معه زوجته فنظرت الينا وقالت له بالكردية ما معناه (خذ أجراً قليلا من الغريب – وقد اشارت الي – فالغريب يحتاج الى مصرف كبير في ديار الغربة) وهذا ما فعله معنا حين وصلنا الموصل.

انطلقت بنا السيارة نحو الجنوب الغربي تخترق سهول أربيل الخصبة وكانت اسراب القطافيها، كما في طريق أربيل – كوي، تملأ الجو بكثرتها واجتزنا منارة قديمة تهدم اعلاها بنيت في العهد العباسي ثم طواحين ماء جئنا بعدها الى عرب كندي، وهي قرية كثيرة الخضار وفيرة المياه. وجميع القرى التي شاهدناها على جانبي الطريق حتى الزاب الكبير سكانها من قبيلة مامند الكردية وهاهي بالترتيب، حسب ماشاهدناها – جميكه، بمين، يارمجه، خزنة، دهيمات، ترجان، قادرية، عباسية، بيمرامبر، شمشولة، زاگه ومعظمها يقع في دشت شماموك الشهير بمراعيه ومياهه. واكثر ما يعنى بتربيته السكان من الحيوانات الداجنة الابقار. وبعد زاگة اجتزنا ثلاث قرى عربية هي هويرة، ومرجيبة، ودراج. ثم اخذت قرى الماوند تظهر فاجتزنا جروة وابو شيته وكاميش تبه، وفي هذه شيد

جسر حديث وعبدت الطريق الى الموصل وكان بعضها مطليا بالقار واخيرا وقفنا في الكوير على الزاب الكبير بعد خروجنا من اربيل بساعتين.

الكوير - مركز ناحية من نواحي قضاء مخمور، القضاء الخامس للواء اربيل تقع على شاطئ الزاب الكبير وهي مركز قبائل دزي التي تعتبر من أغنى القبائل الكردية لوقوع اراضيها بين الزابين. والمأوند (الماسان) فخذ من افخاذها[1] تناولنا طعام الغداء في الكوير واسترحنا قليلا ثم قطعنا الزاب على عبارة خشبية وتابعنا سيرنا الى الموصل في منطقة كردية تحاذي دجلة. والاكراد سكانها يختلفون عن بقية الاكراد في معتقدهم الديني وهم طائفتا الشبك والسارلي والشبك من غلاة الشيعة يقدسون الامام علي بن ابي طالب ويشتركون مع طائفة اليزيديين في اكثر حفلاتهم ويقدر عددهم حسب ما جاء في مفصل جغرافية العراق بـ(١٢) الف نسمة. وقد مررنا بقريتين من قراهم - خضر الساطلي وامريكان، وتقع بقية قراهم بالقرب من جبل المقلوب وهو جبل في الجهة الشمالية الشرقية من الموصل قرب ملتقى نهري كومل وخازر وكلاهما يصب في الزاب والزاب هذا ينبع من الجبال الواقعة بين بحيرتي وان وارمية في كردستان الشمالية، ويصب في دجلة جنوب قرية نمرود ويبلغ عرضه قرب التقائه برافده خازر (٨٠٠) يردا وطوله (٢٠٠) ميلا واشهر روافده خازر، ورويار رواندز. ومعتقد السارلي شبيه بمعتقد الشاباك ولغة الطائفتين الكردية، دخلها بسبب معتقدهم مفردات فارسية وتركية وهذا ما قد يجعل من يسمعهم لاول مرة أن يعتبرهم طوائف منفصلة لا تربطهم بالاكراد رابطة.

---

١. ويبلغ عدد بيوتها زهاء (٥٠٠٠) وعدد المسلحين فيها نحو (٢٠٠٠) وهي مؤلفة من اربع فرق كونتاله، مان، ببران ويجعل امين زكي بگ هذا العدد (٦٠٠٠) بيتا ويصحح كونتاله الى كونتوله ويهمل ذكر دولممري وقد اورد ذكرها الفريق طه الهاشمي.

وهو عين الخطأ. وقرى السارلي قريبة من قرى الشاباك واشهرها تل لبن، ويساطلية، كابارلي، وخراب السلطانة.

وصلنا الساعة الثالثة الموصل بعد أن قطعنا (٦٦) ميلا بينها وبين اربيل وحللنا في فندق صاحبه أرمني، وقل ان تخلو الفنادق في هذه البلدة من الأرمن او الكلدان.

الموصل – خرجت من الفندق مساءً عندما هبطت درجة الحرارة أبحث عن موصلي كان يسكن عمان فركبت عربة الى حي باب المنقوشة فاوصلتني الى زقاق لا تستطيع السير داخله فأشار الي الحوذي أن أسير في هذا الزقاق وأسأل عن صاحبي، فتغلغلت في الأزقة أبحث عنه حتى اهتديت اليه فحييته وساربي الى بيته في سن كاوب وهي اعلى نقطة في الموصل. ففرش لنا على سطح البيت وجلسنا نتحدث، وكانت الموصل امامنا كالصحن ولاحظت أن هذا الحي والاحياء المجاورة كالمشاهدة، والخاتونية، وقليعات، خزرج، وباب البيض الفرقاني، وباب البيض الجواني، والزوريين، محرمة من نور الكهرباءالتي كانت تسطع به المدينة بأجمعها ويعزى السبب في ذلك الى السكان انفسهم فهم من اهل القفطان والعباءة والكوفية دأبهم الاتجار بالاغنام مع القرويين والقبائل الرحل، وقل ان يعنوا بتعليم ابنائهم، ولا ينظرون الى لابس البذة بارتياح، شأنهم في ذلك شأن البدوي مع الحضري.

وبعد صلاة العشاء ذهبت وصديقي الموصلي الى مقهى كبير بالقرب من الفندق وجلسنا منعزلين فلم يشأ ابناء الموصل، وهم ممن يتوددون الى الغريب ويميلون الى محادثته أن يتركونا في عزلتنا فاجتمع الينا بعض التجار وشرعوا في الحديث وكان اغلبه يتناول فلسطين والحركة الصهيونية، ثم ذهبوا الى اكثر من ذلك فجعلوا الاكراد في العراق الشمالي كالصهيونيين في فلسطين فصبوا عليهم جام غضبهم. والحقيقة أن الاكراد

في العراق يقطنون بلادهم المعروفة بكردستان الجنوبية وهي التي يدعوها كتاب العرب بالعراق الشمالي. وهذه تمتد في الجنوب من مندلي ويفصلها عن العراق العربي وبادية الشام، خط يسير فوق ذرى جبل حمرين ثم يتصل بدجلة الى الموصل، ومنها يسير غربا الى سنجار.فكل ماهو شرقي هذا الخط فهو كردي، وماهو غربيه عربي والاكراد لا يطلبون غير بلادهم ولاهم براغبين عنها الى غيرها، وهي وطنهم منذ القدم وسيحتفظون بها، كما يطلب غيرهم أن يحافظ على بلاده حرة يستنشق منها نسمات الحرية صباح مساء. لم اطل البحث مع هؤلاء التجار فخرجت الى مواضيع تجارية اجتماعية تتعلق بالبلدة واخرى ليس من شأنها أن تخلق مشادة في الحديث.

وفي اليوم الثاني سرت والاستاذ رفيق حلمي، حسب برنامج رتبناه لزيارة البلدة والاماكن الاثرية في ضواحيها. وها أنا اجمل فيما يلي مطالعاتي ومشاهداتي عنها:

الموصل – بلدة كبيرة قائمة على ضفة دجلة اليمنى، تصل كردستان بالعراق العربي وبادية الشام ويتراوح سكانها مابين التسعين والمائة الف معظمهم مسلمين. ومن المسيحيين فيها الكلدان والسريان أحفاد الاراميين، والآشوريين القدماء ومهاجر و الارمن. ومن الاقليات فيها الصابئة اتباع النبي يحيى، واليهود. ولغة البلدة الرئيسية هي العربية، ويعرف معظم السكان اللغة الكردية لان موصل سوق كردستان. والاكراد على اتصال دائم فيها يستوردون منها القهوة والسكر واقمشة الهند واوروبا. ويصدرون اليها القمح والشعير والخشب والحطب والبسط والطنافس والأحرمة ومواد الدباغة كالعفص وقشر الرمان والصمغ وما شابه ذلك، والزبيب والفواكه والمرمر والجبص والاغنام والماعز وجلودها وصوفها وسمنها والتبغ والمنسوجات المرعزية.

والاكراد الذين يصدرون اليها هذه المواد، هم سكان المنطقة الكردية الكائنة بين الزاب الكبير وخابور دجلة. وتستهلك الموصل الفواكه والعسل والبسط والطنافس، والاحرمة وقسما من مواد الدباغة وتصدر الى بلاد الشام الاغنام والماعز. والى اوروبا وامريكا الجلود والصوف الذي يمتاز على غيره من الاصواف في حياكة السجاد ونسج الاقمشة الصوفية الثمينة. اما الحبوب فتصدرها الى بغداد. ولا تزال الموصل تحافظ على مركزها الصناعي والتجاري فلا تضاهيها مدينة من مدن العراق بمنسوجاتها الصوفية والقطنية واشهر معاملها المعمل الذي شيده مصطفى جلبي الصابونجي. وقد تمكنت خلال إقامتي أن ازور معامل النسيج وسوق الصياغة. وتنحصر اقسامها الذهبية بيد اليهود، والفضة بيد الصابئة وصياغة القسم الذهبي لا جدال في انها احط شأنا من صياغة الذهب في سوريا وعلى الاخص صياغة دمشق التي تفوقها دقة وجمالا أما الفضية فلا يجاري الصابئة فيها احد في الشرق العربي.

وأهمية الموصل التجارية تبرز حين نعلم انها مركز لأهم الخطوط التجارية في الشرق الادنى. إذ ترتبط بخليج فارس والبحر الابيض المتوسط وحلب بخطوط حديدية ويصلها بتبريز في إيران طريق معبد للسيارات يمر بأربيل وراوندز، ومدن كردستان الشرقية. ولم أنس أن أزور حمام علي أو حمام العليل في جنوب البلدة وهي حمام ذات مياه معدنية حارة يستحم فيها الآهلون للاستشفاء من أمراضهم الجلدية ويترشح من منابعها القار ممزوجا بالنفط ويصب في نهر دجلة.

نينوى- تقع على ضفة دجلة اليسرى أطلال نينوى عاصمة الآشوريين وآثارها منتشرة في ساحة واسعة على تلين: تل قويونجق وهو تل بارز في الشمال وتل آخر في الجنوب، بنيت على قرية النبي يونس ويعتقد البروفسور (راكوزين) مؤلف (كتاب آشور) ان الحوت الذي ابتلع النبي

يونس لم يكن سوى نينوى المحرفة عن كلمة نونو السريانية ومعناها حوت او سمكة. ويرجع تاريخ نينوى الى (٢٠٠٠) سنة ق.م وقد اتخذها الآشوريون عاصمة لهم في عهد الملك سنا خريب واحفاده من سنة (٧٠٥-٦١٢ ق.م) وفي منتصف القرن التاسع عشر، شرعت بعثات انكليزية وفرنسية تستكشف اطلالها، فنقلت الآثار المكتشفة الى المتحف البريطاني ثم نقلت آثاراً اخرى الى متحف الاستانة ومتحف اللوفر في باريس وأهم هذه الآثار الثيران المجنحة ذات الرؤوس البشرية، وقد كتب عليها بالخط المسماري شئ عن حياة الملك الذي شيد البناء المكتشفة فيه. واول من اكتشف هذه الثيران المسيو بوتا القنصل الفرنسي في الموصل سنة (١٨٤٢م) وهو الذي نقلها الى متحف اللوفر.

التشكيلات الادارية للواء الموصل

يتشكل هذا اللواء من تسعة أقضية منها سبعة كردية، وواحد تركماني وهو تلعفر وآخر عربي وهو قضاء الموصل وفيما يلي جدول بالأقضية والنواحي التي تتبعها.

القضاء	الناحية
١. عمادية	عمادية (نيرواريكان) برواري بالا
٢. دهوك	دهوك، دوسكي، مزوري بالا
٣. عقرة	عقرة، العشائر السبعة
٤. زيبار	بيرا كابرا
٥. زاخو	سليواني، سندي، گلي
٦. شيخان	القوش، باسفني، بعشيقة
٧. سنجار	سنجار، الشمالو
٨. الموصل	الموصل، شوره، قره قوش، شرقاط، حميدات، تلكيف
٩. تلعفر	تلعفر، زمار

الفصل الثاني عشر

الموصل - دهوك - عمادية

الموصل – ٤ آب

اقترح الاستاذ رفيق حلمي مساء البارحة ان نزور قائمقام العمادية ماجد بك وقد جاء الى الموصل لقضاء مهمة حكومية فذهبنا اليه فوجدناه في فندق مع مدير ناحية العمادية احمد بگ ومدير ناحية دهوك عبدالله أفندي عزين، فتم التعارف بيننا وأشار ماجد بگ علي بل اصر، ان ارافقهما في صباح اليوم الثاني الى العمادية فكان ذلك. وفي ٤ آب الساعة ١١,٤٠ انطلقت بنا السيارة نحو الشمال ومررنا بثلاث قرى بين الكيلومترين الخامس والسادس، اولاها قرية للصابونجي والثانية قرية فيها كنيسة المارجور جيوس والثالثة قرية رشيدية، وتكثر حولها الحدائق. وشاهدنا على يمين الطريق قرب الكيلو الرابع عشر (تلكيف) وهي ناحية كلدانية كبيرة يديرها مدير كلداني. ومما يجدر ذكره ان سكانها انشأوا فيها مؤخرا كنيسة بلغت تكاليفها (٣٨٠) الفا من الروبيات وتقع البلدة في وسط سهل زراعي خصب، اشتهر بجودة القمح والشعير. واشرفنا في الكيلو الثالث والعشرين على قرية (فليفل) ووقفت قليلا قرب مخفرها ثم تابعنا سيرنا واجتزنا قريتين على يمين الطريق تبعد كل منهما عن الاخرى (١٥) دقيقة وهذه القرى الثلاث سكانها أكراد، وآشوريون يعنون بزراعة القمح والشعير. ولما جئنا الى الكيلو (٣٢) ابصرنا على يسار الطريق قريتي (منارة) (وتل عدس) وسكانهما من الشاباك. وفي الكيلو (٣٦) مررنا بقرية

يزيدية وبعدها في الكيلو (٣٨) بقرية تل مسمى. وفي الكيلو (٤٢) قطعنا جسر بقاق على واد هو الحد الفاصل لقضاءي الموصل ودهوك. وبعد ذلك مررنا بأربع قرى أُخرها (فايدة) العربية في الكيلو (٥١) فيها مخفر للشرطة ويليها في الكيلو (٥٣) على يمين الطريق (كري فهم) اليزيدية، وفي الكيلو (٦١) قرية الوكا في واد يجري فيه جدول يروي بساتينها القليلة، وسكانها أكراد وآشوريون والطريق منها يتشعب فيذهب فرع الى زاخو، وفرع يظل مستمرا الى دهوك فالعمادية.

اجتازت سيارتنا الوادي على جسر، واخذت الطريق الشمالي الشرقي الى دهوك فوصلناها الساعة ٢,٢١٠ بعد ان قطعنا (٧١) كيلومترا وكانت درجة الحرارة فيها حين وصلنا (٨٥) فهرنهايت.

دهوك ٥ آب

حللنا البارحة بعد وصولنا، ضيوفا على قائمقام البلدة مكي بگ وتناولنا الغداء في منزله واتيحت لي الفرصة فاستقيت منه معلومات واسعة ساشير اليها بعد ان اصف معلوماتي عن البلدة ومشاهداتي فيها.

دهوك – مركز قضاء قائمة على هضاب منخفضة بعضها جرداء وبعضها خفيف الحراج ترتفع فتصبح جبالا كلما ابتعدت عن البلدة الا في الناحية الجنوبية حيث تتحول الى سهول تتسع كلما ابتعدت عنها. وتشبه دهوك رواندز كثيرا بموقعها الجغرافي. وتكثر في واديها الحدائق وتمتد الى بعد ساعتين ويروي البستانيون حدائقهم من مياه نهير دائم الجريان، يسمى روبار دهوك. وقد ذكر لي مكي بگ اثناء وجودنا حول النبع ان احد المهندسين يعهد له بانارة البلدة بالكهرباء من قوة هذه المياه.

وحيثما يقع النظر، ترى كروم العنب منتشرة في الجبال والهضاب والوديان والمشاهد كذلك ان بيوت البلدة مبني بعضها بالطوب النئ

وبعضها بالحجارة اما سقوفها فواطئة بوجه الاجمال ومغطاة بالاخشاب، وهي كثيرة جدا في الغابات المجاورة. وقد لفت نظري اثناء التجوال خارج البلدة بناء يختلف عن بقية منازل البلدة قائم على تل مشرف يبعد عشر دقائق عنها في جهتها الجنوبية الشرقية، فسألت عنه فقيل لي انه دار ضيافة للموظفين، فذهبت اليها وشاهدت داخلها جنديا سمح لي بزيارة غرفها وقال: (أقام الانكليز هذا البناء في بادئ الامر لضباطهم كي يجدوا فيه الراحة والطعام الشهي، ثم اتخذته الحكومة العراقية بعد ذلك دارا ينزل فيها موظفوها حين خروجهم بمأموريات للقرى، فلا يزعجون القرويين بنومهم وطعامهم. والموظف يدفع عن نومه وطعامه لكل يوم روبية. اما انا فاقوم بالحراسة وتسجيل عدد الايام التي يقضيها ذلك الموظف وارسلها الى دائرته، فتخصم من راتبه قيمة اكله ونومه. وفي كل غرفة موقد واسرة للنوم وطاولات وخزائن للملبوسات، يختلف عددها حسب حجم الغرفة اما غرفة الجلوس فتمتاز بوجود بضعة كتب انكليزية ومقاعد انكليزية) عدت بعد ذلك الى السوق ادرسها فاخذت اتجول بين اروقتها المغطاة اشاهد معروضاتها، واكثرها من الالبسة الكردية التي تصنع في أنوال أهلية داخل البلدة من شعر المرعز. واللباس الكردي في الاقضية الكردية الكائنة شمال الزاب الكبير يختلف عن اللباس في الالوية الكردية الواقعة في جنوبه، فهو هنا يشتمل على بنطلون شبيه بالشارلستون اوسع منه قليلا يدعى (رانك) ومعطف يدعى (جوگل) اما في الجنوب فيتبدل الرانك الى شلوار. وفي النواحي التي يتصل بها الاكراد بالعرب الى قفطان ويتفق الاكراد عموما بلبس العمامة على رؤوسهم وان تكن أشكالها تختلف اختلافا قل من يعرفه غير الاكراد. والعمامة تلف على قلنسوة من لباد مخروطية الشكل او من الحرير المزركش. وقل أن تخلوا أقدامهم من جوارب الصوف والحذاء وهذا إما أن يصنع من الشهر أو من الجلد.

التقسيمات الادارية

قال مكي بگ (وقضاء دهوك يقسم ادارياً الى ثلاث نواحي:

(١) دهوك ويتبعها (١٠٠) قرية (٢) مزوري ومركزها قرية أتروش ويبلغ عدد بيوتها (٣٠٠) بيتاً وعدد القرى التابعة الى الناحية (٢٠٠). (٣) دوسكي ومركزها قرية مانگيش ويتبعها (٩٠) قرية.

السكان والحالة الاجتماعية

يشتغل سكان دهوك بالزراعة وصناعة الالبسة الوطنية والتجارة، ويبلغ عددهم (٤٠٠٠) نسمة منهم (٢٥٠) يهود (٣٥٠) كلدان والباقون اكراد. واليهود والكلدان بيدهم صناعة النسيج والحياكة ولديهم (٢٠) نولا لنسج الشال والشابك، وهو اللباس الرسمي بين اكراد الشمال. وما ينسج في انوال الكلدان يفضل على ما ينسج في انوال اليهود من حيث المتانة والاتقان.

الجرائم – تقل جرائم القتل والسرقة في دائرة القضاء ولكن تكثر جرائم الخطف وذلك حين يهيم شاب بفتاة يعمد الى اختطافها من اهلها متى علم ان اهلها سيحولون دون زواجه بها وهذا سهل ومألوف لزوال الحجاب.

وهذا النوع من القضايا لا تنظره المحاكم الشرعية ولا النظامية، بل يحال الى محكمة العشائر وتنتهي القضية عادة بارضاء عائلة الفتاة باعطائها ترضية ادبية، ودفع صداق يتناسب ومقام اسرتها.

المدارس – هناك مدرستان في دهوك احداها ذات ستة صفوف للذكور واخرى ذات صفين للإناث، اما في القرى ومراكز النواحي فعددها اجمالا قليل. ففي مركز ناحية دوسكي مدرسة، وفي ناحية مزوري مدرستان احداهما في اتروش مركز الناحية. والثانية في قرية بيدا وفي سمل احدى

القرى التابعة الى قصبة دهوك مدرسة. وهذه المدارس ذات صفين فقط.

التعداد – يجعل الفريق طه الهاشمي نفوس قضاء دهوك (٣١٨٦١) نسمة استنادا الى الاحصاء الذي تم في عامي ١٩٢٧و ١٩٢٩ ولكن هذا الاحصاء لا يتناول نفوس العشائر الرحل وقد بلغ هذا العدد سنة ١٩٣١ (٣٤٠٠٠) نسمة وهو العدد الذي يقدرهم به قائمقام البلدة. غير انني اشك في صحة هذا العدد. اذ حينما نقوم باجراء عملية تقريبية باعتبار عدد القرى الموجودة في القضاء، وعدد البيوت التقريبي، نجد هذا العدد قليلا جدا.

يبلغ عدد القرى في هذا القضاء (٣٩٠) قرية حسب رواية القائمقام ويبلغ عدد بيوت اكبر قرية (٣٠٠)، وعدد اصغر قرية لا يقل عن (٢٠) بيتا فلو اعتبرنا معدل عدد البيوت (٣٠) بيتا وهو دون المعدل وجعلنا لكل بيت خمس انفس وهو ما يقدر به عدد البيوت في الاحصاءات العامة، لظهر لنا عدد النفوس في كافة قرى القضاء (٥٨٥٠٠) نسمة واذا اضفنا اليهم (٤٠٠٠) نسمة سكان دهوك، لاصبح هذا العدد (٦٢٥٠٠) نسمة وهو العدد الذي اقدر به نفوس هذا القضاء.

الحاصلات – يصدر هذا القضاء الى الموصل من الفواكه والعنب والحبوب ما تقدر قيمته (١٥٠٠٠٠) روبية عدا الاخشاب والحطب والاغنام والصوف.

القبائل المشهورة

القبائل المقيمة: هي المزوري، والدوسكي، الاولى يقيم افرادها في الناحية المسماة باسمهم والثانية تتالف منها ناحية دوسكي. وهنالك عشيرة الشرفان وهي قبيلة دأبها التنقل فتقضي صيفها باراضي الزوزان في كردستان الشمالية، وتعود في الشتاء الى قضاء دهوك. اما اليوم

فيحول دون دخولها المنطقة التركية، الوضع السياسي الاخير بين حكومتي العراق وتركيا، وبذلك فقدت مراعيها وضعف شأنها.

دهوك - عمادية

غادرنا دهوك اليوم (٥ آب) الساعة العاشرة والنصف سالكين وادي (روبار دهوك) وارتقت بنا السيارة نحو الشمال الشرقي حيث اخذت الجبال بالارتفاع والغابات تزداد كثافة، فاطمأنت النفس لعمران الطريق بالقرى. واول قرية شاهدناها في الكيلو الحادي عشر بعد دهوك سندور وقد شيدت بيوتها على تل بارز تكثر في سفوحه الحدائق والمياه النميرة، ويبلغ عدد البيوت فيها (٢٥) بيتا جميع قاطنيها يهود. ويكثر في الجبال التي تحيط بها وهي فرع من (جياسبي) اي الجبل الابيض، الفحم الحجري. وسلسلة (جياسبي) نفسها غنية به ايضاً وبعد ثلاث كيلومترات مررنا بقرية (بادي) وتشبه القرية السابقة باوصافها الطبيعية الا ان سكانها اكراد، وآشوريون. وفي الكيلو (١٨) اخذت غابات الصنوبر تظهر وتجتاح انواع الاشجار الاخرى. وتعتبر قرية زاويتا مركزا لهذه الغابة والحد الفاصل بين قضائي دهوك والعمادية، وسكانها اكراد. وللحكومة فيها مدرسة ذات صفين. وكما تفصل زاويتا بين قضائين، كذلك تفصل بين سلسلتين من الجبال احداها على يمين الطريق وتقطنها قبيلة المزوري. والثانية على يسار الطريق وتقطنها قبيلة الدوسكي. وبينهما على جانب الطريق قرية (كري كاوان) وفي الكيلو (٤٠) جئنا الى (سوارا توكا) وهي اول مخفر في قضاء العمادية وكلمة سوارا توكا، محرفة عن سوارا توركا، ومعناها فرسان الاتراك. وسبب تسميتها ان جيش أمراء البهدينان اشتبك مع جيش تركي فيها وهزمه شر هزيمة، فسجلها الاكراد بأن أطلقوا عليها اسم (سوارا توركا) ليذكروا دوما هزيمة الاتراك امام قواتهم. وظل صعودنا نهايته في سوارا توكا، ومنها اخذ الطريق في الهبوط قليلا ثم اعتدل ولكنه عاد

فتموج بقرب العمادية. وبعد سوارا تابعنا سيرنا واجتزنا قرى: گورامار، وروستنيك، وسرسنگ. وهنا وقفت بنا السيارة ثم عادت ادراجها الى الموصل لعدم استطاعتها مواصلة السير، فقررنا المبيت في مضارب العمال الذين كانوا يفتحون الطريق الى العمادية. وسرسنك قرية سكانها آشوريون يقطنون في (٤٥) بيتا لهم مدرسة وكنيسة. والمدرسة طائفية عدد تلاميذها (٥٠) تلميذا تدرس اللغة الآشورية والانگليزية والعربية.

اجتمعت بقسيس القرية حينما خرجنا مساء الى سفح جبل من جبال (كارا) وكانت المياه تنحدر من بين اشجاره بقوة. فتحدثت اليه عن القرية واليه استندت بمعلوماتي عن المدرسة والكنيسة وعدد المنازل. ولم يكن منظر هذا الكشيش وهي اللفظة التي يطلقها الاكراد على القسيس، يدل على مركزه الديني اذ لم تكن ارديته تختلف عما يرتديه الاكراد، لولا قبعة عادية افرنجية يلبسها رأسه،وحين وصلنا المياه فرش لنا الآشوريون البسط على جانب الماء، ثم احضروا لنا لبنا حامضا، ولولا محادثة القسيس اليهم لما ميزتهم عن الاكراد اذ لا فارق بينهم وبين الاكراد في لباسهم وعاداتهم وسحنهم. قضينا ساعة حول ذلك الماء النمير تحت الاشجار، فشعرت بالفرق الكبير بين مناخ العراق العربي وهذه البلاد الجميلة، التي تعتبر بحق من اجمل المصايف الجبلية في العالم لو اتيح لها ما يتاح لغيرها من العمران. بتنا ليلتنا في مضارب العمال ويبلغ عددهم الالف عامل ولولا جودة المناخ، لما اغمض لنا جفن لكثرة البعوض الذي يتولدفي المياه الراكدة التي تبقى بعد ارواء حقول الارز حول سرسنگ.

وتعتبر هذه القرية جغرافيا مقلب مياه او خطا لتقسيم المياه فيذهب رافد(افى ساركا) الى الغرب ويصب في خابور دجلة غربا، ويذهب (افى كارا) الى الشرق فيصب في الزاب الكبير.

سرسنگ - عمادية -(سبنه) ٦ آب

اعدت لسفرنا الخيول هذا الصباح فامطيناها، وسرنا بين احراج البلوط ثلاث ساعات اليأن أشرفنا على العمادية بعد أن قطعنا (١٦٠) كيلو مترا عن الموصل شمالا فشاهدنا البلدة عن بعد على جبل منبسط حصين كثير الشبه بالقلاع المربعة وهو جزء من سلسلة جبال (متينا) تفصله الوديان السحيقة من جهاته الاربع وتكاد تجعله جبلا مستقلا.

دخلنا البلدة من ناحيتها الغربية وترجلنا قرب سور البلدة، واسترحنا في غرفة اصلحها قائمقام البلدة ماجد بگ، لحفظ المياه من الحيوانات فشربنا من مائها الشديد البرودة، ثم تابعنا سيرنا ودخلنا البلدة من باب قديم عليه نقوش فارسية، ثم مررنا بدار الحكومة في طريقنا الى بيت القائمقام وهي من أبنية أمراء البهدينان وهنا كانت نهاية مرحلتنا الشمالية. والجالس في شرفة هذا البيت وهي صخرة ناتئة تطل على الوادي الشمالي يشاهد (روبار) نهر العمادية والحدائق التي يمر بها ويرويها، وبيوت السكان المنتشرة في الوادي حول رأس النبع وبين الحدائق وكلها ترى صغيرة لشدة انخفاض الوادي.

سولاف - (٧ آب)

تناولت الغداء في تلك الشرفة وهبطنا بعد الظهر الى الوادي من باب البلدة الشرقي، وهو من بقايا سور أقامه امراؤها وسرنا بين الحدائق ثم اخذنا في صعود جبل آخر الى السولاف (الشلال) حيث أنشئت دار ضيافة، ولما وصلناها أشار ماجد بگ الى حوض مربع بناهُ للسباحة والى طريق قصير افتتحه بين هذه الدار والحدائق، وذلك ليجعل هذا الموضع مصيفا تسهل زيارته. بت هذه الليلة في دار الضيافة وشعرت بالبرد لان الهواء كان قارسا فلم تغمض جفناي في بادئ الامر لشدة البرد وخرير المياه

حولي، بيد انني خضعت لسلطان النوم حالما الفت اذناي صوت تلك المياه. واستيقظت باكرا وانا اشعر بنشاط تام وسرت الى حوض الماء فالتقيت ببعض الضباط البريطانيين ورهط من جنود الآشوريين وهم فرقة تقيم في (سر عمادي) وهي أعلى نقطة في جبال متينا قرب الحدود التركية. جاء ماجد بگ بعد انتهاء العمل في دائرته. وتناولنا الغداء سويا واخذنا في الحديث عن قضاء العمادية ولا يختلف ما سمعته منه عما يلي:-

التقسيم الاداري في قضاء العمادية.- يقسم هذا القضاء إداريا الى ثلاث نواح.

(١) عمادية (٢) نيروا ريكان (٣) بروري زور، أو برواري بالا ومركزها كاني ماسي.

١- ناحية العمادية

تقسم إداريا الى ثلاث كور (١) برواري زير (٢) سبنه (٣) بري كارا ويتبعها (١٧٠) قرية، اصغرها (گرا گو) وعدد بيوتها ستة، واكبرها بامرني وعدد بيوتها (٣٢٠) بيتا.

أ- برواري زير - يحدها شمالا جبال (كارا) وجنوبا (جيا خيران) اي جبل الخيرات ومنطقة المزوري، وشرقا نهر الزاب الكبير ومنطقة زيبار، وغربا منطقة دوسكي. وتغطي جبال هذه الكورة الغابات الكثيفة ولا سيما جبال كارا جيث تكثر اشجار العفص والبلوط. اما الصنوبر فيكثر في جبال قرية كانيكا قبالة قرية اتروش ويخترق هذه الكورة نهر الخازر وقد دعيت باسم القبيلة التي تسكنها والمعروف عن رؤسائها، الارستقراطية والنفوذ العظيم على افراد القبيلة، واشهرهم سليمان آغا ومحمد آغا براش. وقد اجتمعت بهذا في سوارا توكا. ويبلغ عدد قرى هذه الكورة (٧٣) قرية اشهرها قرية سوار وعدد بيوتها (٩٨) بيتا وفيها للحكومة مخفر للشرطة. ثم اسبندار وعدد بيوتها (١١٠) فيها مدرستان



قرويتان كرديتان، باحدى قرى العمادية

اهليتان للكرد انشئتا عام (١٩٣٠) ويليها براش وعدد بيوتها (٥٠) بيتا. والقرويون في هذه الكور يستبدلون محصولاتهم من العنب والزبيب والتبغ الجيد بالحنطة والارز مع سكان الكور الاخرى.

ب – سبنه – يحدها غربا نهر الخابور، وشرقا الزاب الكبير، وشمالا جبال متينا وجنوبا جبال گارا يتبعها (٨٦) قرية كبيرة تعتبر اكبر قرى القضاء إجمالا واغناها وتجود في اراضيها المزروعات وتكثر المواشي، واشهر مزروعاتها البطاطس والفواكه والارز والحنطة وبعض الخضروات التي تستهلك محليا. وللحكومة فيها ثلاث مدارس رسمية إحداها ذات ستة صفوف في بلدة العمادية مركز القضاء واخرى في بامرني وعدد صفوفها اربعة. وثالثة في قرية (أرادن) ذات صفين. وهنالك غير هذه المدارس (١١) مدرسة أهلية اربعة منها للآشوريين وسبعة للأكراد.

ج– بري كارا – كورة يتبعها (١١) قرية تقع بين جبال گارا، وتكثر فيها المياه والغابات الكثيفة وهي من اشهر اماكن الاصطياف. واشهر حاصلاتها التبغ ويظن ان بها منابع للبترول ومناجم للفحم كما يعتقد بوجودهما في كورة برواري زير. اما الينابيع الكبريتية فكثيرة جداً.

٢– ناحية نيرواريكان

يحدها شمالا جبال (اورامار) وتشكل هذه الجبال وجبال (اشوتا) الحدود السياسية بين العراق والجمهورية التركية،وجنوبا شرقا منطقة بارزان وروبارا شين (النهر الازرق) وهو القسم الاعلى من الزاب الكبير، وغربا احد روافد الزاب الكبير. يتبعها (٧٩) قرية اكبرها هورا، وعدد بيوتها (٨٠) بيتا وتليها(بيبو) مركز الناحية وعدد بيوتها (٤٠) بيتا. فيها مدرسة اهلية واحدة ويتالف السكان وهذه الناحية من تحالف ثلاث قبائل (١) مزوري زور (٢) ريكان (٣) نيروا. رئيس هذا التحالف كلحو آغا.



رئيس بلدية (العمادية) وبعض من زعماء عشيرة البرواري

ولا يزرع السكان الا المزروعات الصيفية لشدة البرد وهذه تزرع لتسد حاجاتهم فقط ويستعيضون عن هذا النقص بالعناية بتربية المواشي والبغال والحمير. ومن المعادن الظاهرة الان ملح الطعام ويوجد بكثرة في قرية كارا على بعد نصف ساعة شرقي الزاب. على أن معادن الرصاص والنحاس والحديد والفضة كما يقال، توجد في الجبال الممتدة على طول الحدود السياسية بين العراق والجمهورية التركية، لا سيما في المنطقة المجاورة الى جولا مرگ احدى مناطق كردستان الشمالية.

٣- ناحية بررواري زور

يحدها شمالا اشوتا وجنوبا جبال متينا، وغرباً خابور دجلة، وشرقاً الزاب الكبير. ويتبعها (٨٣) قرية (٦١) منها كردية و (١٢) آشورية وواحدة يهودية اصغرها جميكي وعدد بيوتها (٤) واكبرها هرور، وعدد بيوتها (١٥٠) بيتاً وفيها مدرسة اهلية. ومركز الناحية قرية (كاني ماسي) ويبلغ عدد بيوتها (٨٠) بيتا معظمها للآشوريون، فيها مدرسة اهلية واخرى حكومية ذات صف واحد. والقرية في واد تصب مياهه في الزاب. ويزرع سكانها البطاطس والارز. وتشتهر الناحية اجمالا بمواشيها ومراعيها، ويأتيها تجار الاغنام من الموصل وغيرها. وتصدر الى الموصل التفاح والإجاص والسفرجل والالوجك (الاجاص البري) وكرومها لا تزيد على حاجات سكانها.

معلومات عامة

قال ماجد بگ (ويبلغ مجموع نفوس القضاء نحو (٤٢,٨٦٥) نسمة منهم (٣٠٠٠) آشوريون، والباقون اكراد، وعدد المدارس الأهلية (٢٠) مدرسة، تسعة منها للآشوريون وفيها (١٦٠) تلميذا. و(١١) مدرسة للاكراد وفيها (٢١٢) تلميذا غير تلامذة المدارس الحكومية وعددهم (٢٢٩) تلميذا.

الغلات والمحاصيل.

بلغت ضرائب الاغنام عام ١٩٣٠م في ناحية العمادي (٣٢,٢٠٧٨) روبية والمحاصيل الزراعية الشتوية (١٢,٠١٢) روبية والصيفية (٤,٠١٧) روبيات والتبغ (١٣٩٣) روبية. وفي ناحية برواري بالا (زور) بلغت ضرائب الاغنام (١١,٥٤٢) روبية والمحاصيل الشتوية (٦,١٢٢) روبية والصيفية (٢,٢٣٠) روبية وفي ناحية نيرواريكان بلغت ضرائب الاغنام (١٠,٤٧٤) روبية والمحاصيل الشتوية (٥٣٦٧) والصيفية (١٦١٩) روبية، وواردات البلدية (٣٨٥٠) روبية ومجموع الضرائب عن القضاء بهذه الصورة بلغت (٨٣٣٨٨) روبية. ويبلغ عدد خلايا النحل في جميع القضاء(٢٠٠٠) خلية بلغ، ما استخرج منها من العسل (١٧٠٠٠) كيلو، من النوع الابيض الناصع كلها تصدر الى الموصل عدا أربعة آلاف كيلو، تستهلك محليا.

الضأن والماعز – بلغ عدد الضأن (٢٨٩٢٦) رأسا، والماعز (٧٣٧٠٤) ومن بين المرعز (٥٠٠٠) رأسا. وشعر المرعز يستخدمه الاكراد في صنع الالبسة الوطنية كما يصنعون من الصوف الأخرجة، والحبال، والقلانس، (الكلاو) واللباد، والاحرمة وما شابهها. ونظرا لكثرة هطول الثلوج في موسم الشتاءيتعذر على السكان إقتناء عدد يفوق هذا العدد من الاغنام رغم وجود المراعي الجيدة في موسمي الخريف والصيف:- الفواكه والاثمار والاخشاب - تكثر الفواكه في هذا القضاء، وأشهرها التفاح والكمثري غير ان نقله للخارج متعذر بسبب رداءة الطرق ولهذا لا يعتني السكان في تكثيره وتحسين انواعه. وتكثر الاشجار الصالحة لعمل الاخشاب، وأشهرها الجوز والاسبندار (شجر شبيه بالحور) والبلوط والزعرور والحور والعفص والتوت. ولا يستفاد الان إلا من الاسبندار حيث يستعمل لانشاءالدور ويصدر الى الموصل بعد ان يقطع ويجفف.



الزعيم (عمر آغا البراشى) و بعض من زعماء قبائل البروارى

القبائل – يطلق على جميع قبائل هذا القضاء اسم عام هو (البهدينان) وهو الاسم السياسي الذي شمل المنطقة التي كان يحكمها أمراء البهدينان. وهذا النوع من التسمية جرى على اكثر المناطق الكردية التي ظهرت فيها إمارات مستقلة في القرون الوسطى: فبابان، وسوران، وبهدينان، ومكري، وهكاري، وبوتان، وأردلان، وغيرها أمثلة لذلك. وقبائل البهدينان الرئيسية، تتألف من اربع قبائل يبلغ مجموع نفوسها (٤٠٠٠٠) نسمة وفي بيانها الجدول الاتي:

القبيلة	رئيسها	نفوسها
نيرواريكان	كلحو آغا	١٠٣٠٠
برواري بالا (زور)	حاجي تاتارخان	٨٦٠٠
برواري زير	محمد آغا براش	٩٢٠٠
سبنه	فريق آغا بن طاهر آغا	١١٩٠٠

وهذه العشائر باجمعها مقيمة، وترتبط إداريا بقصبة العمادية لوجود المحاكم النظامية والشرعية فيها. ولا تنحصر علاقتهم التجارية بالعمادية فقط بل تتعداها الى زاخو وعقرة ودهوك، حسب قرب هذه البلدان من قراها وسهولة الوصول اليها. وكانت هذه العشائر قبل سبع سنين تنقاد الى رؤسائها إنقيادا اعمى وتطيعهم في كافة الامور. بيد ان النظم الادارية نقلت هذا النفوذ من شكله الفردي الى شكل اعم فيشترك الزعماء في إعطائه قرار له قوته الفعلية بين القبائل اعني أن الحكومة العراقية ألفت محكمة للعشائر أعضاؤها ورئيسها من زعماء القبائل وحكمها يصدر حسب قانون العشائر، ومواده مستمدة من تقاليد القبائل وعاداتها.

الآشوريون – قوم مسيحيون يعرفون ايضا بالنساطرة نسبة الى مذهب نسطوريوس الذي إعتنقوه. ولغتهم السريانية الآرامية قد امتزجت بالفاظ دخلتها من الشعوب التي يسكنون بينها. وقد اعتبرتهم لجنة الحدود التركية العراقية الموفدة من قبل عصبة الامم سنة ١٩٢٥م من الآراميين

الذين كانوا اكثرية سكان العراق في عهد الفرتيين(البارث – الاشكان) والساسانيين. وتشير كذلك هذه اللجنة الى أن بعض المؤرخين لا يؤيدون هذا الرأي كل التأييد فيستثنون نساطرة العمادية وجبال تياري وما جاورها اذ يرجعونهم الى الارومة الكردية الاصلية ويعزون قبولهم للنصرانية واللغة السريانية القديمة الى التجاء طائفة مسيحية من سكان وادي دجلة زمن الفتوحات الاسلامية الاولى في العراق الى هؤلاء الناس فأملت عليهم ثقافتها ولغتها. ويعتقد أن قبولهم للنصرانية يعود الى اعتناقهم المبادئ النصرانية قبل ذلك التاريخ.

القبائل الآشورية

أدلى الى روفائيل أفندي قائد شرطة العمادية وخال المارشمعون زعيم الآشوريون التفصيلات الآتية، عندما اجتمعت به على مائدة ماجد بگ فقال – والآشوريون في العراق يقسمون الى سبع قبائل هي: (١) تياري زور (٢) تياري زير (٣) تخوما (٤) باز (٥) جيلو (٦) شمدينان (٧) ديز. وهذه القبائل تعرف باسم المقاطعات الكردية التي كانت تسكنها في كردستان الشمالية في منطقة هكاري اما قبيلة البرواري فهي من سكان هذا القضاء. وجميع القبائل تعترف بزعامة المارشمعون الزمنية والدينية ومركزه قرية (بيبادي) قرب العمادية. ولكل قبيلة، فضلا عن ذلك، مطران ورئيس زمني يلقب بالملك. وهاتان الوظيفتان تنتقلان بالارث من الاب للابن في جميع القبائل، عدا قبيلة (تخوما) حيث ينتخب ملكها سنويا، وقد يعاد إنتخابه دون تحديد في الزمن.

ويعتقد الآشوريون جميعا بوحدانية الله وعدم حرمان الانسان الحرمان الدائم وفي حالة زنا المرأة المتزوجة تطلق وتحرم من الزواج ثانية، كما يحرم الرجل من الزواج اذا زنى ايضا. والمطران لا ياكل اللحم. وعلى العموم لا يميل الآشوريون الى التعصب الديني الذميم وهذا ما جعلهم



آشوري تياري بجوار العمادية، تتجلى فيه السحنة الكردية

يعيشون بسلام مع إخوانهم الاكراد طوال هذه العصور. ولا يمكن تفريق الآشوري عن الكردي بلباسه الخارجي أذا استثنينا قبيلة تياري، حيث تستعيض العمامة الكردية بقلنسوة مخروطية الشكل من اللباد الابيض. ثم ان قبيلتي تياري زور وتياري زير نصف رحالة تقومان بتربية الاغنام البيضاء والماعز وتقضيان صيفهما في جبال متينا ويرواري بالا واشوتا. ويشذ الالموني والكردموني وهما فخذان من هذه القبيلة فيستقران ويحترفان الحياكة. أما بقية القبائل فمستقرة. يقوم البرواريون منهم بالزراعة والفلاحة وتربية الاغنام. والباز، بالبناء والحياكة والحدادة. والجيلو – وتقيم الان في مخيم الآشوريون في بغداد – بالاشتغال في السكة الحديدية. والشمدينانيون يقيمون في قضاء رواندز ويشتغلون بالزراعة وتربية المواشي.

كان الآشوريون قبل الحرب يستوطنون لواء هكاري وحول مدينتي أورمية وسلماس في كردستان الشرقية. وقد أرغموا على الهجرة بسبب كثرة المعارك الحربية بين جيوش الترك والروس في البلاد التي كانوا يسكنونها، الى العراق والقوقاس. والقسم الذي دخل العراق اسكنه البريطانييون (بعقوبة) والفوا من شبابه افواجا الحقوها بالقوة البريطانية وأناطوا بها حراسة الحدود التركية – العراقية إذ الآشوري محارب كالكردي. وقد كان آشوريو هكاري قبل الحرب بعيدين عن نفوذ الحكومة العثمانية لوقوعهم في منطقة كردية شبه مستقلة.

يقدر طه الهاشمي نفوس جميع الآشوريون بخمسين الف، نصفهم في العراق يقطنون مدن بغداد والبصرة وبعض القرى في الأقضية الكردية، ونصفهم الآخر في إيران والقوقاس. غير أن لجنة الحدود التركية – العراقية المار ذكرها قدرتهم من (٨٠٠٠٠) الى (٩٠٠٠٠) وهذا الفرق ناشئ عن تقدير اللجنة لمعدل الاسرة الآشورية بستة انفار بدلاً من خمسة.

الفصل الثالث عشر

زيبار - عقرة - زاخو

قضاء زيبار

لقد حال ضيق الوقت دون زيارة بقية الأقضية الكردية المجاورة، ولذلك استقيت معلوماتي في ما أكتب، من ماجد بك وبعض أساتذة هذه الأقضية، وقد اجتمعت بهم في اربيل وكوي سنجاق والعمادية.

يحد هذا القضاء شمالا مقاطعتا نهري (nehri) وكور (gewer) في كردستان الشمالية، وشرقاً قضاء رواندز، وغرباً (روشين) او (رويارشين) وهو القسم الاعلى من نهر الزاب الكبير، وقضاء العمادية. وجنوبا قضاءا العمادية وعقرة. واذا استثنينا الناحية الشرقية الشمالية نر، ان بقية الحدود في هذا القضاء تتكون من الزاب الكبير وروافده وبذلك يصبح القضاء جغرافياً، شبه جزيرة تختلف عن أشباه الجزر الاخرى في نوع المياه التي تحيط بجهاتها الثلاث.

وتقسيمات القضاء الادارية ناقصة وذلك يرجع الى ضعف نفوذ الحكومة العراقية فيه، كما سيتضح من الثورات العديدة التي كان يقوم بها سكانه من حين الى آخر. ورغم أن مجموع القرى المربوطة به لا تقل عن مجموع القرى المربوطة بالأقضية الاخرى فالحكومة لم تستطع الا تنظيم ناحية واحدة هي ناحية بيرا كبرا وترتبط بقرية (بلي) مركز القضاء.

والسيطرة الحقيقية التي يعترف بها السكان هي سيطرة الشيخ احمد برزان إذ أن (٢٢٠) قرية من مجموع (٣٠٠) قرية تطيعه طاعة عمياء وإذا

أقسم سكانها يقسمون بصاحب برزان. وتقع القرى البرزانية باجمعها شمال الزاب الكبير والـ(٨٠) قرية الباقية جنوبه، تتبع فارس آغا. والسكان في الحقيقة عشائر معظمها مقيم وبعضها وهو الجزء اليسير رحل. فالعشائر المقيمة هي زيبار، وبرروز، ومزوري، وشيروان، وبرادوست، وگردي. وأما الرحالة فهم قبيلة هركي. وجميع هذه القبائل تطيع الشيخ احمد برزان الا قسما من قبيلة الگردي يتبع فارس آغا. ولقد انشأت الحكومة مدرستين في هذا القضاء إحداهما في (بيرا كبرا) والثانية في قرية (برزان) وكلتاهما ذات صف واحد.

الثورات البرزانية

الثورة الاولى سنة ١٩١٩م.

جاء ذكر هذه الثورة في مجلة الحرب العالمية الانكليزية. وقد آثرت تعريب ما جاء بها بالحرف الواحد لاعتقادي انها لا تنقص عدد القتلى من الاكراد ولا يزيد عدد القتلى من البريطانيين. تقول هذه المجلة (نشبت هذه الثورة في ١٦ تموز سنة ١٩١٩م. على اثر قتل عدد من درك الاكراد، ضابطين بريطانيين ومن معهما من درك الآشوريون في بلدة العمادية). وقد روى لي أدهم بگ الجركسي وهو ممن يعرفون أسباب هذه الثورة، أن ضابطا بريطانيا اثناء دورته التفتيشية في العمادية شاهد طائرا فصوب عليه بندقيته فاخطأه وصوب أحد أدلائه الاكراد فرماه. وأخذ يهزأ بمهارة البريطاني ويقذفه بقارص الكلام ففهم الضابط ما قاله وصفعه على وجهه، فغضب الكردي على هذه الاهانة وقتل الضابط وانتصر له رفاقه، فقتلوا ضابطا آخر ومن معه من درك الآشوريون وبذلك نشبت الثورة.

تستمر المجلة فتقول (وساق الانكليز قوة يرأسها الفريق كاسلس لاخماد الثورة وكانت هذه القوة تتألف من ثمان أورط من الانكليز والهنود وبطرية

من الآشوريين الملتجئين في بعقوبة. وكان هؤلاء الآشوريون قد اجبروا على ترك أماكنهم في كردستان الشمالية والشرقية بعد انسحاب الجيوش الروسية خيفة أن يبطش بهم الاكراد. فالتجأوا للبريطانيين في العراق فشكلوا منهم فرقا عسكرية ترتبط بهم مباشرة.

دامت هذه الثورة ثلاثة أشهر، كبدت الحكومة البريطانية خسائر جمة فقتل فيها عشرة ضباط بريطانيين واربعة جنود هنود وثمانية عرفاء بريطانيين ومائة وخمسة عشر عريفا، ودرجات ثانوية من الهنود. وجرح سبعة ضباط بريطانيين واثنا عشر ضابطا من الهنود واربعة عشر جنديا بريطانيا وقتل (٢٦٧) جنديا من الهنود وفقد تسعة انفار.

ولما لم يكن الاتراك قد اعترفوا باحتلال الانكليز كردستان الجنوبية، فقد ارسلوا قائدا يدعى أوزدمير، على رأس قوة ليشاغلهم فدخل رواندز وكان الانكليز قد سحبوا إدارتهم منها سنة ١٩٢٠م كما يروي هاملتون في كتابه (طريق في كردستان). وقد تمكن هذا الداعية التركي ان يرتبط مع الشيخ محمود البرزنجي وغيره من زعماء الاكراد في رواندز أخصها (نوري باويل) فأرسل قسما من قوته مع اتباع هذا الزعيم وقبيلة السورجي السورانية ليقوموا بحماية مضيق سبيلك فاهتم الانكليز جد الاهتمام وعقدوا النية على مقاومة الترك مهما كلفهم الامر. ولما كان الاستيلاء على سبيلك في هجوم مباشر ليس بالأمر الهين فقد عمل (السير جون سالموند) قائد القوات البرية والجوية البريطانية في العراق آنئذ على مهاجمته من الخلف ولكي يخفي مقصده الحقيقي، حشد قوات كبيرة من الآشوريون في سهل باتاس بقصد الهجوم. وأصدر الاوامر الى الطيارين أن يلقوا قنابلهم على حماة مضيق سبيلك. وفي رواية اخرى أنه أصدر أوامر بالقاء المناشير على الاكراد حلفاء أوزد مير ينصحهم بالتخلي عن الترك، واتباع السيد طه الشمديناني وكان الانكليز قد كلفوه مطاردة أوزدمير، كما

جاء في تقرير(قسيس فرازر) أثناء البحث عن ثورة الشيخ محمود الاولى والثانية.

يواصل هاملتون روايته عن مهاجمة سبيلك فيقول: وفي اثناء هذه التدابير خرجت قوة من كويسنجق واخترقت الجبال نحو سبيلك لتضرب حماته من الخلف وتقطع مواصلتهم مع رواندز. ولم يكتشف اوزدمير هذه الحيلة الا بعد فوات الوقت فولى هاربا لأن ارتباطه مع حلفائه الاكراد كان واهيا. وهذا ما يؤيد الرواية الثانية بالقاء المناشير على حلفاء اوزدمير. وقد دخل الانكليز البلدة دون مقاومة سنة ١٩٢٣م. وليحصنوا مركزهم في هذه النواحي انتخبوا قرية (ديانا) على بعد اربعة اميال عن رواندز لتكون مركزا لفرق الآشوريين ومطاراً لقوة الطيران الملكية البريطانية فاستمرت كذلك الى سنة ١٩٣٢م. حيث انحلت قوات الاشوريين).

يذكر السيد حسين حزني في كتابه (ميراني سوران) المطبوع بالكردية في رواندز، ان الانكليز أقاموا السيد طه المذكور حفيد الشيخ عبيد الله النهري زعيم كردستان الشمالية الشهير، قائمقاما على رواندز وفي عهده ازدهرت البلدة وانتشر عمرانها واستتب الامن وسادت السكينة. وقد ساعد كذلك على اصدار مجلة (زار كرمانجي) وجلب ثلاث ماكينات واحدة للنحل وثانية للدجاج وثالثة للحرير، وأنشاء مدرسة للذكور وبعد ان بقي خمسة اعوام غادر البلدة الى إيران مأذونا في تشرين الثاني سنة ١٩٣٨م. وفي ٢٩ كانون الثاني أرسل استقالته من طهران الى بغداد فقبلت.

والسيد طه كما يصفه هاملتون، طويل القامة يزيد طوله على ستة اقدام (١٨٠ سم) قوي البنية ومن خيرة من ركب الخيل ولا يمتاز عليه احد في منطقة رواندز في رمي الرصاص وإصابة الهدف، وهو فضلا عن ذلك مثقف ثقافة عالية واداري حازم ونبيل من نبلاء كردستان.

قضاء عقرة

حدوده – يحده شمالاً قضاءا زيبار والعمادية، وغربا قضاءا دهوك وشيخان وشرقا قضاء رواندز، وجنوباً قضاءا الموصل وشيخان. مركزه عقرة وهي بلدة قائمة على جبل اجرد يشبه تكوينه الطبيعي مدرجا رومانيا يزينها شلال جميل تروي مياهه حدائقها الكثيرة. ويبلغ سكانها (٤٠٠٠) نسمة افتتحت لهم الحكومة العراقية مدرسة للذكور ذات ستة صفوف. وأكثر ما تشتهر به الارز وصناعة الاحذية والالبسة الكردية.

تقسيماته الادارية.– للقضاء ناحيتان (١) عشائر السبعة (٢) سورجي. تقع الناحية الاولى في الزاوية الجنوبية الغربية من القضاء يحيط بها نهرا الخازر والزاب الكبير، وأكثر اراضيها سهول واسعة خصبة يجود فيها الارز والحبوب ومركز الناحية قرية (برمدمرمش) ومجموع القرى الملحقة بها (٢٥٠) قرية بينها عدة قرى للشباك، والقزل باش، والآشوريين ويقدر عدد هذه الطوائف الثلاث بنحو عشرة في المائة من سكان الناحية والاكراد (٩٠٪) وذلك حسب ما جاء في تقرير لجنة عصبة الامم سنة ١٩٢٥م. والناحية الثانية اي (سورجي) تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من القضاء واغلب اراضيها جبلية يعنى سكانها بالاغنام ويحترمون زعماءهم شيوخ بجيل، وبجيل قرية نسبوا اليها.

قضاء شيخان

يتبعه ناحية شيخان وعدد قراها (٦٨) قرية اكثرية سكانها اكراد يزيديون، فعرب، ثم اكراد مسلمون.

قضاء زاخو

حدوده.– يحده شمالاً كردستان الشمالية، وشرقاً نهر الخابور وقضاء

العمادية وغرباً دجلة ونهر الهازل الذي يفصلها عن مقاطعة بوتان في كردستان الشمالية ومركز القضاء بلدة زاخو. وتقع على خابور دجلة تحيط بها جبال كردستان الشمالية ذات الحراج الجميلة. مياهها ثقيلة على الشرب لكثرة ما فيها من الكلس. ونهر الخابور يفصلها الى قسمين قسم يسكنه الاكراد وقسم اكثريته من اليهود وهم تجار البلدة. ويضاف الى هذين القسمين قسم ثالث يشكله الشلال وهو جزء من الخابور ارتفاعه عشرة امتار وعرضه (٤٠) مترا. وبعد خروج النهر من البلدة تعود اقسامه فتتحد في الجهة الشمالية الغربية ثم يلتقي عند وصوله حدود كردستان الشمالية بنهر الهازل فيكبر حجمه وبعد ذلك يصب مياهه في دجلة بموقع (بيشخابور) أو (فيش خابور) كما يدعوها العرب.

ويبلغ سكان زاخو (٥٠٠٠) نسمة اكثريتهم الساحقة اكراد ويليهم اليهود ثم الناطرة الآشوريون وهؤلاء منصرفون لصنع الالبسة الكردية. ويميل السكان عموما الى اللهو والسرور وللغريب بينهم احترام كبير وتمتاز النساء بالجمال مما يدعو الى كثرة الخطف. واليهود اكثر حرية وتسامحاً من النسطوريات والكرديات، وفي البلدة مدرسة للذكور ذات ستة صفوف.

التقسيمات الادارية – يتبع هذا القضاء ثلاث نواح (١) سندي (٢) گلي (٣) سليفاني. وتنسب جميعها الى القبائل الكردية التي تقطنها. ومجموع قراها (٢٥٠) قرية. تقع ناحيتا سندي وگلي في مناطق جبلية. وسليفاني في السهول. ومركز سندي قرية (شرانج) وعدد بيوتها (٥٥) بيتا جميعهم اكراد ومركز گلي قرية (ديمكه) وهي خالية من السكان لا يقيم فيها الا المدير وهيئة الحكومة وتقع وسط قرى كثيرة عامرة. ومركز سليفاني (العاص) وعدد بيوتها (٣٠) بيتاً فيها مدرسة للحكومة ذات صف واحد وجميع سكانها اكراد وزعماء الاكراد فيها هم (صادق برو) و (سليمان آغا) رئيسا قبائل گلي، وجميلي آغا وصالح اغا رئيسا قبائل سندي،

ورشيد آغا رئيس قبائل سليفاني، ويتبع المسيحيون عزيز آغا.

ويرتبط القضاء تجارياً بجزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر - جزيرة شرف) وبيت الشباب في كردستان الشمالية، والموصل في الجنوب. ولا شك أن اهمية زاخو التجارية إذا استثمر الفحم الحجري في قرية شرانش شمال زاخو وانتظمت طرق التجارة بين العراق وتركيا، ستزداد ويكثر سكانها. وبسبب كثرة المستنقعات الناشئة عن زراعة الارز لا تنقطع الملاريا في زاخو وبعض نواحيها كما هي الحال في قضاءي دهوك وعقرة.

امارة البهدينان في العمادية

تقول (الشرفنامة) – يزعم حكام العمادية أن نسبهم يتصل بالخلفاء العباسيين ويوصلهم بعض الكتاب الاوائل الى شخص يدعى عباس كان وجيه قومه فعرفوا به. وقد ذهبوا الى العمادية من شمس الدينان (شمدينان) وكان اجدادهم قبلا يديرون حكم قلعة طارون في تلك المقاطعة. وأول من قدم منهم الى العمادية بهاء الدين واليه ينتمي أمراء العمادية وقد اشتهروا بعد ذلك بين امراء وحكام كردستان بالبهدينان واستمر حكمهم ٤٠٠ سنة، حتى كتابة الشرفنامة سنة ١٠٠٥هـ وجاء في كتاب لونجريك، ان إمارة البهدينان ظهرت في القرن الثاني عشر للميلادوقد وسع امراؤها حدود بلادهم في الشمال بما الحقوا اليها من قرى امارة هكاري. ولما حاولت اسرة الآق قيونلي التركمانية، أن تستولى على هذه الإمارة، ردهم البهدينان ولكنهم لم يقاوموا الاردلانيين حيث بسطوا سيطرتهم على جزء كبير من كردستان الشرقية. واتسعت إمارة العمادية،اصبحت تضاهي بقية الامارات الكردية وظلت في مأمن من اعدائها لحصانة موقعها وشدة بأس رجالها. غير ان التحزبات السياسية وانشقاق افراد الاسرة في طلب الإمارة اوهنها ففي سنة ١٥٠٠م رضخ

اميرها حسن البهديناني الى شاه فارس الصفوي ونال منه توجهات عالية وبذلك انتهي نفوذ اردلان.

ولما حارب السلطان (ياوز سليم) العثماني الشاه اسماعيل الصفوي في جالديران امده البهدينانيون كما امده غيرهم من امراء الاكراد انتصارا للسنة على الشيعة وظل البهدينانيون بعد ذلك في حالة حسنة مع العثمانيين، ورفع السلطان سليمان امارتهم الى ايالة مكافاة لاخلاصهم.

وبعد وفاة المير حسين (سلطان حسين) ظهرت الحروب الاهلية بين قوى قباد بگ وبيرام بگ ابني المير حسين فانخذل هذا وفر الى الشاه يستجيره فالقى القبض عليه. وكذلك فشل قباد بگ لمقاومة قبائل المزوري له وقد كانت تناصر ابن عمه سليمان بگ فأجلسته على كرسي الامارة. فتدخل امير هكاري زينل بگ في امر البهدينان وتوسط لدى الشاه في اطلاق سراح بيرام بگ فقبل الشاه وساطته واطلق سراح بيرام فجاء الى زاخو وحكم فيها تاركا حكم العمادية الى ابن عمه سليمان بگ. أما قباد ففر الى الاستانة واكتسب رضاء الوزير الاعظم سياوش باشا ونال فرمانا بحاكمية العمادية وعاد ادراجه. وما كاد يصل دهوك حتى شرع في مقاومة اعدائه فقابله سليمان وتغلب عليه بقوة المزوري والقى القبض عليه بعد أن شتت شمل جيشه. وعلى اثر ذلك اسرع بيرام بك من زاخو وسار بموكب فخم مع سليمان الى قصره في العمادية. وبعد وقوع قباد في قبضة ابن عمه فر ولداه (سيدي خان بگ) و (سلطان ابو سعيد) الى اسطنبول وشرح سيدي خان امرهما الى السلطان مراد الثالث فنصرهما ومنح حاكمية العمادية الى سيدي خان وأمر فرهاد باشا أن يطلب مناصرة باشاوات بغداد وكركوك وأمراء كردستان في تنصيب سيدي خان على العمادية. وقد تمكن فرهاد باشا سنة ١٥٨٥م من أن ينصب سيدي خان على العمادية بما استعمله من الدسائس والرشوة والاحتيال على

قضاة الشرع وتحريض منافس على آخر. وكانت زاخو، ودهوك، وعقرة تابعة للبهدينان وحكامها يديرون قلاع عقرة، ودهوك، وديرا، ويشرى، وهذه من قلاع قبيلة الراد كان. وقلاده، وشوش، وعمراني، وبازير من قلاع الزيباري.

كان موقف الحكومة العثمانية نحو بلاد الاكراد في هذا التاريخ لا يتعدى منح الفرمانات وقبول الطاعة الاسمية. وعندما اخذ نفوذ العثمانيين يظهر في القرن السابع عشر في امارات كردستان الجنوبية، كانت امارتا البهدينان وبوتان في حالة شبه استقلالية وكان بوسع أمير العمادية سنة ١٦٦٠م ان ينزل الى ميدان القتال (٨٠٠٠-١٠٠٠٠) فارس ومثل هذا العدد واكبر منه من المشاة، وكان التجنيد في إمارته اجباريا. وفي عام ١٧٠١م انضمت قوات البهدينان الى العثمانيين الآتية من ديار بكر والموصل لاخضاع الثورة في جنوبي العراق العربي وكان أمير العمادية يومئذ رياد باشا. وقد لقب باشا على غير عادة ألقاب البهدينان الذين كان يطلق على الأمير منهم (ميرميران) وهو اللقب الذي منحه العثمانيون مؤخرا للبابان.

اعترفت زاخو وعقرة ورانية، في هذا التاريخ اعترافا سطحيا بالبهدينان وفي سنة ١٧٦٧م توفي بهرام باشا الطويل أمير البهدينان، وخلف ابنه اسماعيل فظهر له منافسون سنة ١٧٨٧م، وهاجموه فلم يفلحوا، ولما توفي كثر عدد المنافسين بين أبنائه وأحفاده وبذلك وقعت حروب اهلية شديدة انتهت بفوز (مراد بگ) بمناصرة البابان. وقد قبل لقاء هذه المناصرة أن يتلقى الاوامر من باشا بغداد ومع قبوله لهذا الشرط فقد استمرت العمادية وعقرة ودهوك وزاخو تتمتع بالحكم الذاتي تحت حكم أفراد من أسرة البهدينان. ولما قام محمد باشا الكبير أمير رواندز بعد ذلك وشرع يغزو الامارات الكردية المجاورة ويلحقها بإمارته سقطت العمادية

بيده وضعف شأن البهدينان. وفي عام ١٨٣٨م أناطت الدولة العثمانية بـ(اينجه بير قادر) إخضاع إمارات كردستان التي ظلت لذلك الوقت لا تعترف بالسلطة العثمانية فاستطاع ان يقضي على إمارة البهدينان ويحيل أمرائها الى التقاعد فأصبحوا يتقاضون مرتبات من باشاوات بغداد والموصل وبانتهاء نفوذ أمراء البهدينان أخذ جند الحيطة (هايطا) يدير شؤون إمارتهم غير ان القبائل الكردية لم ترضخ للترك فظل نظام العثمانيين محصورا بالمدن الصغيرة وفي منطقة ضيقة حولها ومهما يكن الامر فقد تمكن الاتراك أن يسقطوا الامارات الكردية وان يصلوا الى نتيجتين:

١. القضاء على تدخل الدولة الفارسية نهائياً، في شؤون الامارات الكردية ضمن الامبراطورية العثمانية.

٢. القضاء على إتحاد الاكراد وجمع كلمتهم.



سماحة الشيخ بهاءالدين النقشبندى وخلفه خادمه

الفصل الرابع عشر

العودة الى عمان

السولاف ٨ آب

غادرت هذا اليوم الساعة السابعة صباحا، قصر السولاف برفقة احمد بگ الحاج رشيد، الى قرية (بامرني) على ظهور البغال وقد رجحناها على الخيل لوعورة الطريق، فاجتزنا مضيق (مزورك) ومررنا بقرى بيباد، وقادش، حتى وصلنا عين ماء عذبة تدعى - كاني كا - عين التبن، بالقرب من قرية اينوشت حيث استرحنا قليلا ثم تابعنا سيرنا الى قرية (ارادن) الآشورية فوصلناها الساعة الحادية عشرة واجتزناها بين اشجار الجوز وحقول التبغ والخضار نحو بامرني ولما وصلناها ذهبنا الى منزل الشيخ بهاء الدين النقشبندي وأقمنا بضيافته. واجتمعت أثناء إقامتي بابنه الشيخ غياث الدين عضو مجلس الاعيان العراقي وأعلمني أن جبال برواري بالا غنية بالحديد، والرصاص، والنحاس، والتوتياء، والذهب، والفحم الحجري، وكان اهل بامرني يستخرجون الحديد والرصاص، اما اليوم فاقتصروا على الرصاص لكثرة حاجتهم اليه وأضاف كذلك أن الفحم الحجري يكثر في قرية (زيوه) في جبل گارا بالقرب من مضيق مزورك وفي اليوم الثاني اجتمعت صباحا بعبد الله حاجي صالح ميرزا تلميذ دار المعلمين في بغداد وقد جاء الى بامرني من قريته (سوار) للزيارة وخرجت معه اتجول القرية واتزود منه ببعض المعلومات الجغرافية وقد روى لي أن مياه سوار تمتاز على مياه بامرني بوفرتها وعذوبتها وهي

فرع لرافد من روافد نهر الخازر الذي ينبع في قرية (آووك) واسم القرية معناه بالعربية النهير وقد دفعت وفرة المياه هذه، سكان القرية التي على هذا الرافد أن تعني بزراعة البطاطس والارز والخضار والفواكه. وبهذه الجولة تمكنت من تكوين فكرة عن بامرني فهي مركز ديني بين قرى الاكراد المنتشرة على سفح جبل گارا ويبلغ عدد بيوتها (٣٦٥) بيتا بينها ثلاثة جوامع ومدرسة حكومية ذات اربعة صفوف للذكور.

بامرني ٩ آب.- غادرت القرية الساعة التاسعة صباحا بصحبة وفدها الذي خرج لاستقبال الامير غازي في قرية (سوارا توكا). وكان الامير في سياحة له في بلاد الاكراد وجهته(العمادية) وفي الساعة الثانية عشرة وصلنا (سرسنگ) وهنا علمنا أن الامير قد تحرك الى العمادية فتناولنا الغداء، ثم استأذنت رئيس الوفد الشيخ غياث الدين النقشبندي بالذهاب الى قرية سيكرين للبحث عن سيارة تقلني الى الموصل فأرسل معي كرديا يقوم بحراستي ويسهر على راحتي. وبوصولنا القرية دخلنا جايخانة وانتظرنا قدوم سيارة ولما لم تات أذنت دليلي بالعودة ومكثت انتظر دون جدوى ولكي لا اضيع وقتي عبثا أخذت أدرس احوال القرية في هذه الناحية وسكانها فحال جهلي باللغة الكردية آنئذ والسريانية على أني اهتديت أخيراً الى فتاة آشورية تعرف اليسير من اللغة العربية فجعلتها ترجمانا بيني وبين مختار القرية فعلمت منه ان سكان هذه القرية وما حولها كـ(بيباو) و (سردراف) و (كندل) و (تازيكا) و (آشوان)، اكرادا وآشوريون.

والآشوريون مزارعون أسكنهم الشيخ بهاء الدين النقشبندي في هذه القرى ليستغلوها على الثلث او التسع حسب جودة الارض. قضيت تلك الليلة في سيكرين وفي الصباح استأجرت بغلا الى سوارا توكا على اعتقاد وجود سيارة فيها ولما وصلتها قابلت محمد آغا براش رئيس قبيلة

برواري زير، وقد جاء الى استقبال الامير غازي في عودته من العمادية ولحسن الحظ اجتمعت بالامير وكان سبب التعارف معه ماجد بگ وقد جاء مع الامير لوداعه، فدار بيننا الحديث عن الامن في شرقي الاردن فاجبت على اسئلته بشكل استطلاعي لملاءمة الزمان فقلت (الامن في شرق الاردن مستتب وسمو الامير عبدالله عمكم إذا خرج بسيارته لا تصحبه قوى عسكرية أو حرس خاص لحراسته، أما هنا فارى سموكم محاطا بثلة من الجند المسلح، وبسيارتين كبيرتين مملوءتين جندا ورشاشات فما الداعي لكل ذلك ؟ فنظر الامير الي نظرة الستغراب وقال بصوت خافت (الم تسمع بثورات الاكراد ؟ الم تسمع بالشيخ احمد برزان ؟ وقد اخمد جيشنا الباسل ثورته في الماضي القريب ؟ قلت كلا. قال وهذا ما يدعوني لكل هذا التحفظ اذ نحن لا نزال في منطقة متاخمة لبلاد برزان).

نعم أن الشيخ احمد برزان المذكور ثار على الحكومة العراقية في ذلك الصيف ولكنه عاد فأرجا الثورة الى الشتاء، ليتسنى له ضرب الجيش في وقت تتعذر فيه الحركات العسكرية، وليس من اليسير إخماد الثورة الكردية فيه بزمن قصير. ولهذا نراه قد ثار في كانون الاول سنة ١٩٣١م، على أثر إخماد الثورة الكردية في لواء السليمانية التي قام بها الشيخ محمود البرزنجي وسبب هذه الثورة كما تذكره جريدة فلسطين في عددها الصادر في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٢م. هو:

١. ما يلاقيه الشيخ محمود ونجله من اضطهاد في سجنهما.

٢. ارسال الشيخ محمود خبراً الى خلفه في جهاده الشيخ احمد برزان ينبئه فيه بان يبدأ جهاده وحربه مع الحكومة العراقية عملا بالمبدأ الذي تعاهد الاكراد عليه وهو تشكيل دولة كردية تتكون بين العراق وتركيا وإيران.

وقد دامت هذه الثورة حتى تموز سنة ١٩٣٢م، أي سبعة أشهر، وانتهت

بفوز الحكومة العراقية وقد اشتركت تركيا والعراق وإيران في قمع هذه الثورة كما اشتركت الطائرات البريطانية. يقول هاملتون، (إنه لولا اشتراك الطائرات البريطانية لسحق الجيش العراقي الزاحف على منطقة برزان بأجمعه) واشتراك الدول الثلاث في قمع الثورات الكردية ليس الاول من نوعه، فقد اشتركوا في قمع الثورات الكردية التي كانت تظهر في تركيا وإيران أيضا، وهذا ما حدا بهم فيما بعده أن يعقدوا إتفاقا مشتركا لاخماد الثورات الكردية التي قد تظهر في المستقبل، والقضاء على كل حركة كردية ترمي الى الاستقلال.

عدت في ذات اليوم اي في ١١ آب الى الموصل، وفي اليوم الثاني بارحتها الى دمشق على طريق دير الزور في سيارة إتجهت بنا غربا الى بادية الشام مجتازة عين (البيضة) وهي عين وفيرة المياه بالقرب منها قرية صغيرة تكثر حولها مضارب البدو. ولما وصلنا الميل التاسع والثلاثين شاهدنا قرية (تلعفر) التركمانية، وهي مركز قضاء بهذا الاسم يسكنها (٦٠٠٠) ستة آلاف من التركمان، قسم منها قائم على هضبة، والقسم الآخر في سهل أجرد، وبعد ذلك اجتزنا قرية (عبرة) الكبرى وسكانها تركمان ايضا، فعين (أم حصان) فعين (الشبابيط) وهنا نصب عرب الطفافيج مضاربهم، فعين (غزال) وهي قرية كبيرة تقع في الميل الـ(٧٤) بُنيت أكواخها وسط سهل مياهه وفيرة، وقد اقامت فيها الحكومة العراقية مخفرا للمكوس وجوازات السفر. وبعد تأشيرنا على الجوازات إنطلقت بنا السيارة عند الغروب ومررنا بالبديع، بالقرب من الحدود السورية العراقية، وقد ظهر لنا (سنجار) بارزا في تلك الصحراء. وسنجار جبل منيع تقيم فيه طائفة من الاكراد تعرف باليزيدية لم اتمكن لضيق الوقت من زيارته وما أكتبه عن اليزيديين الآن مقتبس عن مصادر اجنبية وشرقية.

اليزيديون.- يقول الفريق طه الهاشمي في كتابه مفصل جغرافية العراق، (اليزيديون من الشعب الكردي وقد احتفظوا بدينهم القديم واضافوا اليه العقائد الجديدة، وربما كانوا من بقايا الزردشتية) وهذا ما ذهب اليه لايارد، وغيره منهم السيد عبد الرزاق الحسني صاحب كتاب (اليزيدية أو عبدة الشيطان) ويقول جلادة بگ بدرخان في كتيب له بالكردية عنوانه نفيزين ايزيديان – صلوات اليزيديين (اليزيديون ليسوا عبدة أوثان بل اهل كتاب يعتقدون بوحدانية الله، وهم في ذلك أقدم الشعوب التي دانت بعبادة اله واحد ودينهم ليس الا دين زردشت الذي دان به الاكراد جميعا، قبل النصرانية والاسلام، وديانة زرادشت أقدم الاديان في عبادة التوحيد وكانت الصلاة فيها للخالق خمسة اوقات في اليوم). واسم اليزيدية مشتق من كلمة يزدان الكردية ومعناها الله.

اعتقاد اليزيديين وكتبهم المقدسة

لليزيدية كتابان مقدسان (١) الجلوة (٢) مصحفي رش - المصحف الاسود. موضوع الأول حسب ما جاء في كراسة اليزيدية للسيد عبد الرزاق الحسني: (١) الزعم بان الكتب الالهية المقدسة التي بأيدي اهل الكتاب قد اصابها تحريف وتبديل. (٢) مجمل ما خاطب به الرب جل شأنه الملة اليزيدية. وموضوع مصحفي رش، خلق السموات والارضين واختلاف الليل والنهار وخلق البشر والملائكة والعرش، وكيفية ظهور عدي بن مسافر وما كان من نزول الشيطان وغير ذلك. ويعتقد اليزيديون أن الشيطان رئيس الملائكة ويعترفون أنه أثيم إستحق القصاص وسيعود بعد انجاز القصاص الى سابق مركزه. ويذكرون بعد الشيطان، جبريل، وميكائيل، ورافائيل، وعزرائيل، ودردائيل، وإسرافيل، وشمكيل، وهم الملائكة السبعة الذين يشرفون على نظام العالم. ويتحاشون ذكر الشيطان ويحترمونه ويعظمونه إتقاءا لغضبه. ويعتقدون بالمسيح كملاك مجسد ويحترمون

الصليب الذي يعود إستعماله الى ما قبل المسيح ويعتقدون بمحمد (ص) كنبي ويحترمون الاماكن الاسلامية المقدسة ويكتبون آيات قرآنية على جدران معابدهم وقبورهم ويعمدون أبنائهم من ماء زمزم المقدس الكائن قرب معبد الشمس (شمس الدين) والتعميد عندهم صب الماء المقدس على الطفل لتطهيره من خطيئة الدم الاصلية. ويقدسون النار ويقولون بالخير والشر وانتقال الارواح كما كان يفعل الزردشتيون. ويعتقدون أن الاله يقيم في السموات العليا ولا يشرف على الارض الا بواسطة ملائكته السبعة واشهرهم ملك طاووس الذي يرمزونه للشيطان تحاشيا من ذكر اسمه، وملك طاووس هذا طائر ذهبي محلى بالاحجار الكريمة والجواهر كثير الشبه بالديك له صدر مرتفع ورأس صغير وذنب عريض منتشر وتحت منقاره انحناء قليل. ويحترمون الشمس ويسمونها شيخ شمس والقمر ويدعونه شيخ سن، وهذا يقابل الاسمين شمس وسن في الديانة البابلية ويضحون كل سنة بثور ابيض بالقرب من هيكل شمس الدين وهذه التضحية كانت في جوهر تعاليم (مثرا). ويختتنون وربما اخذوا ذلك عن اليهودية أو الاسلام أو مصدر اقدم كما يروي ويكران ويصومون ثلاثة ايام متوالية في شهر كانون الاول من كل سنة ويصلون صلاة يومية عامة ساجدين لشروق الشمس صباح كل يوم ولهم دعاء يتلونه صباح كل اربعاء وجمعة من ايام الاسبوع وتتلى تراتيلهم الدينية وادعية الصلاة وعبارات التعميد بالكردية ويحجون الى قبر الشيخ عدي إمامهم بالقرب من قرية (باعذري) مركزهم الديني في قضاء شيخان. والشيخ عدي حسب ما جاء في كتاب الجلوة وعلى ما يظن هو الشيخ عدي بن مسافر جاء من بيت فار ببعلبك وسكن جبال هكاري وتوفي فيها ويعتقد اليزيديون أنه تصور بعد وفاته بصور مباركة خرج على اثرها الى السماء بعد ان ترك وصاياه على الارض، وأنه ظهر بعد ذلك ملك صالح قال لهم (هذا قبره) فصاروا يحجون اليه.

والديانة اليزيدية بالاختصار هي ديانة زرادشت تأثرت مع مرور الزمن بديانات بابل وآشور والمسيحية والاسلام.

نبذة تاريخية عنهم في الاسلام

يقول السير مارك سايكس (إن يزيديي سنجار اكراد ليس في اللغة فقط بل بالدم ايضا اذ لا فرق بينهم وبين اكراد ديرسيم في السحنة والبنية). وقد اضطهدهم الترك العثمانيون وجردوا عليهم حملات منها حملة سنة ١٨٩٤م، كانت الغاية منها تبديل عقيدتهم واجبارهم على قبول الاسلام فتمكنت هذه الحملة أن تستولي على بعض قرى جبلهم، ولكنها إجمالا فشلت في مهمتها وفي سنة ١٩١٨م. في آخر الحرب العالمية ساقوا عليهم قوة عسكرية لتأديبهم بسبب هجماتهم على طرق المواصلات ونهب القوافل، ومع كل ذلك لم تتمكن الحكومة التركية أن تبسط نفوذها تماما على جبلهم لمناعته، وبسبب هذه الحملات نقص عددهم. ويقول الرحالة لايارد (ان ثلاثة أرباعهم مات خنقا وقتلا من جراء تلك الحملات ولا يزال اليزيديون يذكرون تلك النكبات بأناشيد رثائية يستطيع المؤرخ ان يعتبرها وثائق يعتمد عليها. وفي القرن الثامن عشر اشتد اضطهاد الترك ايضا، فحاربوهم وشاركهم البدو فأفنوا عددا كبيرا منهم).

طبقات اليزيدية وعاداتهم

جاء في تقرير لجنة عصبة الامم عن قضية الحدود بين العراق وتركيا أن الطبقات الدينية بين اليزيديين ستة (١) الشيوخ (٢) البيرة (٣) الفقراء (٤) القوالون (٥) الآوان (٦) خدمة قبر الشيخ عدي. ويجعلهم السيد عبد الرزاق الحسني سبعة (١) الامراء، وهم حاملوا شجرة النسب المنشورة والموروثة من الآباء. والطائفة تصدق لهم بالكمال الجسماني والروحاني، وتذعن لجميع أوامرهم (٢) الفقراء وهم نواب الأمراء ووظائفهم جمع البنين

والبنات لتدريبهم على ضرب الدفوف والرقص ولهم خدمة دينية في قبر الشيخ عدي، ويبلغون أوامر الأمير للناس بواسطة الرؤساء الذين يلونهم في الدرجة (٣) الكواجك ووظيفتهم مكاشفة الارواح وتكفين الاموات وتلقينهم (٤) البيرة وهم الذين يرتبون الصوم والافطار. (٥) الشيوخ وهم خدمة قبر الشيخ عدي ويشترط فيهم أن يكونوا من سلالة امامهم حسن البصري ولهم زنار يضعونه على صدورهم وعلامة يمسكونها في ايديهم، فاذا رأوهم جماعته خروا اليه ساجدين (٦) القوالون ووظائفهم خدمة الدفوف ومدح الاله وملائكته ونقل الطواويس البرونزية الصغيرة من قرية الى قرية لتأدية الصلاة والعبادة. (٧) الائمة وهم الذين يعلمون الاولاد حفظ الكتاب والمسائل الدينية وأمور الملة وما يجب تعلمه ولايمكن لهذه الطبقات أن ترتقي من طبقة الى اخرى.

العادات والتقاليد – لا يحظر على اليزيدية ذكر الشيطان أو الكلمات الشبيهة به وبكلمة لعن فقط؟ بل يحظر عليهم سماعها ايضا. ولا يجوز لهم ان يرتدوا البسة زرقاء كما يمنعون منعا باتا من التزاوج بأهل الاديان الاخرى وإذا فسقت يزيدية بغير يزيدي تقتل خشية تسرب دم اجنبي في دمهم. إذ يعتقدون أن اليزيدي يجب ان يولد من ابوين يزيديين ولهذا لا يحاولون إرشاد الناس الى دينهم. وقد حفظ هذا المنع دمهم صافيا. والزواج لديهم نتيجة حب يشترط فيه موافقة الفتى والفتاة ولا يحق لاحد الابوين أن يحول دون رغبة أحد الطرفين في الزواج. ولا يجوز الزواج في بدء السنة اليزيدية اي في شهر نيسان. ويحظر تزاوج أبناء الطبقات بغير فتيات من طبقاتهم يستثنى من ذلك الأمير الذي يجوز له أن يتزوج بمن يشاء. وتكرر الطلاق من الامور المباحة عندهم وكذلك تعدد الزوجات. واليزيديون كالاكراد يحلقون لحاهم ويعتنون بشواربهم. وإذا مات يزيدي تسير الجنازة خلف الشيوخ والقوالين وضرب الطبل والمزمار بهدوء تام

الـى المقـبـرة، ويـعـد أن يـواري الميت تـذهب الـنساء الـى قـبـره ثلاثـة ايـام متواليات تحف بهن الطبول والزمور فيلطمن ويبكين. وفي اليوم الاخير يأخذن طعاما الى القبر فيتركونه هناك اعتقادا منهم أن الفقيد قد يحتاج اليها وذلك لان اليزيديين يعتقدون بتناسخ الارواح.

ولليزيدية موسم ديني في اول اربعاء من كل نيسان رومي، وهو عندهم عيد رأس السنة فيذهبون الى مقام الشيخ عدي تحف بهم الطبول والزمور وهـنـاك يـرقـصون ويمرحـون ويشتـرط فـي هـذه الزيـارة أن لا يـأتـي احد بـطـعـامـه إذ الكل يـأكلـون علـى مـائدة واحدة يصرف عليـهـا من أملاك وعقارات الشيخ عدي. ويعتقدون بأن جميع الخطايا والذنوب تغفر لهم في هذا اليوم المقدس. وفي يومي الخميس والجمعة بعد ذلك يجتمعون للرقص في قرية (بعشيقة) وفي الجمعة الثانية يجتمعون للغرض نفسه في قرية (الدراويش) وفي الجمعة الثالثة يزورون قبر الشيخ أبي بكر بالقرب من قـريـة (بـحـزاني) بدفوفهم ومزاميرهـم. ولـهم عدا ذلك ايام مـخصوصة يزورون فيها قبور موتاهم بالطبول والمزامير كذلك.

بعد أن مكثنا قليلا في البديع تابعنا سيرنا ليلا الى أن وصلنا (الفدغمي) الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل وهي اول قرية تقع على نهر الخابور أحد روافد الفرات وفيها مخفر سوري ومأمور للمكوس وجميع الموظفين في هذين المخفرين أرمن. كان سيرنا بعد الفدغمي موازيا نهر الخابور حتى وصلنا (صور) فعبرنا النهر على جسر حسن البناء شيده الفرنسيون على أحدث أصول هندسي. والقرويون هنا يروون مزارعهم بواسطة النواعير التي أقاموها على الخابور.

وفي الساعة العاشرة صباحا وصلنا دير الزور وهي آخر مرحلة بعد صور جعلتها الحكومة السورية مركزا للواء فرات. والبلدة قائمة على ضفاف الفرات في وسط البادية يخترقها شارع عام مغطى بالاسفلت

وعلى جانبيه الاشجار ويصلها بالخارج ثلاث طرق احداها يسر شمالا ويربطها بكردستان الشمالية والثانية تسير غربا وتربطها بحلب والثالثة تسير جنوبا وتربطها بدمشق. وسكانها خليط من أبناء البلدان السورية والبلدان الكردية المجاورة. اقمنا في البلدة ساعة من الزمن ثم تابعنا سيرنا نحو الجنوب الى دمشق وكان طريقنا قفرا خاليا من السكان وقد استطعت أن أضبط المسافة من دير الزور الى دمشق لوجود الاحجار المرقمة على الطريق وأول قرية وصلناها (السخنة) وتبعد (١٤٥) كيلو متر عن الدير، وهي قرية كبيرة ذات مياه كبريتية يستقي منها السكان ويروون بها حدائقهم البسيطة واكثرها النخيل. وبيوتها مشيدة من الطوب. وقد انتشرت حولها مضارب البدو ويعرفون ببدو السخنة، وبعدها وصلنا (تدمر) مساء بعد أن اجتزنا (٧٣) كيلو مترا، ولدى وصولنا مشارف القرية أوقف فرنسي سيارتنا وأشار الى السائق أن يسير في طريق آخر أشار اليه، لأن الطريق الذي كان يسلكه يؤدي الى آثار تدمر والدخول اليها ممنوع. وقد كان السكان يسكنون في بيوت حول هذه الآثار ولكنهم اخرجوا منها وعوضوا عنها ارضاً ثانية تقابل الآثار انشأوا بيوتهم الحديثة عليها. ولما وصلنا القرية سرنا الى فندقها إذ عزمنا على المبيت تلك الليلة.

لاحظت عند خروجي للفسحة أن لهجة السكان وهيأتهم اخذت تميل من اللهجة والسحنة العراقية الى السورية والنساء اجمالا – وقد شاهدت طائفة منهن على عين الماء يستقين - جميلات هيف القدود طويلات القامات.

تاريخ التدمر

تدمر أو كما تسمى باليونانية (بالميرا – بلدة النخيل) كانت على عهد الرومان مركز ولاية أقاموا عليها واليا يدعى اوذينوس – أذينة – وبعد وفاته تولت زوجته زنوبيا (زينب – الزباء) زمام الحكم وخرجت عن طاعة

الرومان ووسعت ملكها ولقبت نفسها ملكة الشرق وعزمت على استخلاص سوريا وغيرها من البلدان الشرقية من قبضة الرومان. وكانت تسير في مقدمة جيوشها ولكنها وقعت اسيرة بيد اورليانوس الروماني سنة ٢٧٣م. ثم قام اهلها وانتقضوا ثانية فعاد اورليانوس وافتتحها عنوة واعمل في اهلها السيف اياما متوالية وأمر بهدم ابنيتها وقلاعها ودك أسوارها، فهدمت وأصبحت تلك المدينة الزاهرة قرية حقيرة حتى عهد ديوكليتيانوس، فاتخذها مركزا لرد غارات البادية عن اراضي سوريا العامرة. ولم يجدد هذا العمل من عهدها السابق فظلت حقيرة وأخذت بعد خروج الرومان تتقهقر ولم تكن حالها بعد ذلك خيراً مما هي عليه الآن. ويزعم العرب أن سليمان ملك إسرائيل سخر الجن في بنائها وذكر بعض الأثريين أن سليمان بنى تدمر ليأمن على طرق التجارة في البادية واصبحت في اوائل النصرانية احدى المدينتين اللتين جمعتا بين تجارة اوروبا وآسيا أعني (البتراء وادي موسى) في شرقي الاردن و (تدمر) في سوريا.

وعند طلوع الفجر شددنا رحالنا واتجهنا نحو القريتين وتبعد (١٠٣) كيلو مترات عن تدمر وهنا شاهدنا قبائل من أتباع ابن الرشيد وقد ألف الفرنسيون منهم فرقة من الهجانة لحراسة البادية السورية وعلى مقربة منهم كانت قبائل الشعلان منتشرة فأشرنا الى السائق أن يمر بين مضاربها فأبصرنا بينها خياما بيضاء أقامها نوري بن شعلان شيخ مشائخ قبائل الرولة للبيع والشراء.

قطعنا بعد القريتين نحو (٥٧) كيلو مترا في الجهة الجنوبية الغربية ووصلنا (الناصرية) وتشتهر بملاحتها كما تشتهر تدمر كذلك. وبعد عشر دقائق بالسيارة مررنا بقرية (العطنة) وتشتهر بكرومها، وتليها (جبرود) وتبعد عنها عشر دقائق وتشتهر بملاحتها وعنبها الدريللي ووفرة مياهها

وبيوتها الجميلة. ثم قرية (الرحيبة) على بعد عشر دقائق ومنها جئنا الى قرية (المعصمية) فـ (القطيفة) مركز قضاء القطيفة وترتفع ١٠٥٣ مترا فوق سطح البحر وتقع في واد منبسط. والمسافة بين الناصرية والقطيفة لا تتجاوز (٢٢) كيلو مترا وبعد القطيفة مررنا بقرية (عدرا) وقد لاحظت أن نساء القرى من الناصرية الى هذه القرية ترتدي أكسية حمراء وعدرا تبعد عن دمشق (٢٣) كيلو مترا، وعلى بعد ستة كيلو مترات عنها جئنا الى قرية (القصير) وفيها مستشفى ابن سينا للمجاذيب والقرية تحيط بها الكروم من جميع جهاتها. أخذ الطريق بعد القصير يكتظ بأشجار الزيتون، وكروم العنب ويقترب من غوطة دمشق حتى وصلنا (دوما) وهي اكبر قرية في الغوطة ومركز قضاء بهذا الاسم تشتهر بزيتونها وعنبها وشمامها، وليس بينها وبين دمشق سوى (حرستا) فاجتزناها ودخلنا دمشق حيث اقمت يومين ثم عدت الى عمان. وبذلك انتهت الرحلة الاولى الى كردستان.

الفصل الخامس عشر

دخول كردستان الشرقية

رغبت بعد أن أتممت رحلتي الى كردستان الجنوبية، أن أزور كردستان الشرقية، فحال ضيق الوقت دون تنفيذ رغبتي فأرجأت ذلك الى فرصة اخرى. بيد اني من ناحية اخرى رأيت أن أضيف الى فصول رحلتي ما عربته عن القسم الذي يخص جزأ من كردستان الشرقية الواقع على حدود إيران وتركيا، من كتاب (من الخليج الى ارارات) لمؤلفه المستر هبارد احد الاعضاء البريطانيين في لجنة تخطيط الحدود بين تركيا وإيران عام ١٩١٣ - ١٩١٤م تمهيدا للبحث عن كردستان الشرقية إذا أتيح لي القيام برحلة اليها. يقول المؤلف:

كانت وجهتنا بعد مغادرة بغداد، بلدة (قصر شيرين) على الحدود الايرانية فمررنا في اليوم الاول ببعقوبة، وقزلرباط، وخانقين حيث كانت البضائع معروضة لمعاملة الترانسيت، على طريق يصلح لسير المركبات. وفي المساء القينا عصا ترحالنا في الخان وقد وصلناه على جسر يقال إن سيدة فارسية شيدته على نهر (الوند) السريع الجريان لتساعد بذلك حجاج الشيعة على اجتياز النهر في طريقها الى البلدان المقدسة في العراق. وفي اليوم الثاني تابعنا سيرنا في مركبتنا الى قصر شيرين ومررنا بتلال منخفضة تكثر عليها اطلال القصور القديمة.

وقصر شيرين - كما رأيناها بلدة جميلة شيدت على سفح تل كثير الانحدار تتوج قمته آثار بديعة يخترق طرفه شارع مرصوف بحجارة

صغيرة ويسير نهر الوند بقاعدته ثم يخترق حدائق التين، والرمان، وحقول القمح، والمروج الخصبة والتلال القرمزيةالتي تتصل بالجبال في الشرق. والآثار التي تملأ مساحة واسعة في شمال البلدة، هي آثار مدينة كبيرة كانت عامرة في عهد الساسانيين، وكل ما بقي منها ظاهرا قناة كانت تأتي بالماء من الوند على بعد تسعة اميال الى المدينة. والأثر الآخر بناء كبير يقال انه كان غرفة العرش لملوك بني ساسان. والطابق الارضي منه مربع الشكل في كل جهة منه مدخل فخم يرمز الى أن أبواب الملك مفتوحة لرعاياه في جميع اقطار مملكته. وقد بنيتْ جدرانه من الحجارة الكبيرة غير المنحوتة والطين الشديد التماسك. وجعل عليها كورنيشا للقبة العظمى التي كانت تغطيه فيما مضى.

كانت اعمال الحدود في هذه المرحلة اعقد ما ستعالجه اللجنة، إذ انقطعت التلال التي كانت دليلا لها في العمل وأصبح بينها وبين سلسلة الجبال الرئيسية التي تعتبر خطا لتقسيم المياه وحدا طبيعيا يمتد حتى ارارات فرجة كبيرة تتألف من اراض متموجة تكثر فيها الحقول المزروعة. ولهذا كان على اللجنة أن تحرص على مد خط للحدود يتخللها كما كان عليها أن تضع شروطا خاصة تتعلق بأراضي النفط في موقع جياسرخ التي كانت تستثمرها شركة النفط الفارسية - الانكليزية وبالنظر الى تباين الخرائط وما الى غير ذلك من العوامل فقد تعسر على اللجنة في بادئ الامر أن تقوم بتخطيط الحدود التي وضعت في اسطنبول، ثم ما لبثت ان ذللت العقبات وشرعت في مهمتها.

يممنا، بعد قصر شيرين نحو سهل زهاب على طريق كرمانشاه ومررنا بموقع (تنكي هامان) حيث تكثر المياه الكبريتية الحارة، ولدى وصولنا الهدف ضربنا مخيمنا على هضبة تشرف على سهل زهاب الحسن الارواء. والسهل تكتنفه في جميع نواحيه رواب تظهر خلفها سلاسل جبال

متعاقبة، الواحدة تعلو الاخرى كلما ابتعدت عنها، وفي ناحيتها الشرقية اطلال بلدة زهاب وقد كانت عامرة قبل بضع سنين. والمناطق المجاورة للسهل موطن قبيلة كردية شهيرة تعرف بالكوران تدين بمذهب (علي الهي) وتقدس مزار (زردا) في جبل (دلاهو) ومذهب العلي الهية من المذاهب الباطنية في الاسلام.

ويتصل سهل (سركالة) المزدوج بسهل زهاب ويمتاز عنه باتساع مساحاته المزروعة. وقد شاهدناها حين اجتيازنا اياه الى مخيمنا على سفح جبل (بامو) الشاهق وطن الفهود. وكانت على مسافة قليلة من مخيمنا قرية (بوشته) الصغيرة وبالقرب منها نقوش صخرية يزعم العلامة (شيل) انها اقدم كتابة من نوعها في كل اسيا فذهبت اليها مع دليل من القرية فسار بي الى جدار صخري عمودي لم أر عليه آثاراً للنقش.

ثم أشار علي أن أرتقي على كتفه واتسلق أعلى الصخرة ففعلت وإذ بي على جرف عرضه (٨١) بوصة فسرت عليه بضع خطوات خلف الدليل حتى وقفت أمام نقش فوق الحافة بقدمين لا تتجاوز مساحته قدمين ونصف القدم والنقش يمثل ملكاً مسلحا بقوس وسهام أمامه أسير ساجد يتضرع اليه، وعلى الهامش كتابة مسمارية. ولم أتمكن لسوء الحظ من أخذ صورة له لضيق المسافة وقد ذكر لنا الكرد نقوشا اخرى في تلك الجهات غير أننا لم نعثر عليها.

ومما يجدر ذكره أن اللغتين العربية والفارسية انقطعتا في هذه الانحاء ولم يعد يسمع سوى الكردية. ولما انتقل المخيم الى بامو تقدمت لجنة الحدود الى نهر السيروان على بعد ثلاثة ايام، فاجتازت سفوح بامو بين احراج البلوط المبعثرة وحدائق الرمان في اليوم الاول، وفي اليوم الثاني دخلت وادي (الزيمكان) وفي الثالث ارتقت جبلا أشرفنا منه على سهل شهرزور ومن نقطة إشرافنا العالية تمكنا أن نرى بجلاء هذا السهل الواسع

المملوء بالتلال الأثرية التي تدل على ازدحام السكان وازدهار الحضارة في مدنها في القرون الغابرة. وكذلك أبصرنا جبال أورامان (هورامان) المغطاة بالثلوج في الجهة الشمالية الشرقية. ولما وصلنا السيروان وجدنا جماعة من الكرد يركبون الناس سفنهم ويجتازون بهم الى الشاطئ الآخر فاتفقنا معهم على دفع خمسة شلنات لكل سفينة ولكنهم ما لبثوا أن نقضوا اتفاقيتهم معنا في اليوم الثاني، وطلبوا منا جنيها بدلا من خمسة شلنات فرفضنا طلبهم وخضنا النهر من مكان ضحل وسرنا الى حلبجة. بعد أن مكثنا فيها بضعة ايام بارحناها الى جبال اورامان وطولها من السيروان حتى الحدود التركية في الشمال (٥٠) ميلا وهي جبال وعرة وسحيقة تتخللها الوديان الكثيرة والمرتفعات الشاهقة. والعشائر الكردية التي تقطن هذه الجبال هي عشائر هورامان وتدعي انها من سلالة رستم البطل الايراني. وقد شيدت اكثر قراها على قمم الجبال أو قرب منابع الوديان ولذلك صادفت اللجنة عراقيل جمة في تحقيق غايتها.

بلقاجرا – ٣١ مايس – تركنا حلبجة هذا الصباح وسرنا في الساعتين الاولبين بين قرى كردية عدة كل واحدة منها قائمة بجانب نهير تحيط به حدائق غاصة من الرمان. وكثير ما كنت أرى داخل القرية بركة كبيرة تحت ظلال الاشجار تأتيها المياه من نهير وقد صفت حولها مقاعد من الحجارة المنقوشة ارتفاعها ثلاثة اقدام يجلس عليها المتقدمون في السن يتحدثون ويدخنون التبغ ويراقبون انعكاس خيالهم وفي الماء. بعد مرور خمس ساعات ونصف، مررنا بواد بين الجوز وزهور الزنبق بالقرب من شلال (داو) تقابله قرية بلقاجورا، فشاهدنا بيوتها ذات السقف الواطئ مبنية بعضها فوق بعض على شكل طبقات. ولما دخلناها مررنا بجايخانة حولها قرويو الاكراد بثيابهم القطنية ذات الالوان البديعة. فذكرني بما لرجالها وواديها من المناظر الخلابة مناظر بلاد البابان التي

تشبهها كثيرا.

١ حزيران – خرجت اللجنة هذا الصباح لتنصيب اعمدة في وادي (تويلة – طويلة) ويبعد ميلين عن القرية وقد احاط القرويون هذا الوادي بسياج من اشجار التوت وحفروا أقنية لارواء الاراضي الواقعة على ارتفاع يتراوح بين (٤٠٠– ٥٠٠) قدم فوق سطح الوادي فأصبح روضة فيحاء يزيد في روعتها ماء سلسبيل صاف كالبلور. وفي الساعة الثامنة وصلنا قرية تويلة ومررنا بتكية للدراويش النقشبندية وبحلقة من الاكراد يشربون الشاي في ديوانهم قبل أن اصعد الى المرتفعات وهذا الديوان غرفة مربعة الشكل يحيطها في الداخل طنف للجلوس وفي زاويتها نقرة عميقة لنار (السماور) وعدد من الفناجين والملاعق وطبق معدني للغسيل. وبعد أن شربت كأسين من كؤوس الصفا مع هؤلاء الرفاق الخشنين البشوشين، تابعت سيري الى أن وصلت قمة الجبل فأشرفت على منظر وادي السيروان البديع ورأيت عن بعد قرية أردت المضي اليها لو لم يحل دون ذلك دليلي الكردي. والسبب على ما اعتقد عداء قبيلته مع اهل تلك القرية.

أما الان وقد تغلغلنا في بلاد الاكراد فقد انطبعت لاول مرة في مخيلتي صورة الكردي، وهذه الصورة تنم عن انسان جميل الصورة حسن الهندام يرتدي سروالا كثير الثنيات ومعطفا شديد الشبه بالمعاطف التي يرتديها الاسبانيون في رقصاتهم الوطنية، وعمامة ملونة ونطاقا يشمل أنواع الاسلحة، وفوق الجميع معطفا قصيرا من اللباد التخين ليحفظ حرارة الجسم في زمهرير الشتاء عندما تهب رياح الثلوج القارصة.

والنساء ما دمن فتيات فجمالهن فتان للغاية ثم لا يلبث هذا الجمال، أن يذوى لانهماكهن في الاعمال البيتية وتربية البنين وارتداء ثياب لا يرتديها غير الهرمات وتحاشيهن قص الشعر المنتشر بين الفتيات، وهو شبيه بقص (الشالين) اليوم. ومن جملة ما تتزين به النساء الخزام

الزمردي. ولباس الرأس لدى النساء قلنسوة حريرية يزين اطرافها خرز ازرق وقطع من الفضة أو الذهب تلف عليها المناديل الحريرية حسب مركز المرأة. وفي اعتقادي أن الحياة بين قوم كهذا لا يعامل نساءه معاملة الرقيق، بل يمنحهن الحرية التي للرجل هي حياة رغدة. والنساء في هذه الانحاء يقضين أوقاتهن في الغابات يتنزهن وتنصرف الامهات منهن لغزل الصوف والفتيات للعب والسمر.

بيارا – ٤ –حزيران: بيارا قرية في واد يشبه وادي تويلة بسيوله المتدفقة وأقنيته التي تروي غابات الجوز، والتوت الابيض الذي يزرع بكثرة ليجفف ويصدر ويختلف عنه باستقامته. وقد تأخرت لجنة الحدود في هذه القرية زمنا لتعقد سير المفاوضات بسبب مرور الحدود باراض حسنة الارواء والزراعة في قرية (خاني كرملا) وكان الاكراد يحولون دون اجتيازها وفي اعتقادي أنهم مصيبون إذ كان بالامكان نقل الحدود الى بضعة اميال عن هذه القرية وما يجاورها الى جبال يتعذر المرور بها وهي اصلح كحدود. وقد تسلقت الجبال أثناء وجود اللجنة في المفاوضة مرتين، في المرة الاولى لأشرف على جبال كردستان الشرقية وبحيرة مريوان والثانية لتثبيت الاعمدة على الحدود وقد احتج كردي عجوز من سكان تللك القرية على اعطاء قسم من تراب بلاده المقدس الى الترك بيد ان احتجاجات المسكين لم تفده شيئا فأعيد الى قريته وما قرر طبق.

قلب كردستان الجنوبية

گل عنبر – ١١ حزيران

الحرارة شديدة، ونحن الآن في سهل شهرزور نسير بحذاء سفح جبال أورامان لنجد لنا مخرجا. فشاهدنا هذا الصباح نارا عظيمة أعتقد أن (جارودارا) مكاريا أضرمها بدون اكتراث في عشب جاف، فانتشرت على مسافة ميل وارتفع لهبها ولم يخشها القرويون على بيادرهم لانها كانت مصونة وأول قرية جئنا اليها گل عنبر، جوهرة هذا السهل. والاماكن التي تفوقها جمالا في هذا العالم قليلة لولا كثرة أفاعيها. وقد تراءت لنا بيوت القرية حول جامع قديم يقال إنه بُني في عهد السلطان سليم، وشاهدنا بينها منزلا جميلا يدخل اليه من ساحة كثيرة الينابيع والنباتات المائية، وهو كما علمنا بعد ذلك ملك الشيخ علي، والشيخ ذو شخصية كبيرة ونفوذ واسع على الدراويش سكان القرية. وفي الطرف الآخر من القرية تتفجر ينابيع عذبة تحت ظلال اشجار الحور فتجتمع مياهها في بحيرة صغيرة، سياجها شجر الصفصاف. ومن ثم تخرج بصورة نهير جميل كثير السمك يسير متعرجا بين اشجار الحور المتمايلة لكثرة ما عليها من طير الحسون. وعلى مسافة قليلة من مخرجه جسر تهدم قسم منه، باسفله ينابيع كبريتية حارة، سيجت بأعمدة تخفق عليها قطع من السجاجيد الندرية. وبعد قليل شممت رائحة الكبريت الكريهة فاقتربت منها وشاهدت حجارة الحوض المنصبة فيه هذه المياه السولفورية، قد اصطبغت بلون ازرق جميل وذلك لا شك نتيجة تفاعل الكبريت الكيمياوي.

ممر (جاكان) – ١٢ حزيران

غادرنا في هذا الصباح القرية قبل شروق الشمس بساعتين على طريق

ضيق تكتنفه الاشواك والاعشاب البرية ونبات الخطمي، وفيه تتلاقى اربع عشائر قوية الشكيمة عرفت باخلال الأمن وقطع السابلة. ولما وصلنا منتهاه ضربنا مخيمنا فيه. وقررنا المبيت تلك الليلة.

بيران – ١٦ حزيران

بيران قرية في جبال أورامان. وواديها الذي نحن فيه يختلف عن وديان تويلة وبيارا السحيقة، بكثرة ما فيه من احراج البلوط، وانفراجه وامتداده إمتدادا مستقيما بضعة اميال حتى يصل قمة الجبل. ويشبه شكله الوديان التي كونتها الثلاجات.

بواوسوتا – ١٧ حزيران

وقبل أن نصل هذا الموقع إجتزنا ممراً آخر، ولم نر شيئاً يستحق الذكر سوى طيور الخطاف.

جامبراوا – ٣٢ حزيران

قرية جبلية، جرت من اجلها مناقشة حادة، عندما بحث في قضية الحدود في اسطنبول وقد ترك امرها الى اللجنة لتقرر مصيرها. وهذه بدورها أخذت تسأل المسنين من سكانها عن وضعهم في عام ١٨٤٨م، وهل قضوا صباهم تحت حكم السلطان أو الشاه. والحدود بين بواوسوتا وهذه القرية تمر بجبال (زاغروس) وتشكل خطاً منحنياً يمتد على مسافة (٦٠) ميلا، ثم يعتدل بعد (٢٠) ميلا منها، وهي خط تقسيم للمياه ينفصل عنها نهيران صغيران متساويان في الحجم يصب أحدهما في بحر قزوين والآخر في خليج فارس. والطرق التي اجتزناها في هذه الجهات واسعة تمر في اغلب الاحيان بين أراض مزروعة، وهي نفس الطرق التي يمر بها قبائل الجاف في رحلاتهم السنوية من قزلرباط الى مراعيهم العالية، قرب (سقز)

في أردلان (كردستان الفارسية). وفي رحلاتهم هذه يخيفون السكان ويخلو بالامن.

٢٧ حزيران

أكتب والساعة الآن السادسة والنصف صباحا، أمام خيمتنا التي نقلناها الى موقع يرتفع (٦٠٠٠) قدما فوق سطح البحر، ويشرف على جبال شاهقة يمر في بعضها على ارتفاع (٢٠٠٠) قدما، نهير كنت اسمع خرير مياهه. وفي الساعة السابعة والنصف إنتهزت ويلسون، فرصة إنهماك اللجنة في ابحاثها وغادرنا (جامبرا) الى (بانه) ولما لم نستطع الوصول اليها تلك الليلة خيمنا في الطريق، فجاءنا بعض القرويين وأحاطوا بنا وكانوا معجبين بمأكولنا وما معنا من ادوات التواليت. فخاطب ويلسن رئيسهم قائلا: ما دخلك؟ فاجاب، عشر تومانات، وما مهنتك اتقطع الطريق وتسلب؟ فاجاب، كلا. فقال، إذن انت لست كرديا، فقهقه القرويون قهقهة عالية.

وفي اليوم الثاني احضروا لنا الغداء، خبزا ولبنا وجرة عسل لم أذق في حياتي الذ منه. والعسل في هذه الارجاء من ضروريات الطعام. وفي تلك الليلة جلسنا قبل الغروب نشرب شاياً، فابصرنا جماعة من الاكراد يحرسون احد زعماء (بانه) وكان الجميع متعممين خلا واحدا، كانت عمامته على قلنسوة هرمية يتدلى من اعلاها الشراريب، فعرفنا انه مكري، أما أحذية الجميع فكانت مصنوعة من القماش يعرف الواحد منها بجواز givas ويشبه حذاء الباسك المعروف بالاسبادويل وهو خير حذاء في العالم لتسلق الصخور والجبال العالية. وأرديتهم: شراويل منتفخة تشبه البنطلون الهولندي، ومعاطف ملونة بعضها بسيط وبعضها مخطط ولما دنوا منا شاهدت فيهم سحنا وقامات تدل على نقاوة دم اصحابها وحسن بنيتهم.

بانة – ٢٩ حزيران

بلدة في واد حسن الارواء على ارتفاع (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر فيها نحو (٧٠٠) بيتا وثمانية جوامع، وتعتبر خير مثال للبلدان الكردية: وهي وإن كانت تابعة لحكومة إيران، غير انها لا تدفع (سوا) واحدا الى خزينتها. وحاكمها محمد خان احد البگزادات الكرد، إعترفت إيران بحاكميته. والسلطة الحقيقية بيده رغم وجود (كارگذار) اي احد موظفي وزارة الخارجية.

وقد دخل الترك البلدة منذ عشرة اعوام بطلب من محمد خان هذا، ليساعدوه على قمع الفتن الداخلية. ولما أنجزوا مهمتهم احتلوا البلدة وخلعوا حاكمها ولم ترجع الى سلطة الفرس الاسمية الا بعد ست سنوات وذلك عند شروع البحث في قضية الحدود.

ولما زرنا محمد خان ليلة البارحة وجدنا لديه (ميرزا) كاتبه. وبعض الاشراف، قد وقف خادمه الخاص خلفه يناوله السجائر كلما احتاج اليها واصطفت حاشيته في حلقة تنظر الينا باستغراب فاعجبني فيهم شكل لباسهم والالوان البديعة التي تزين معاطفهم واظهرها القرمزي والخردلي والذهبي. وكانت اردانهم وهم واقفون مدلاة تكاد تصل الارض. والعادة أن تدلي في حضور الضيوف أو الشخصيات البارزة، وتلف على الذراع وتربط في الرسغ في ما عدا ذلك.

موسك – ١ تموز

عدنا من (بانه) الى (جامبراو) لان اللجنة بارحتها الى موسك ولهذا يممنا نحوها فوصلناها بعد سير طويل واجتمعنا باللجنة. ولا يوجد بين هذه القرية والجبال التي اجتزناها سوى المياه الوفيرة التي تنساب بين اشجار البلوط والصفصاف والتوت، والاجاص، والخوخ البريان وكثير

غيرها اجهل اسماءها. أما المنطقة التي وصلناها فتشتهر بالتبغ الجيد. ومن المؤسف أن قسما كبيرا منه لا يصرف في الخارج بسبب عدم استقرار وضع البلاد السياسي، واعتقد ان حكومة إيران لا تأخذ فلساً واحداً ضريبة عليه. ولا شك ان غناء هذه البلاد سيزداد إذا صدر تبغها الى الخارج. ولما اشرفنا على موسك بعد الظهر كان جبل (سوركف) ونهر الزاب الصغير يحولان بيننا وبين خيمة اللجنة، فاضطررنا أن نسير على جرود ترتفع (٧٠٠٠) قدما فوق سطح البحر. ومن ثم هبطنا الى الوادي بطريق ضيق لا يزيد عرضه على قدم واحد. ولم نصل الى الخيمة الا الساعة العاشرة ليلا لشدة وعورة الطريق.

الفصل السادس عشر

من الزاب الى أورمية

قرب جبل قنديل – ٥ تموز

اخترنا لمخيمنا موقعا مناظره الطبيعية خلابة، بالقرب من شلال ارتفاعه (١٠٠٠) قدم، واشرفنا منه على الزاب الذي كثيرا ما يفيض بسبب ذوبان ثلوج الجبال التي يمر بينها. وقد شاهدنا على ضفتيه جسرا ما تزال قوائمه باقية. وحين اجتياز القبائل في رحلاتها الشتوية والصيفية تضع عليه معابر وقتية من الخشب وقد قيل لنا ان السبب في عدم اتمامه خيفة أن تهدمه المياه الفائضة فيسقط ويسد مجرى النهر.

سردشت – ١٠ تموز

سردشت، بلدة كردية تبعد (٢٠) ميلا عن الحدود، وقد اتيحت لي ولويلسن الفرصة فزرناها وشاهدنا فيها حامية فارسية مؤلفة من (١٠٠٠) (سرباز – عسكري) مما يدل على انها اكثر عرضة للحكم الفارسي من (بانه). وقد كانت اهميتها في الماضي عظيمة رغم كثرة الخراب الذي يرى فيها الان، وفي عودتنا قضينا ليلتنا في الطريق تحت النجوم في موقع يرتفع (٧٠٠٠) قدم فوق سطح البحر. وفي الصباح وجدنا الارض مغطاة بالجليد، وحولنا مضارب لرعاة الاكراد وقطيع من الاغنام الجميلة وبضعة جواميس ورف من الاوز. فاستقبلنا الرعاة في بادئ الامر استقبالا حسنا ثم ما لبثوا ان قلبوا لنا ظهر المجن بعد ساعة من الزمن دون أن نفهم

السبب، فاستعملنا الحكمة لمعرفته خشية أن يقتلونا لأن عددنا لم يتجاوز السبعة وبعد اللتيا والتي، علمنا أن شجارا حدث بين اثنين من قوزاق الروس وبعض الاكراد فوصل الخبر الى جيراننا الرعاة واعتقدوا أن بعض رجالاتهم قتل في هذا الشجار فبيتوا لنا الانتقام لاشتباههم بامرنا، ولما تأكدوا أننا انكليز لا روس، زال ما بنفوسهم ودعونا لتناول الغداء.

واكراد الحدود إجمالاً، ضخام الاجسام بهيو الطلعة مدججون بأنواع الأسلحة من بنادق ومسدسات وخناجر وثلاثة محازم من الخرطوش معلقة في صدر كل منهم. وأحدهم يدفع آخر فلس في جيبه ليقتني بندقية من الطراز الحديث وهي في وقتنا الموزر وثمن الواحدة في هذه الجهات (٢٠) جنيهاً والذين يدخنون منهم يستعملون غليونا طول انبوبته (٥٤) سنتيمترا له مصاصة من الكارب (كهرمان) ومخروط معدني صغير للتبغ الزكي الرائحة. وعندما يرغب الأغوات في التدخين يقدمون غلابينهم الى خدمهم فيملؤونها ويعيدونها جاهزة لأسيادهم.

وادي (وزنه) – ١٨ تموز.

أسفت اللجنة على مبارحة المستر (وراتيسلو) رئيسهاً الى انكلترا بسبب تدهور صحته، فخرجت هذا الصباح واللجان الثلاثة الاخرى لتشييعه فرافقته الى وادي وزنه، ثم عادت وقد تركته يسير والطبيب الى (تبريز) وقد قام بمهام وظيفته من بعده الكابتن ويلسون.

خانيه – ٢٥ تموز.

وبعد وزنه سرنا نحو (خانيه) يرافقنا طير الهدهد، فمررنا بمنطقة شبيهة بمنطقة البحيرات مناخها في الصيف يشبه خريف انكلترا فقد كان نسيم الصباح يهب عليلاً والسماء ملبدة بالسحب البيضاء، ومنظرها على ما اعتقد ابدع منظر رأيته في حياتي. وقد كانت هذه المنطقة لسوء الحظ

آخر الاماكن المكسوة بالحراج في (أردلان)قبل دخولنا منطقة (ارارات) الجرداء. واصلنا سيرنا في تلك المنطقة بين غابات البلوط، ولما اقتربنا من وادي الزاب اخذنا نهبط باستمرار الى أن ظهر النهر أمامنا يجري بقوة عظيمة. وعرضه هنا لا يختلف عن عرض القسم الذي خضناه على بعد (٤٠) ميلاً في الجنوب. فلم نجتزه بل سرنا بموازاته في ممرات تبهج العين بمياهها المتدفقة ووديانها المكسوة بالغابات والاحراش.

اجتزنا عددا من هذه الوديان وتسلقنا آخرها، فاشرفنا منه على سهل تملأ ارجاءه مضارب الكرد المنبثة في جميع نواحيه حول القرى، فمررنا بها وهاجمتنا كلاب بيضاء ضخمة لكنها اقل شراسة من كلاب كردستان الشمالية والبلقان. ولما داهمنا الليل ونحن في السهل ضربنا مخيمنا، فزارنا بعض الاكراد كالعادة وكان بينهم محمد امين آغا، أحد رؤساء القبائل المجاورة فدعوناه للطعام فلبى الدعوة. في الصباح عندما بارحنا منطقته شيعنا هو ومائة من أتباعه حتى خرجنا من حدوده. وكان طول الطريق معنا لطيف المعشر حسن المحاضرة.

بسوا – ٢٧ تموز.

ان المسافة التي اجتزناها من قصر شيرين حتى هذا السهل، تمر بوديان وممرات ضيقة وعرة المسالك، مالبثت بعد ذلك اجتازت سهلا فسيحا طيلة يوم كامل. ولما اقتربنا من منبع الزاب دخلنا منطقة قبيلة المامش فاستقبلنا رئيسها برجاله المحاربين.

أشنو – ٢٩ تموز.

اجتزنا البارحة، خط تقسيم مياه قليل الاهمية، وتركنا خلفنا حوض دجلة وواجهنا حوض نهر آخر تصب مياهه في بحيرة (أورمية). وكان على بعد قليل من وادي (كادر) البديع الذي يجري فيه نهر كثير الروافد وقد

أقيمت في وسطه بلدة (أوشنو) وانتشرت على شعابه قرى كثيرة يحيط بكل منها حدائق من المشمش وحقول من القمح تروي من فروع النهر، واوشنو، بلدة يقع نصفها في السهل ونصفها الآخر على سفح جبل. وهي اكبر بلدة شاهدناها منذ تركنا قصر شيرين. يدير شؤونها حاكم فارسي يرتبط بحكومة طهران مباشرة وتحميها فرقة من خيالة قوزاق الروس، دليلا على وقوعها في منطقة النفوذ الروسي وسكانها وسكان القرى التي في السهل من قبائل(زرزو – زرزا[1]) وهي قبائل متحضرة يلبس على رأسها عمامة من مناديل مبرومة لولبية، تميزهم عن قبائل المكري الذي يضعون على رؤوسهم قلنسوة حادة الرأس.

زرنا أثناء وجودنا في البلدة حاكمها فاستقبلنا استقبالا فارسياً في خيمة بديعة الألوان بجانب نهير - والفرس على وجه الاطلاق يميلون لاستماع خرير المياه فشربنا كأسين من الشاي وهو العدد الرسمي واكلنا طبقا من (جلاتي – دوندرمة الوانيلا والمشمش) ثم استأذناه بالانصراف وسرنا توا لزيارة (منصور الملك) رئيس الزرزو، وزعيم البلدة، بوصولنا خرج موسى خان اصغر أولاده لملاقاتنا على الباب الخارجي والخان الصغير (البگ الصغير) شاب يتراوح عمره بين (١٢–١٤) عاماً بسام الثغر وضاح الجبين كثير الشبه بفتيان الانكليز. استقبلنا على الباب وسار بنا في حديقة البيت، ثم ارتقينا بضع درجات خلفه ودخلنا قاعة الاستقبال وهي غرفة مستطيلة الشكل في جدرانها قبب مملوءة بالفرش الوثير تغطيها ستائر شفافة خمرية وخضراء. ويزين ما بين القبب صور بعض الملوك ونماذج من الخط الفارسي الجميل. وقد برز عن الجدار كورنيش بينه

---

١. احدى القبائل الكردية الاربع: هكاري، ميران، زرزاري وحميدي (عمادي) التي كانت تشكل الجناح الايسر في جيش السلطان صلاح الدين الايوبي في الحروب الصليبية (الفتح القسي في الفتح القدسي).

وبين السقف (٥٠) سنتيمترا صفت عليه انواع الاطباق والفناجين والاسرجة والقوارير الصينية، وكان من هذه القوارير (٦٠) نوعا. منها ما هو للخمر ومنها ما هو للخردل والتوابل وغير ذلك وجميعها موضوعة للزينة فقط، لا يستعملها الزعيم لانه يمقت المسكرات مقتا كبيرا.

جلسنا على مقعد عال أمام الآغا - الزعيم، وولديه فذكر لنا الاب أن سجل أسرته فقد منه قبل بضع سنوات وفيه ذكر لاقدم شخص ينتسبون اليه ويرجع تاريخه الى ما قبل (٢٥٠) عاما، وذكر ما قام به احد افراد اسرتهم في عهد نادر شاه من المجازفات أثناء اشتراكه في المعارك الكبيرة التي قام بها الشاه ولا ريب أن هذه الأسرة كما اتضح لنا أرستقراطية المولد والزي والعادات. وكان الولدان جميلي الصورة واسعي العينين ومقوسي الحواجب، وتقويسهم يشبه تقويس الحواجب التي ترى في الرسوم الفارسية القديمة. أما الأب فعرف انه قصصي شهير فقد روى لنا كثيرا من الاساطير والقصص وأرانا مجموعة من المخطوطات الفارسية تتضمن اشعاراً معظمها لحافظ وسعدي، يرجع تاريخ بعضها الى سنة (١٠٤٠)هـ مكتوبة بخط جميل أنيق واضح لا تختلف الصفحة الاولى عن الاخيرة. وقد مكثنا في منزل مضيفنا حتى أذان المغرب وشاركنا الآغا وولديه إفطار رمضان ولم نجد الذ من كبابه منذ غادرنا الأستانة.

دعا ضباط الحامية الروسية اعضاء اللجنة في ١٢ اغسطس لتناول الغداء في الهواء الطلق، فخرجنا من المدينة على جيادنا نخترق شارعا يقطع النهر على جسر يشبه بوت فيكو (القنطرة القديمة) في فلورنسا جئنا في نهايته الى الحديقة التي دعينا اليها فمكثنا ساعتين ونصف الساعة نتناول الطعام الشهي ونشرب ما لذ لنا من انواع المشروبات الروسية كالفودكا والجعة والخمر الابيض والاحمر والكفاس وغير ذلك. ونشاهد ما قام به القوزاق اثناء ذلك من رقص وسباق.

بارحنا اشنو في ٩ تموز، قبيل وصولنا أورمية، وفي ٤ آب سنة ١٩١٤م وصلتنا انباء نشوب الحرب العامة عن طريق المفوض الروسي الذي جاءته برقية بذلك من قائد الجيوش الروسية في اورمية. فوقعت علينا وقوع الصاعقة ولم نستطع بادئ ذي بدء الا ان نعتمد في ما نستقيه عن هذه الحرب على البلاغات الرسمية الروسية والشركة العثمانية التي كانت تنقل عن برلين حرفيا. بعد بضعة ايام إتصلنا بقنصلنا في تبريز واصبحت الانباء تصلنا بانتظام ثم ما لبثت أن أثارت في نفوسنا الشوق للوطن فضاعفنا جهودنا لانهاء مهمتنا بأقصر مدة ممكنة. وساعدنا الحظ إذ كانت الدول التي تمثلها لاتزال غير داخلة فيها.

ولما كانت المسافة بيننا وبين ارارات هدفنا الاخير لاتزيد على مائة ميل القسم الاعظم منها سهول صالحة للسير السريع اتفقنا واللجان الاخرى أن نضع اعمدة على رأس كل مضيق. وليست هذه العملية سهلة إذ وجد الاعضاءالمنوطة بهم هذه العملية، مشقة كبرى في تسلق الجبال للوصول الى رؤوس المضائق التي كان ارتفاع بعضها (١٠٠٠٠) قدما فوق سطح البحر، زد على ذلك أن الهواء كان قارصا والثلج يغطي كثيرا من الحقول.

وعندما وصلنا قمة مضيق (كلاشين) في طريقنا شاهدنا عمودا من قطعة واحدة تملؤه الكتابات المسمارية، وقد اكتشفه العلامة (شولتز) قبل ثمانين عاما من هذا التاريخ عندما أرسلته البعثة الاثرية الفرنسية الى كردستان والبلاد المجاورة ليكتشف لها الآثار، ويشير بسهم على جميع الآثار التي يجدها مكتوبة أو منقوشة وحين وصوله هذا المكان هاجمه حرسه الموفد معه من قبل خان (جوله مرگ) وقتله رميا بالرصاص، ولا تزال أسباب قتله من الاسرار الغامضة. ولهذا المضيق اهمية تاريخية إذ كان قديما المنفذ الوحيد للطرق العسكرية والتجارية بين نينوى عاصمة الآشوريين و (اكبتانا – همذان) عاصمة الميديين.

جئنا بعد هذا المضيق الى بلدة (ترگەور- تركور) وقررنا السفر الى أورمية طلبا للراحة وبعد أن مكثنا قليلا بارحناها الى أورمية، فاجتزنا سهل أورمية الخصيب الذي يبلغ طوله (٥٠) ميلا وعرضه (١٨) ميلا ويقع بين جبال كردستان وبحيرة أورمية ويشتهر بزراعة التبغ والحبوب، ولولا غزوات الاكراد عليه لاصبح خير بقعة زراعية في المملكة الايرانية.

بحيرة أورمية

لم أتمكن خلال إقامتنا القصيرة في أورمية من زيارة البحيرة، ولذلك سأرجع فيما اكتب عنها الى وصف السائح الالماني الدكتور (موريتزوا كنر)الذي زارها عام ١٨٤٣م. واليك ما قاله:

(تتكون في البحيرة في اشهر الصيف عندما تكون المياه هادئة، رواسب طينية بسبب تبخر المياه ويصبح لونها في الجهات النائية ازرق، وفي الوسط اسود يميل للزرقة، وقرب الشواطئ اخضر واسود كثيفا. وإذا دخلتها الخنازير وما شابهها من الحيوانات المشحمة تظل عائمة. وقد وجد لدى تحليل مياهها أنها تحتوي على عناصر ومواد تكونت من انحلال النباتات المائية التي عندما تتراكم في جهة من الجهات تمنع الامواج من الوصول الى الشاطئ. والاستحمام مرة في مياهها حسب اختباراتي الشخصية، يعادل استحمام عشر مرات أو اكثر في البحر الالماني. وذلك لان املاح الايودين المذابة فيها بنسبة اعظم من نسبتها في البحر الميت تنبه الجسم والاعصاب، ويخرج المستحم منها احمر كالسرطان كثير الانتعاش. وإذا دخلها شخص صحيح الجسم يستطيع أن يطفوا فوق مياهها دون جهد، وامواجها مهما كانت شديدة فليست على درجة كبيرة من الخطورة).

مدينة أورمية

مدينة عريقة في القدم ولد بالقرب منها (زرادشت – زو – واستر) النبي

الايراني ويدأ تعاليمه على شواطئها كما فعل السيد المسيح على شواطئ بحر الجليل (بحيرة طبرية) بعد ذلك بـ(٧٠٠) عام. واتباع زرادشت اليوم يقطنون في مدينتي يزد و كرمان في فارس ويقيم عدد كبير منهم في الهند. والمدينة تقع في وسط سهل فسيح تكتنفها الحدائق والحقول الواسعة. ولما بسط الروس نفوذهم عليها ووضعوا فيها شرطتهم اتسعت، وسادها الامن، وازداد سكانها وازدهرت، تجارتها. واسواقها كبقية اسواق الشرق القديمة مغطاة، ويبلغ طول اشهر شوارعها وهو المارنوسطها ميلا واحدا.

وغالب سكانها كبقية سكان آذربيجان أتراك يتكلمون اللغة الآذرية ويليهم النساطرة أحفاد الآشوريون القدماء، وقد اتخذ معظمهم وطنه في كردستان الشمالية بالقرب من مركز رئيسهم الديني (مار شمعون) في منطقة هكاري. وهم كالأقباط في القصر المصري اتخذوا لغة جيرانهم الأقوياء أعني الاكراد، لغة التخاطب وجعلوا لغتهم لغة الادب والدين. وليست أوضاعهم السياسية هنا خيراً من أوضاع الأرمن إذ كلاهما مضطهد.

وصلت أورمية في عام (١٨٣١م) بعثات امريكية تبشيرية وبنت لها مؤسسات لخدمة النساطرة وقد زارها (واكنر) في بدء تأسيسها وكتب عن كرم اعضائها. وعندما زرنا هذه الارساليات شاهدنا من الكرم مايؤيد قول واكنر وبعد مبارحتنا المدينة بستة اسابيع اخذت الحكومة التركية تحرض بعض القبائل الكردية في الحدود وتحثهم على مهاجمة مدن أذربيجان الفارسية التي كانت تحميها الجيوش الروسية، فاضطرت بعثات اسقف (كانتر بري) أن تبرح أماكنها على الحدود لاختلال الأمن وتذهب الى إيران. وهذه البعثات طلبها النساطرة من رئيس سقفية كانتر بري في انكلترا لتأتي وتعيد كنيستهم الى مجدها فاجتمعت كلها في أورمية. وقد

كتب المستر (ماك جيلفري) رئيس الارسالية الانكليزية في مجلة الارسالية تفصيلا عن الغارة الكردية على أورمية وهذا نصه.

(بدأت المعارك الحقيقية في أول تشرين الأول سنة ١٩١٤م. وجاءت في ذلك اليوم قوات كبيرة من الاكراد الى (ترگەور) واخرجت منها القوزاق الحامية الروسية، واضرمت النار في القرى النسطورية ثم اخذت تقتل السكان وتنهب بيوتهم ففر القسم الاعظم منهم والتجأ الى اورمية. واخذت جموع الاكراد في العشرة الايام التي تلت هذه الحادثة تزحف نحو السهل وتهاجم كل ليلة، القرى القريبة وتنهبها وتحرقها وتتقدم تدريجيا نحو المدينة، والنساطرة يفرون امامهم فرار الغنم من الذئب فامتلات بهم دور الارساليات وكان لدينا منهم (٣٥٠) شخصا.

كنا نعتقد في بادئ الامر أن هذه الحملات غزوات كردية، غير أن الواقع اظهر خلاف ذلك فهي حملات حكومية منظمة قوامها القبائل الكردية وضباط الجيش التركي، وغايتها إخراج الروس واحتلال اورمية، والعوامل الدافعة اليها عوامل ألمانية بحتة. وقد اتفق مسلمو المدينة مع قوات الاكراد على مهاجمة الحي المسيحي ونهبه وذبح أهاليه حين احتلال المدينة. ولما كانت الحامية القوزاقية في المدينة قليلة العدد بتنا نعتقد عدم استطاعتها الوقوف امام المهاجمين. وقد اكد لنا القنصل الروسي قرب وصول امدادات للجيش غير أن شيئاً من ذلك لم يصل، فاضطر الروس ان يشكلوا قوات محاربة من النساطرة الملتجئين ويضيفوها الى القوزاق ليحولوا دون سقوط المدينة. وكذلك دفعوا الينا ستة بنادق لندافع بها عن انفسنا فأخذناها، مع العلم ان رجال الله لا يستطيعون مقاومة هذه الجحافل الجرارة. وفي يوم الاحد ١١ تشرين الاول، شرع الكرد يهبطون من الجبال وأخذ الروس يطلقون مدافعهم عليهم فاستطاعوا أن يوقفوا تقدمهم قليلا غير أنهم استأنفوا هجومهم ليلا على قرية (جارباش) التي تبعد ميلا عن

أسوار المدينة. وقد دام اطلاق الرصاص من الساعة العاشرة في الليل حتى الصباح فتراجع العدو تاركا عددا لا يستهان به من القتلى، وهذه كانت آخر المعارك في تلك الواقعة).

وبعد هذا الهجوم العنيف أمرت الارساليات الانكليزية بالعودة الى انكلترا وظلت الامريكية وحدها. وفي يوم ٢ كانون الثاني سنة ١٩١٥م. اخلى الروس المدينة ودخلتها القبائل الكردية والجيوش التركية فهاجموا الاحياء المسيحية واقترفوا انواع الفظائع واحرقوا من القرى التي حولها ما يقدر بمائة قرية وقتلوا من النساطرة ما استطاعوا قتله. وفي ٢ تموز، وردت رسالة من أورمية الى مجلة (النيرايست) تصف ما حدث في البلاد المحتلة هذا نصه:

(ذبح خمسون رجلا في قرية (گول باشان) كالغنم بعد أن ربطهم الجند كتفاً لكتف بمساعدة السكان المسلمين. وفي حادثة اخرى جئ بستة واربعين شخصاً من الإرسالية الفرنسية، وبعد أن وعدت السلطة التركية بنقلهم الى داخل الحدود التركية أخذوا الى خارج المدينة وقتلوا رميا بالرصاص في محل يبعد ميلين عنها بلا محاكمة. وقد استطاع احدهم أن ينجوا من القتل فروى لنا ما حدث وهذا هو بالحرف الواحد (ربطنا معا كتفا لكتف وسجدنا على الارض ننتظر دنو اجلنا فاطلق الجند الرصاص على كل واحد منا فسقطت مع من سقط مغميا علي ولما صحوت تلمست جسمي فوجدته سليما فانتظرت حيث انا حتى عاد الجند فنهضت فورا وذهبت للارسالية الامريكية والتجأت اليها).

ويقدر كاتب هذه الرسالة عدد الملتجئين في الارسالية الامريكية (١٨٠٠) (٢٠٠) منهم كانوا يرقدون خارج الغرف لامتلائها وكانت بينهم امرأة ظلت ثلاثة اشهر تجلس على مقعد خشبي ضيق وترقد عليه ولما سئلت عما إذا كانت تعبة اجابت (كلا، أنا مرتاحة إذ اجد موضعاً لرأسي).

وفي ابتداء المذابح ذهب احد اعضاء الارسالية الى زعيم الاكراد ورجاه أن ينقذ بعض المسيحيين، فترك له ألف قروي عاد بهم الى دور الارسالية. وقد حاول غيره أن يفعل كما فعل ولكنه ما كاد يصل الى خارج السور حتى القي القبض عليه. وأعيد للمدينة بعد أن ضرب ضربا مبرحا رغم أنه أظهر هويته.

وقد أصاب هؤلاء الملتجئين مرض معد وكثر عدد الموتى بينهم حتى بلغ (٤٠) شخصا في اليوم، فانهمك الامريكان في دفنهم بعد أن وجدوا مشقة الحصول على ترخيص للدفن من قواد الجيش. وبسبب ذلك اصيب المرسلون بالتيفوس ومات نصفهم، من نساء ورجال واطفال. وفي ٢٠ مايس سنة ١٩١٥م. انسحب الترك واعوانهم الكرد، وعاد من بقي من المسيحيين لبيوتهم الخربة بعد أن نقص عددهم بسبب المذابح والوباء والموت على الطريق، حين الهجرة الى القوقاس مع الجيش الروسي المنسحب في فصل الشتاء. اما مسيحيو المدينة فلم ينج منهم من الذبح الا اولئك الذين سمح بهم الزعيم الكردي ومن قدر على انقاذه الامريكان.

الفصل السابع عشر

ديلمان - آرارات

انكسفت الشمس في ٢١ آب سنة ١٩١٤. وعقب ذلك ببضعة ايام وصلت اللجنة بلدة ديلمان، وفي طريقنا اليها شاهدت حصن زعيم كردي يدعى اسماعيل آغا أو (سمكو) كما يحب الاكراد ان يدعوه به. والحصن فلتة من فلتات الطبيعة بالنظر الى موقعه فهو في واد وسط السهل عرضه (٣٠٠) يردا وعمقه (١٠٠) قدماً يجري داخله نهير لا يرى إلا إذا هبط الى شاطئه في وسطه صخرة كبيرة يحيط بها الماء من جميع اطرافها كالجزيرة، قمتها اوطأ بقليل من سطح السهل جعلتها الطبيعة حصنا قائما بذاته فاختارها (سمكو) حصناً له وابتنى عليها قصرا منذ بضع سنين زوده بالتلفون وابتنى القرويون بيوتهم حولها كما كانت تبني القرى حول قصور البارونات في القرون الوسطى.

وبعد أن غادرنا (ديلمان) تسلقنا الجبال ثانية وكان معدل ارتفاعها (٧٠٠٠) قدماً فوق سطح البحر واصبح بيننا وبين ارارات نحو (١٠٠) ميل ومع ذلك شاهدنا الثلوج تغطيه والسحب تحجب قممه، غير أنه من دواعي الأسف لم أصل الى هذا الجبل الأشم ولم أره الاّ من نافذة عربة القطار وكل ما بنيته من الامال على تسلقه ذهب أدراج ألرياح. وسبب ذلك أن جماعة من الاكراد هاجمونا ونحن في صيد الحجل على بعد ميلين من المخيم، فأطلقوا علينا الرصاص فأصبت ونجا رفاقي الاربعة، فتعطلت عن العمل وعدت الى (خوي) ومنها الى (جولفا) حيث تبدأ سكة حديد القوقاس

فركبت القطار الى تفليس فباطوم على البحر الاسود. ومن ثم نقلتنا باخرة روسية الى الاستانة ولم أتمكن لسوء الحظ أن اجتاز الدردنيل لان الترك اغلقوا منافذه، مع أن الحرب لم تكن قد بدأت بين تركيا والحلفاء، فركبت القطار الى (دده اغاج) الميناء البلغاري حيث نقلتني باخرة بريطانية الى الوطن فوصلته في تشرين الثاني بعد غياب سنة كاملة. وبعد ثلاثة اسابيع من مهاجمة رفاقنا نقص عدد اللجنة البريطانية الى اثنين ورغم ذلك اتمت اللجنة عملها، إذ وصلت آرارات حيث تلتقي الحدود الروسية والايرانية والتركية وبعد انهاء العمل عاد الضابطان البريطانيان الى انكلترا بطريق (اركانجل) الميناء الروسي الشمالي.

وقعة أرمية لشاهد عيان

بعد تعريبي هذا الفصل اجتمعت في عمان برشيد بك الجركسي احد افراد القائمة السوداء الذين حكمت عليهم حكومة انقرة أحكاما مختلفة فقصصت عليه حوادث اورمية، فأعلمني أنه هو قائد تلك الحملة وأن ما جاء في هذا التقرير ناقص فرجوته ان يسد هذا النقص فتلطف وذكر ما يلي:

أناطت بي الحكومة العثمانية في بدء الحرب العامة، أمر مشاغلة الروس في جهات أورمية وسلماس واخراجهم منهما، وكان اخي أدهم بگ عونا لي ولم يكن معنا سوى (٢٠٠) جندي نظامي من الجراكسة ولهذا جعلت كل اعتمادي على أمراء الاكراد في الحدود، فاتفقت معهم على مناهضة الروس وبذلك اصبح الجيش النظامي مؤلفا من العشائر الكردية. وبعد انقضاء ما يقرب من أربعة أشهر على هذا الاتفاق أخلى الروس الاماكن المار ذكرها، واحتلتها العشائر الكردية في (٢ كانون الثاني سنة ١٩١٥م).

حاولت هذه العشائر أن تنهب البلاد التي احتلتها، غير أننا وأمراء الكرد

تمكنا أن نحول دون ذلك بالقوة، بعد أن وقفنا امامها موقف المقاتل من الصباح الى الظهر فسقط من جراء ذلك (٤٣) شخصاً بين قتيل وجريح من الاكراد. وبعد ذلك جاءت الوحدات النظامية العثمانية الى بلدة (خوي) واحتلت المراكز التي بيد العشائر فتعقبت هذه الروس المنسحبين وقامت الوحدات التركية باعمال النهب والسلب بدل أن تحافظ على الامن وترجع الى النفوس الطمأنينة والراحة. فأصاب سكان البلاد المحتلة من جراء ذلك بلاء عظيم.

أما الجهات المعروفة بالنواحي الشرقية التي احتلتها الجيوش العثمانية كصاوجبولاق، واوشنو، وتركه‌وەر، ومركه‌وەر، وصوماي، وجهري، وقوطور التابعة لمراكز اورمية، وسلماس، وخوي، فقد احتلها الروس وخرجت منها القوات العثمانية منهزمة لا تلوى على عنان لأن السكان كرهوا إدارة العثمانيين الذين اشتطوا في ظلمهم. وقد تعرض اكراد النواحي الشرقية هذه لهجمات الروس بسبب تمسكهم بصداقة العثمانيين، فهاجر قسم ووقف قسم آخر في وجه الروس ودافع عن وطنه دفاعا مجيدا استشهد بعضهم في ساحة الوغى وتوفي البعض في طريق الهجرة. وأشهر من استشهد، هم الامراء الاتية أسماؤهم:

شكاك اسماعيل، وتيمور جانقو، وقرداش صوفي، ومختاريگ التركه وه ري، وسعيدبگ المركه و ه ي، ومن السادات الذين قاموا بخدمات مشرفة، السيد محمد ابن المرحوم السيد عبد القادر عضو مجلس الاعيان المصلوب في ديار بكر بتهمة اشتراكه في ثورة المرحوم الشيخ سعيد سنة ١٩٢٥م ورغم ما قام به هذا السيد من الخدمات الجلى للدولة العثمانية في هذه المعارك فقد استاقه الكماليون هو وأباه من حي بوستانجي في الآستانة الى ديار بكر حيث اعدم بها.

والخلاصة: أن الحملة الاولى التي اشتركت فيها، بذلت الجهد لنحفظ

الامن، ونمنع النهب والسلب والتعديات على المؤسسات الامريكية الى أن جاءت الجنود النظامية التركية. وما حصل في عهدهم فتبعته ليست علينا والسلام).

آرارات

لم يستطع المستر (هبارد) أن يصل آرارات كما مر ذكره، ولذلك لم يبحث عنه في كتابه وبالنظر لما لهذا الجبل من الاهمية الجغرافية والعسكرية، ولا سيما في تاريخ الثورات الكردية على الحكومة التركية، أرى أن من الواجب ذكر كلمة عنه مستعينا بكتاب (ما وراء القوقاس وآرارات) للمستر برايس، الذي حاول ارتقاءه والوصول الى قمته.

ان الجبال العالية التي تفصل بين إيران وروسيا وتركيا وتشكل حدودا طبيعية بينها يعرفها الاكراد و الاتراك باسم (آگري) ومعنى الكلمة بالكردية جبل النار، والأرمن باسم (ماسيس) وعلماء الجغرافية باسم (آرارات). وقد انتشر هذا الاسم الجغرافي أخيرا بين الارمن لاعتقادهم أن سفينة نوح استوت عليه.

تنقسم هذه الجبال الى قسمين (١) آرارات الكبرى (٢) آرارات الصغرى ويبلغ طولها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي (٢٥) ميلا وعرضها نصف ذلك. وتأخذ هذه السلسة بالارتفاع من سهل الاراس في الشمال والشرق ويتراوح ارتفاعها بين (٢٥٠٠ – ٢٨٠٠) قدما عن سطح البحر، والمياه التي تسيح منها تصب في نهر الاراس – الرس. وتنفصل هذه السلسلة عن جبال كردستان من جميع جهاتها، خلا الجهة الشمالية الغربية حيث تربطها بالجبال البركانية بامبالا وسيناك ويارلي، هضبة ترتفع (٧٠٠٠) قدما عن سطح البحر ثم تمتد من هذه.

الهضبة الى حوضي الاراس ومراد (الفرات الشرقي) وتنعطف الى جنوب

أرضروم فتتصل بجبل هزاركول (بينكول). وتبتعد عن آرارات بمقدار (٤٠) ميلا في الشمال جبال (الا كوز) البركانية التي ترتفع (١٣٤٣٦) قدما عن سطح البحر وفي الشرق يفصله نجد قره باغ وتصل بعض جباله البركانية الى علو (١١٠٠٠) قدماً عن سطح البحر وفي الجنوب يفصله عن جبال كردستان الاخرى حوض الفرات الاعلى وسهل بايزيد. وهذه الجبال تمتد جنوبيا نحو بحيرة (وان) وشرقا نحو بحيرة (أورمية) ولا تقل ارتفاعا عن جبال قره باغ. وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر جبال آرارات منفصلة بمجرد النظر اليها ولكنها من الناحية الجيولوجية متصلة بجميع الجبال الآنف ذكرها.

وصف جبلي آرارات – للجبلين شكل بيضوي تظل القاعدة فيه متساوية الى ارتفاع (٨٨٠٠) قدما، ثم تأخذ بالانفراج وتصبح المسافة بين قمتي الجبلين سبعة اميال أعلاهما آرارات الكبير، ويبلغ ارتفاعه (٥١٥٧) متراً فوق سطح البحر ويليه آرارات الصغير ويبلغ ارتفاعه (٣٩١٤) متراً فوق سطح البحر والجبلان متشابهان في تركيبهما الجيولوجي ومختلفان بالشكل، فأرارات الصغير يشبه مخروطا جميلا، والكبير قبة تنبسط في اعلاها. واعظم طول لها يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي والجهة الشمالية الشرقية لأرارات الكبير تنخفض انخفاضا فجائيا نحو سهل الاراس وتكون فيها منحدرات جميلة سوداء تكسو قممها الثلوج على عكس الجهة الجنوبية الغربية، حيث الانحدار خفيف. وفي الجهة الجنوبية الشرقية التي تواجه فيها القمة آرارات الصغير، ينخفض الانحدار انخفاضاً سحيقاً على عكس الجهة الشمالية الغربية، حيث يتدرج ويمتد الى أن ينتهي بسهل الاراكس (الاراس – الرس)، والثلوج تكسو هذه الناحية اكثر من غيرها بسبب ميلانها الخفيف. أما النباتات فلا ترى بعد أن يتجاوز الجبل في ارتفاعه (١٠٠٠٠) قدما. وفي الوقت الذي يكون خط الثلج في جبال

الالب يتراوح بين (٨٥٠٠-٩٠٠٠) قدما، وفي جبال القوقاس الجنوبية الغربية (١٠٠٠٠) قدماً وفي القوقاس الشمالية (١٢٠٠٠) قدماً، يكون في ارارات (١٤٠٠٠) قدماً ومعدل سقوط الامطار في النجاد التي حول آرارات قليل، فيبلغ في (اراليخ - آرالق) (٦،٠٨) بوصات وفي (الكسندر بول) وتبعد عنه (٩٠) ميلا في الشمال، (١٤،٦٨) بوصة. وفي فصلي الصيف والخريف ترتفع الحرارة في هذه السهول فيسخن الهواء في النهار فيخف ويرتفع الى أن يقترب من القمة، فيتكاثف لشدة البرد ويتحول الى سحب يراها الناظر عن بعد. وفي الليل تتلاشى وتظهر القمة جلية في ضوء القمر. وذوبان الثلج دائمي والمياه المذابة تخترق الصخور الطباشيرية وتكون سيولا تمر في غالب الاحيان داخل الصخور بدليل ما يسمع لها من خرير عند دنوها من السفوح، وقل أن تظهر فوق الارض، إذ تغور في الاتربة البركانية. وقد شوهد بعض السيول على ارتفاع (١٣٠٠٠) قدما.

ويوسعنا أن نقسم آرارات من الوجهة النباتية الى ثلاثة اقسام، القسم الاول وارتفاعه دون الـ(٥٠٠٠) قدما وهو خال من الزراعة ولا يقطنه احد، ويمتد من الجهة الشمالية الشرقية نحو وادي الاراس. والقسم الثاني وارتفاعه من (٥٠٠٠ - ١٢٠٠٠) قدما فوق سطح البحر وهو الاوسط، أعشابه كثيرة وتقطنه العشائر الكردية التي تأتيه في الصيف للمرعى، ثم تعود الى قراها في الأودية عند مجئ فصل الشتاء. والقسم الثالث وارتفاعه (١٢٠٠٠- ١٧٠٠٠) قدما أجرد كالقسم الاول خال لا يسكنه أحد.

وتقع أشهر مصائف العشائر الكردية في القسم الاوسط في النجد المحصور بين جبلي آرارات على ارتفاع (٧٠٠٠ - ٨٠٠٠) وفي نجد كب كول (بحيرة كب) وتقدر مساحتها (١٥٠٠) مترا مربعا. ومياهها عذبة تتجمع من الثلوج المذابة وتكثر حولها المراعي الغنية. والنجد الاول مسكن

دائمي للقبائل وفيه بئر يعرف بـ(سردار بولاخي). وبئر السردار هذا يقع في واد على شكل نصف دائرة يبلغ ارتفاعه (٧٥١٤) قدما فوق سطح البحر. والناظر من هذا النجد، يرى آرارات الصغير وهو يرتفع على شكل هرم جوانبه سحيقة ترتفع (٥٠٠٠) قدما فوق سطح البحر وتكثر عليها الاعشاب، والعين لا تمل النظر اليه لجماله الطبيعي والسهل الذي يتصل بجبل آرارات يكون الحدود الفاصلة بين روسيا وتركيا (في عهد برايس) ويقع في ناحيته الجنوبية الغربية، ممر بايزيد. وفي عام ١٨٧٧م احتل الروس حصن بايزيد وقد جاؤوا اليه من الشرق من طريق ملتو لتعذر المرور من ممر بايزيد والممرات الاخرى غربي آرارات الكبير، لكثرة ما هطل عليها من الثلج في شهر مايس. والحامية الروسية التي بقيت في بايزيد احاطت بها القوات التركية وكانت كلها من الاكراد فذبحت القسم الاعظم منها وما بقي انقذه الجنرال تركوكاسوف.

وعلى بعد خمسة اميال من النجد المذكور يفصل ارارات الصغير بين أملاك إيران وتركيا في الشرق. ويعتبر هذا الموقع بسبب حصانته ووفره مياهه وكثرة أعشابه من أنسب المواقع للحركات الثورية. فاذا ما هوجمت العصابات وأحرج مركزها في ارض دولة من الدول الثلاث المتجاورة تلتجئ الى احدى الدولتين الأخريين. وفي عام ١٨٣٨م اتخذت العصابات الكردية نجد السردار مركزا لحركاتها وذلك عندما كان آرارات ضمن املاك الدولة الايرانية.

وبالقرب من سفح آرارات الصغير توجد غابة من شجر البتولا، وهي الغابة الوحيدة في الجبل وبجوارها قرية كردية ترجع اليها القبائل سكان هذا الجبل عند اشتداد البرد. ويوجد الماء خلا بئر السردار في اركوري على بعد اربع ساعات من البئر المذكور، ولما ارتقى المستر برايس الجبل ووصل نجد السردار مكث مدة يشاهد رعاة الاكراد يسقون مواشيهم من البئر فكتب

بالحرف الواحد ما يأتي.

شاهدت عند وصولي هذا النجد اكرادا يستاقون قطعانهم نحو البئر وقد اجتازوا الاراضي الايرانية. ودخلوا آرارات الصغير طلباً للماء والمرعى. ولما كان البئر منخفضا لا تستطيع الاغنام أن تشرب منه مباشرة تراكض فتيان الاكراد وفتيانهم بأطباق كبيرة نحو البئر وأخذوا يملأونها والاغنام تشبه اغنام مرتفعات اسكوتلانده منها البيضاء والسوداء والرمادية. فالبيضاء ذات شعر طويل ناعم وقد استمر الصبية ساعتين في عملية السقي. والغريب اننا عندما أخذنا نساعدهم لم يكترثوا بنا، حتى لم ينظروا الينا ولست ادري أكان ذلك عدم اكتراث منهم أم ان عملية الاسقاء شغلتهم عنا).

وكان الجميع من نساء ورجال وفتيان وفتيات مفتولي العضل أشداء أصحاء الجسم ذوي قامات ممشوقة. وللفتيان والفتيات جمال فتان ووجوه موردة. ويرتدي الرجال معاطف صوفية مخططة تصل الى الركب، وسراويل تصل الى ما تحت الركب وبين نهايتها والقدم لفائف يشدها قيطان الصندل، وكلهم مدجج بانواع الاسلحة وقل ان يخلو أحدهم من السيف والخنجر والبندقية والمسدس، ويضعون على رؤسهم قلنسوة صوفية عليها عمامة من الحرير أو الصوف المخطط البديع. أما النساء فيضعن على رأسهن طاقية من اطلس جميل ويجعلون في انوفهن وآذانهن مخازم وأقراطاً من الأحجار الكريمة الثمينة وفي اعناقهن عقود محلاة بأحجار كريمة ملونة، وتكون عند الموسرات ذهبية وعند المتوسطات فضية والفقيرات خرزية. ويرتدي الجميع سراويل تصل الى الكعبين وفسطانا فوقه تنورة (صديري) صغيرة مكشكشة ولا يستعملن الحجاب قط ولا يعرفن الجبن ولا الحياء المصطنع. وبعد الاسقاء عاد الجميع الى اعمالهم واخذت النساء تغزل الصوف بمغازل يدوية وهن سائرات.

وجبال آرارات لا يسكنها أحد، سوى الاكراد أذا استثنينا جماعات التتر القليلة في اركوري على سفح هذه الجبال. ويتخذ الاكراد الصخور الكبيرة التي كان يقذفها بركان آرارات قديما، والمغاور ملاجئ لعصاباتهم، فيقاومون منها الجيوش النظامية. وأشهر حيوانات آرارات البقر الوحشي (المها) والماعز البري وتعيش في المرتفعات، والثعالب والذئاب وعناق الارض. وفي مستنقعات الاراس تكثر الخنازير البرية.

تاريخ الحدود التركية - الايرانية

من القرن السادس عشر الى عام ١٩١٤م

ان الحدود الايرانية التركية البالغ طولها الحقيقي ١١٨٠ ميلا هي سلسلة جبال (زاگروس) الممتدة من (آرارات) شمالاً والمنتهية في (عربستان – خوزستان) الفارسية جنوباً. وإذا استثنينا هذه المقاطعة الصغيرة المأهولة بقبائل عربية سامية، فهذه الجبال كلها وطن الاكراد الآريين.

ظلت هذه الحدود الصعبة المرور في الصيف، والمغلقة في الشتاء، حاجزاً طبيعياً تفصل هضبة ايران عن سهول ما بين النهرين. وهي من هذه الناحية تشبه جبال الألب والبيرنيز في اوروبا، وهمالايا في آسيا أعني انها بقيت حدا طبيعيا فاصلا منذ أقدم العصور التاريخية. ففي زمن الآشوريون كانت تفصل بين هذه الامبراطورية وميديا، كما تفصل اليوم بين إيران وتركيا.

وفي القرن السادس عشر أخذ كل من الترك والفرس يوسع حدود مملكته في هذه الناحية. فالترك بعد أن وصلت فتوحاتهم ابواب فينا انصرفوا الى الشرق وكذلك نشط الفرس بعد الغزوة المغولية لاسترداد كيانهم السياسي فاحتكوا بالترك، بعد أن انضمت اليهم كردستان الشمالية واستولوا على بغداد عام ١٥٣٤م. وبهذا التاريخ يبدأ النزاع على الحدود الايرانية التركية.

ولما ظهر الشاه عباس استرجع معظم المقاطعات الشمالية واسترد بغداد وجعل الحدود بينه وبين الترك دجلة. غير أن هذا الوضع لم يستقر على حال حيث ظهر من العثمانيين السلطان مراد الرابع فاسترد بغداد من الفرس في سنة ١٦٣٩م، وعقد معهم اتفاقية بشأن الحدود، وقبل الطرفان حدوداً لا تختلف عن الحدود الحالية. وبعد مرور (٢٠٠) سنة على هذه الاتفاقية تنازع الترك والفرس على الحدود، فتدخلت إنكلترا وروسيا لحل النزاع. وسبب الخلاف يعزى الى فقدان صورة الاتفاقية المنعقدة في عهد السلطان مراد الرابع في كل من طهران والآستانة، على أثر ظهور ثورة في الاولى وحريق في الثانية، وفي عام ٢٤٨١م حدثت مناقشات شديدة بشأن الحدود كادت أن تشتبك بسببها الدولتان، والعوامل الرئيسية المؤدية الى ذلك هي:

(١) ادعاء الفرس أن أمير السليمانية الكردي تعدى على اراضي حاكم أردلان (كردستان الفارسية). (٢) ادعاء الترك بملكية سهل زوهاب الخصيب الخاضع لهم بموجب معاهدة (١٦٣٩م). (٣) مهاجمة علي رضا باشا والي بغداد على المحمرة.

وتنحصر اسباب مداخلة روسيا وإنكلترا في تسوية الخلاف فيما يلي:

(١) رغبة روسيا في المحافظة على مقاطعتي جورجيا – كرجستان، وأرمينية وكانت قد ضمتهما حديثا لاملاكها. وهذا يتطلب انتشار السلام والسكينة بين الدولتين الشرقيتين (٢) رغبة بريطانية في هذا السلام ايضاً لأن مصالحها في الخليج الفارسي كثيرة، فضلا عن انها لا تود أن ترى البلاد التي تجاور الهند في حالة غير مستقرة، قد تساعد على انتشار الثورة وظهور الاضطرابات على الحدود.

وقد وفق السفير البريطاني في الآستانة السير (سترافورد كانينج) إذ ذاك الى اقناع الباب العالي باستبدال السيف بالقلم وحل المسائل حلا سلميا،

فقبلت إيران هذا الاقتراح فتألفت لجنة على الفور في ارضروم لتبحث قضية الحدود، كان من اعضائها الانكليز الكولونيل ويليامز المدافع الشهير عن قارص في حرب القريم، والماجور فرانت، والنبيل روبرت كرزون. واستمرت هذه اللجنة في أرضروم اربعة اعوام تبحث الوثائق والمستندات وتستشهد بحاكم زوهاب وشيخ المحمرة. وفي عام ١٨٤٧م، ختمت أعمالها بعقد معاهدة أرضروم، وفيها سويت جميع المسائل المختلف عليها وعينت لجنة لتخطيط الحدود. وفي عام ١٨٤٨م، اجتمعت لجنة تخطيط الحدود الجديدة في بغداد، وقد كان يمثل حكومة بريطانيا فيها الكولونيل ويليامز فقط. ومن هناك تقدمت للجنوب وشرعت في مهمتها، بادئة من اقصى الحدود الجنوبية. وقد اصطحب اعضاء كل دولة للحراسة، كتيبتين من المشاة وكتيبة من الفرسان ومدفعين. وذلك مما يؤيد اضطراب الحالة على الحدود وتقلص نفوذ الدولتين التركية والفارسية في البلاد الكردية. استمرت اعمال اللجنة من عام (١٨٤٨– ١٨٥٢م) دون أن تنتج شيئا يذكر. اذ دب الفساد بين الاعضاء بسبب حماس درويش بگ التركي الذي كان ينصرف بذاته لنصب الاعمدة في الاماكن التي تناسبه دون أن يعير المهندسين أذنا صاغية أو يعمل بما يرتأون. وقد حاول اللورد بالمرستون، ووزير خارجية روسيا أن يقنعا السلطتين المذكورتين بقبول حدود معينة فلم يفلحا. وتفصيل هذه الحوادث موجود في مذكرات الجنرال (جيريكوف) والمستر (ك. لوفتس) العالم الأثري أما تقرير الكولونيل (ويليامز) فقد سقط لسوء الحظ في نهر التايمز وفقد. ولم تستمر اللجنة بعد سنة ١٨٥٢ في أعمالها بسبب نشوب حرب القريم.

وبعد انتهاء الحرب المذكورة أعيد النظر في قضية الحدود وقد اقتضى ذلك عمل خارطة مفصلة عن الحدود. وانتدب لهذا الغرض القومندار (كلاسكوت ر.ن) وأرسل الى بتر واغراد، ليشترك مع المهندس الروسي فعمل

كل على حدة ولما أنجزوا أعمالهم قابلوا الخرائط لاول مرة فوجدوا ثمانية من سبع عشرة نسخة وهي الخارطة الكاملة، تحتوي على (٤٠٠) اسما متناقضا فوحدوا أعمالهم وعملوا ثانية وأصدروا نسخة مكبرة بمقياس بوصة لكل ميل سنة (١٨٦٩م) اي بعد عشرين سنة من الاجتماع الاول. ويـذلك أصبـح مـيسوراً عـلـى لجان الـدولـتين أن تجتـمـع عـلـى ضوء هـذه الخارطة. ورغم ذلك لم تصل الحكومتان الى نتيجة حاسمة مع انهما تناقشا خمسة اعوام ويعزى السبب الى (١) اضطراب الحالة في مناطق الحدود (٢) اختلاف الدولتين على نصب اعمدة التلغراف على طريق بغداد – كرمانشاه في المنطقة المختلف عليها أعني (زوهـاب) فتركيا تريد من إيران أن تجعل الاعمدة من حديد كما هي الحال في تركيا. وقد أدى هذا الخلاف الى تدخل روسيا وبريطانيا فانتدبت هذه الجنرال السير (أرنولد كمبل). وفي سنة ١٨٧٧م. عندما أوشكت هذه القضية أن تحل اشتبكت تركيا بحرب مع الصرب ثم مع الروس وانتهت بعقد معاهدة برلين وبعد ذلك استؤنف البحث في قضية الحدود وذهبت لجنة مختلطة كان من أعضائها السير أرنولد كمبل الى منطقة (قوطور) الكردية الواقعة بالقرب من الحدود الروسية، فلم تنجح في مهمتها وفي عام ١٩١٤م عندما أنجز تخطيط الحدود كلها تركت هذه المنطقة دون حل. وقد بلغ مجموع ما أنفقته الحكومة البريطانية لغاية عام ١٨٨٥م على الحدود التركية – الايرانية مائة الف جنيه لقاء بضع خرائط يبلغ طولها (٢٠) يردا. ومع كل ذلك لم يرض الطرفان عن النتيجة كل الرضاء وبعد تسوية الخلاف على هذه الصورة لم يحدث شئ جدير بالذكر سوى ظهور بعض الغزوات الكردية على الحدود. وفي عام ١٩٠٦م سادت الفوضى بلاد ايران واغتنمت تركيا الفرصة فأرسلت جيوشها الى الحدود فاجتازتها ودخلت (٣٠) ميلا شرقي الحدود المعترف بها، ووصلت الى مقاطعتي آذربيجان، وأردلان وتوالت هذه الغزوات بضع سنين. وعلى أثر ذلك اتفقت كل من بريطانيا وروسيا

على اقتسام ايران الى مناطق نفوذ، فجعلت ايران الشمالية ضمن دائرة النفوذ الروسي والجنوبية ضمن دائرة النفوذ البريطاني، فأصبح لهما الحق أن تحولا دون ظهور حركة معادية في دوائر نفوذهما وعلى ذلك اشتبكت الحامية الروسية مع القوات التركية في آذربيجان.

وبعد هذا الانقسام أخذت الحالة في ايران تسير من سئ الى أسوأ حتى سنة ١٩١٣م. حيث حدثت أمور مؤسفة أوجبت اجتماع لجنة تركية – ايرانية في الآستانة لم ينتج فائدة محسوسة. فتدخلت روسيا وبريطانيا بما لهما من نفوذ ومصالح في المناطق القريبة من حدود الدولتين. وفي ٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٣م وافق سفراء بريطانيا وروسيا ووزير تركيا الاعظم على قبول الحدود الاصلية ووقعوا اتفاقية بهذا الشأن. بيد أنهم ما لبثوا أن اختلفوا على نسخ الخرائط القديمة بسبب فقدانها، فالنسخة التركية إختلسها عزت باشا العابد سكرتير السلطان عبد الحميد المشهور لاسباب يعرفها هو وسيده، ولم يعلم عن بقية النسخ شئ واخيرا عثر على نسخة في اسطوانة مهجورة في زاوية السفارة البريطانية في طهران أكلها الصدأ وأصبح من المنتظر أن تحل القضية، غير أن الترك إدعوا بوجود نهر يفصل بينهم وبين ايران لم يأت ذكره في الخارطة ولا يعرفه السكان. ولما وجد بقية الاعضاء، ما تخلقه تركيا من العراقيل إقترحوا جميعا لجنة تحدد المناطق المجهولة وتخطط الحدود باسرها وتضع اعمدة ثابتة في المواقع المهمة. وفي هذه اللجنة الجديدة اشتركت بريطانيا وروسيا كحكم يرجع اليهما عند الاختلاف فاستطاعت هذه اللجنة أن تنهي أعمالها في سنة واحدة بدأ في سنة ١٩١٣م وانتهت في سنة ١٩١٤م في حين أن لجنة سنة ١٨٤٨ إستمرت ثلاث سنين ورؤساء اللجان الاربع الاخيرة وهم: المستر أي. سي راتيسلو رئيس اللجنة البريطانية، والمسيوف مينو رسكي رئيس اللجنة الروسية والماجور عزيز بگ رئيس اللجنة التركية واعتلاء الملك

رئيس اللجنة الايرانية.

مميزات هذه الحدود– ان الحدود الدولية إما أن تكون جغرافية أو قومية أو دينية أو صناعية. ففي هذه الحدود طبقت اللجنة جميع هذه النقاط فاعتبرت العامل الجغرافي، العامل الاول إذ جعلت سلسلة الجبال العظيمة التي تمتد بين الدولتين حدا فاصلا، والعامل القومي، العامل الثاني، ففصلت العرب الساميين عن الأكراد الآريين في الجنوب، والعامل الديني، العامل الثالث، ففصلت بين السنة والشيعة، والعامل الصناعي، العامل الأخير فطبقت خطوط العرض والطول الوهمية. وفي تخطيط هذه الحدود نظرت اللجنة الى اعتبارات جمة. ففي الجنوب اعتبرت الانهار وفي الجبال مقالب المياه (خطوط تقاسيم المياه). ولما كانت هذه الجبال منابع للنفط وذات مواقع عسكرية حصينة، فقد لاقت اللجنة عراقيل كثيرة في إرضاء الدولتين.

الفصل الثامن عشر

الاكراد - بلادهم - تاريخهم - صفاتهم - عاداتهم - تقاليدهم

كردستان (بلاد الكرد) – هي البلاد التي يحدها من الشمال القفقاس وبلاد اللاز (لواء لازستان) وفي الجنوب الشرقي والجنوب، خط يمتد من خوزستان في إيران، فجبل حمرين في العراق العربي، فجنوب جبل سنجار في بادية الشام فكرداغ، حتى حدود الاسكندرونة، ومن الغرب ولايات أطنة وسيواس بالأناضول، ومن الشرق بلاد إيران أي خط يبدأ من خوزستان ويجتاز العراق العجمي وهمدان وزنجان وتبرين، وينتهي بملتقى نهري الرس (اراكس) والكر في القفقاس الجنوبي.

والبلاد الكردية الواقعة ضمن هذه الحدود تنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية واقعة في بلاد اربع من الدول. يستثني من ذلك الاكراد الذين يعيشون على شكل جماعات كبيرة خارج كردستان. وهذه الاقسام هي:

(١) كردستان الشمالية – وتشمل ولايات خربوت (معمورة العزيز) وديار بكر ووان وبتليس وارضروم وجزءاً من ولاية سيواس والمناطق الجبلية في ولايتي القارص واردهان وقره باغ أو اليزابتبول في القفقاس الجنوبي (٢) كردستان الشرقية – وتشمل آذربيجان الغربية وأردلان (كردستان الفارسية) ولورستان الكبرى والصغرى في إيران (٣) كردستان الجنوبية – وتشمل ولاية الموصل أو ألوية العراق الشمالية ويدخل فيها جزء من لواء ديالى التابع الى بغداد وكذلك مدينتا (بدره) و (مندلي) في

اراضي العراق الحالية.

أن هذه الاقسام سياسية محضة إذ لا توجد حواجز طبيعية أو اجتماعية تفرق بينها، فهي بلاد واحدة بسكانها وعاداتها وتاريخها. وكما تقسم باعتبار الجهات الجغرافية الى ثلاثة اقسام، تقسم كذلك باعتبار اللهجة الى ثلاثة اقسام رئيسية:

(١) البلاد التي تسودها اللهجة الكرمانجية – وهي كردستان الشمالية واذربيجان الغربية ولواء الموصل الذي يحده في الجنوب الزاب الكبير. (٢) البلاد التي تسودها اللهجة الكورانية والبابانية وهي الوية السليمانية واربيل وكركوك وديالى في كردستان الجنوبية وأردلان وكرمانشاه في كردستان الشرقية. (٣) البلاد التي تسودها اللهجة اللورية والبختيارية – وهي لورستان الكبرى (بلاد الفيلي) ولورستان الصغرى (بلاد البختياري).

العشائر الكردية النائية عن وطنها – تقطن عدة قبائل كردية في خراسان وبلوجستان وشيراز وكرمان والمناطق الجبلية في جنوب بحر قزوين وفي قلب الاناضول. وسيأتي الكلام عنها عند البحث عن كردستان الشمالية والشرقية. اما الاكراد في بلاد الشام فسأبحث عنهم بعد انهاء البحث الجغرافي.

مميزات كردستان – كردستان بلاد داخلية وقطر جبلي ترتفع جباله كلما امتدت الى الشمال والشرق وتنخفض كلما تقدمت نحو الجنوب والجنوب الغربي حيث تصبح هضابا يزول ارتفاعها نهائيا عندما تلتقي ببادية الشام. والجبال الشمالية مكسوة بالغابات الكثيفة ومحاطة بأودية خصبة آهلة بالسكان وحافلة بالقرى والمدن. والجبال الشرقية ولا سيما التي على حدود ايران وتركيا جرداء تتكون من صخور صلدة بركانية ذات اخاديد وهوات سحيقة تجعل اقتحام هذه الجبال متعذرا على أشد الجيوش

بأساً وإقداما. (مقدمة شرفنامة). ولكنها بعد أن تجتاز الحدود وتدخل كردستان الشرقية تظهر غابات البلوط والسنديان وتنتشر جنوبا الى قرب شيراز واصفهان وتكثر المراعي لدرجة كبيرة جعلت السكان تعنى عناية خاصة بتربية الاغنام (الفرس وفارس للورد كرزون). وبانتهاء حدود الاكراد الطبيعية في الشرق تنخفض الاراضي كما في الحدود الجنوبية.

ولما كانت هذه البلاد جبلية كثيرة الغابات فان الثلوج تغطيها طيلة فصل الشتاء وتدوم في بعض جهاتها طول السنة، فهي بسبب ذلك منبع معظم انهار الشرق الادنى والاوسط فدجلة والفرات وروافدهما والرس تنبع من الجبال الشمالية وقيزيل أو زان (سفيد رود) والسيروان (ديالى) والوند والكرخة وآب ديز (القارون) تنبع في الجبال الشرقية وجميعها تصب في خليج فارس إلا الاراس وقيزيل أوزان، يصبان في بحر قزوين. ومن مميزات هذه الجبال ايضاً وفرة المعادن والبترول والاغنام والمرمر، وحصانة المراكز الحربية وصلابة المخلوقات الحية التي تقطنها، فالخيل والبغال والاغنام والكلاب وغيرها اشتهرت بصلابتها وضخامتها أما سيدها فقد اشتهر باقدامه وجرأته وتحمله الشديد للمشاق، واستنكار الذل ونزوعه دوماً الى الاستقلال والحرية.

اكراد سوريا

ولما لم أتمكن من زيارة جميع المناطق التي يسكنها الاكراد في سوريا ولم يقع بيدي من المصادر التي تسوغ لي البحث المستفيض في هذا الموضوع، رأيت أن أقتصر في الوقت الحاضر على نبذة موجزة مستندا في كتابتها الى زيارتي لقضاء جرابلس سنة ١٩٣٤م والى ما كتبه الاستاذ وصفي زكريا في كتابه (جولة أثرية في بعض الانحاء الشامية سنة ١٩٣٤م) والى ما وصلني من الاستاذ عبد القادر عزيز الديريكي جوابا

على بعض أسئلة وجهتها اليه بشأن لواء الجزيرة.

يذكر الاستاذ وصفي زكريا في كتابه ص ١٣٣ (والاكراد يكثر وجودهم في شمالي بلاد الشام على مقربة من الحدود التركية الحالية كالذين في شمالي نهر عفرين في الجبل المسمى جبل الكرد (كرداغ) والذين في حرة اللجة شمالي العمق وفي اقضية اعزاز والباب وجرابلس والاقضية التي في الشمال الشرقي من لواء الجزيرة الفراتية: وكل هؤلاء اكراد اقحاح لم تتصل اليهم العربية في شئ أما في بلاد الشام المتوسطة فعددهم قليل وليس لهم بقعة يؤلفون فيها كتلة مجتمعة الا في جبل الاكراد بين جسر الشغور واللاذقية، وفي حي الاكراد من صالحية الشام وفي قرى الوعر. ومجئ الاكراد الى بلاد الشام المتوسطة قديم وربما كان اول من اتى بهم عامل حمص، شبل الدولة نصر بن مرادس، سنة ٤٢٤هـ واسكنهم في حصن الصفح ليحفظوه ويصونوا الطريق بين حمص وطرابلس فسمي الحصن منذ ذلك الحين (حصن الاكراد) وقد بقوا فيه نحو قرن ونيف الى أن جاء (طانكرد) امير انطاكية واستخلصه منهم سنة ٥٣٠هـ فتشتتوا. ثم كثر توافدهم في عهد الدولتين النورية والصلاحية لخوض غمار الحروب الصليبية. (خطط الشام). ولعل كل من ادى واجبه من هؤلاء كان يعود ادراجه، اما من تخلف فقد استعرب وذاب في البيئة الشامية. ولم يحتفظ بصلته بماضيه الكردي الا الذين وفدوا في العصور الاخيرة منهم كسكان جبل الاكراد الآنف الذكر وحي الاكراد في صالحية دمشق).

واكراد شمالي سوريا قضت الظروف السياسية أخيراً بإلحاق بلادهم ببلاد الشام. أما إتصالهم ببلاد الشام التي على حدود بلادهم فقديم جدا. وأقدم ذكر لهم في سوريا يرجع الى سنة ٣١٧م. إذ يذكر الاستاذ وصفي زكريا (أن أنتيغونس احد خلفاء الاسكندر المقدوني في مقدونيا وآسيا الصغرى، عندما بنى مدينة أنتيغونيا بين نهر العاصي ومخرج بحيرة

انطاكية في هذا التاريخ أسكن فيها قوما من الاكراد هم بقية جيوش الآشوريون الذين ظلوا في هذه البقاع يحترفون الصيد والرعي. وفي سنة ٣٠١م لما انتصر (سلوقس نيكاتور) على أنتيغونس وقتله وبسط سلطانه على معظم البلاد الآسيوية، شاد مدينة أنطاكية سنة ٣٠٠ ق.م تكريما لاسم ابيه أنطيوخس وأسكن فيها مزيجا من الاكراد والمقدونيين واليهود)

الأقضية الكردية في سوريا الشمالية

لواء الجزيرة – لواء ينقسم الى ثلاثة اقضية هي دجلة، والقامشلي، والحيجة (الحسيكه) ويبلغ مجموع السكان فيه ١٧٣٨٥٠ نسمة منهم ٤٩٥٥ أرمن يقطنون في القامشلي، وعين ديوار، وديريك، وراس العين، والحسيجة. و (٩٠٠٠) آشوريون على ضفاف خابور والفرات. و (٣٨٠٠٠) سريان موزعون في بلدان الجزيرة و (٣٠٠٠٠) اعراب يقيم نصفهم في قضاء الحسيجة وهم (٥٠٠٠) من البقارة و (٥٠٠٠) من شمر و (٥٠٠٠) من الجبور. والنصف الثاني في قضاءي القامشلي ودجلة وهم (١٠٠٠٠) من طي في القضاء الاول و (٥٠٠٠) من شمر في القضاء الثاني. وأما الاكراد فيبلغ تعدادهم (٩٢٠٠٠) يقطنون في القرى والأقضية الأتية:

القضاء	النفوس	القبيلة
	٥٠٠٠	حسنان
	٢٥٠٠	عباسان
دجلة	٥٠٠٠	عليان
	٢٠٠٠	حمكان
	٦٠٠٠	ميران
	٥٠٠٠	الاكراد سكان ديريك وعين ديوار
المجموع	٢٥٥٠٠٠	

	٥٠٠٠	هويركان
	١٠٠٠٠	آشتيان
القامشلي	٢٥٠٠	تمكان
	٣٠٠٠	علي بينار
	٥٠٠٠	مير سينان
	٢٠٠٠	بويلان
	٥٠٠٠	دقوريان – آقوريان
	٥٠٠٠	ملاني خضراني
	١٠٠٠٠	كيكان
القامشلي	١٥٠٠	سكان ناحية دريسية
	٦٠٠٠	الاكراد سكان ناحية رأس العين
	٥٠٠٠	سكان ناحية عاموده
	٥٥٠٠	سكان القامشلي
	٣٠٠٠	كاباران
	٦٨٥٠٠	
الحسيجة	٥٠٠٠	كيكان
	٣٥٠٠	خلجان
	٨٠٠٠	ملان اتباع ابراهيم باشا
	١٦٥٠٠	

وهناك يزيديون متفرقون يبلغ عددهم ٥٠٠٠ نسمة يضاف الى مجموع الاكراد الذي يبلغ (١١٥٥٠٠). اخذت هذه المعلومات الاخيرة من (ملي زاده سامي بگ) أحد وجهاء الاكراد في الحسيجة ويضاف الى العناصر

الاخرى ٦٠٠ يهودي يتكلمون الكردية.

جرابلس ومنبج – قضاءان يقعان غربي لواء الجزيرة، سواد سكانهما من الاكراد. وأشهر القبائل فيه البرازية. وعندما زرت نبع العرب (كانيا عربان كما يسميه الاكراد، أو عرب بيناري كما يسميها الاتراك) سنة ٤٣٩١م وحللت ضيفا على (مصطفى شاهين بگ) رئيس قبائل البرازية ونائب جرابلس في البرلمان السوري في قريته (مكتلي) إستقيت منه المعلومات التالية.

البرازية وسهل سروج – البرازية قبائل كردية تقطن سهل سروج على تخوم تتنازع فيها الكردية والعربية ويتألف مجموعها من القبائل التالية (١) علادينان (٢) شيخان (٣) كتكان (٤) بيزان (٥) شدادان (٦) زروان – ومنهم برازية حماة (٧) دنان (٨) قره كيجان (٩) أوكيان (١٠) معافان (١١) ديدان. ويبلغ طول سهل سروج (١٥٠ك م) وعرضه (٥٠ ك م) ومساحته السطحية (٧٥٠٠ ك م) وعدد قراه (٤٠٠) قرية متوسط عدد بيوت كل منها (٣٠) بيتا. ومجموع البيوت على هذه النسبة (١٢٠٠٠) بيتا ويجعل معالي امين زكي بگ مجموع عدد هذه البيوت (٩٠٠٠) بيتا. يقيم القسم الاعظم منها في حدود سورية، والباقي ضمن حدود الجمهورية التركية.

وأشهر محصولات هذا السهل الحبوب وتصدر الى حلب. واكثر الامراض إنتشارا الملاريا وتفتك بالسكان في فصلي الخريف والصيف. ويرتدي رجال البرازية القفطان والعباءة والكوفية والعقال، كما يفعل العرب. والسبب في قبولهم لها كما يروي مصطفى شاهين بگ هو إغفال أعين الاعراب عندما يغزون مناطقهم فيسهل عليهم سلب ما يريدون قبل أن يتأكد العرب من معرفة خصومهم أما النساء فلا يزلن يرتدين البستهن الكردية ويشمن ذقونهن ورقابهن، ويقتصر الرجال على وشم أصداغهم.

قضاء الباب – يقطن الاكراد في شمالي هذا القضاء في ناحية تدعى (صورسنباط) في خمس عشرة قرية وينتسبون الى قبائل قره كيج وكيتكان وشيخان وبش التي وفي جنوبيه على الطريق الذاهبة من حلب الى سفيرة وحناصرة وجبلي الاحض والشبيت في قرية (تل حاصل) في الكيلومتر (١٧) وقرية تل عرن في الكيلومتر (٢٢).

قضاء كرداغ (جبل الكرد) – قضاء واسع من اعمال ولاية حلب كان فيما مضى من اعمال (كليس) تكثر فيه الجبال والهضاب المكسوة بالغابات المختلفة الاشجار وكروم العنب والزيتون. وفيه مياه جارية ورباع مسقاوية وتربة خصبة وغلاته كثيرة متنوعة أجلها الزيت المشتهر بجودته. وسكانه من اقحاح الاكراد بينهم بعض اليزيدية يتزعمهم سراتهم الاغوات على طراز الحكم الاقطاعي. والخمر والميسر منتشران بين السكان وقتل النفس وأخذ الثأر لأتفه الاسباب من أسهل الاعمال لديهم، يرتكبونه ويلجأون إما الى جبالهم الوعرة او الى الحدود التركية القريبة. ومركز هذا القضاء (عفرين) وهي بليدة حديثة نبت موضع خان كان قائما فوق نشز صخري على يسار جسر نهر عفرين تنزله القوافل. وعدد سكانها اليوم (٨٠٠) نسمة ثلثاهم اكراد والثلث الباقي من جلوا اليها من كليس وغيرها. وقد اختلف الذين قدروا الى عدد قرى الجبل. منهم من جعله (٧٠٠) قرية ومنهم (٣٦٠) ومنهم (١٢٠) قرية ولا شك في أن أقرب هذه الارقام الى الصواب هو العدد الاوسط إذ يتناسب مع مجموع السكان البالغ (٥٠٠٠) نسمة وفي قضاء اعزاز قرى كردية عدة، لم أتمكن لسوء الحظ من معرفة شئ عنها أو عن القبائل التي تقطنها.

لواء الأسكندرونة

ينقسم هذا اللواء الى ثلاثة أقضية هي اسكندرونة، وقرق خان، وانطاكية. ويبلغ مجموع سكانه (١٥٤٠٠٠) نسمة منهم (٣٥ – ٤٠ ٪ ترك

وتركمان والباقون عرب ومسيحيون ونصيرية، ثم أرمن واكراد وجراكسة وسريان وكلدان ويهود. والاكراد في قضاء اسكندرونة يقطنون جرة اللجة شمالي سهل العمق. وفي قضاء قرق خان يؤلفون هم والتركمان سكان ناحيتي قرق خان و حاجيلر. وفي قضاء أنطاكية في جبل القصير على جبل الاكراد في منطقة العلويين. وفي بلاد الشام المتوسطة، يسكنون في قرى عقرب، وطلف مع التركمان وفي اكراد ابراهيم، من قرى الوعر بين نهر العاصي وسفوح جبال النصيرية. ويسكن اكراد العثمانو في أرجاء العشارنة وتل سلحب وما حولها من البقاع الممتدة غربي العاصي في شمالي لواء حماة. أما من كانوا في قرية الدياسنة فقد جلوا في مطلع القرن الحالي الى قرية مخرم التحتاني من املاك الدولة في شرقي حمص.

والاكراد الذين في حماة هم من البرازية وقد مر ذكر القبيلة التي ينتسبون اليها. وسكان حي الاكراد في دمشق، يمتون الى اصول ومنابت مختلفة وهم على الرغم من اختلاطهم بالدماشقة من عهد الدولة الصلاحية، واقتباسهم اللغة والازياء العربية لا يزالون محتفظين بلغتهم، واكثر طباعهم الاصلية لاستمرار الوافدين عليهم من كردستان الشمالية، لدوام اتصال سكانه باهل تلك البلاد النائية بسبب تجارة الغنم التي يجلبونها ويميرون معظم بلاد الشام بلحومها. وهم أبناء بجدة هذه التجارة المحتاجة الى كثير من الجلد والمضاء. وقد حاز بعضهم من ورائها ثروة غير يسيرة وزادها آل اليوسف منهم ملكاً وجاهاً عظيمين. وقلة اكتراث هذا الحي بالدراسة والثقافة قبلا، ساقت كثيرا منهم في عهد العثمانيين نحو الارتزاق من التجنيد في سلك الدرك: (الشرطة والجندرمة) أو جباية الاموال الاميرية أو التزام الاعشار أو وكالة الضياع وغيرها مما يحتاج الى القسوة والشدة. ولما نضب معين النفع من هذه المواد بانقضاء ذلك العهد تغير حالهم في الجملة وانصرف بعضهم الى الصناعات اليدوية وخلافها. (جولة أثرية)

من هم الاكراد

لقد اختلف المؤرخون في اصل الاكراد فتعددت نظرياتهم فالعرب كالمسعودي وابي الفداء يرجعونهم في بعض اقوالهم ورواياتهم الى العرب، والترك يحاولون إرجاعهم الى أصل طوراني كي يسهل بذلك ادماجهم فيهم، أما الابحاث العلمية الاخيرة فترجعهم الى اصل آري (هندو – أوربي).

يقول المسعودي في تاريخه مروج الذهب (الأقوال في أصل الاكراد كثيرة أرجحها انهم من ربيعة ومضر اختصموا قديما فانفردوا وانصرفوا الى الجبال والاودية، دعتهم لذلك الانفة وحاربوا من هنالك من الأمم الساكنة بالمدن والعمائر من الاعاجم والفرس فانحرفوا عن لسانهم وصارت لغتهم اعجمية. ومن الناس من يرى أنهم من مضر بن نزار وانهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوزان، انفردوا في قديم الزمان لدماء كانت بينهم وبين غسان).

ويذكر ابو الفداء في بحثه عن أمة الفرس ومساكنهم وسط المعمورة (الاكراد طائفة من الفرس (الايرانيين) ومنازلهم جبال شهرزور. وقيل ان الكرد من العرب ثم تنبطوا وقيل انهم أعراب فارس (ايران)).

ويعتقد عصمت باشا رئيس وزارة الدولة التركية أن الكرد من الطورانيين بدليل ما جاء في دائرة المعارف البريطانية (انسيكلو بيديا بريتانيكا) طبعة سنة ١٩١١م، حيث تقول أن الابحاث الحديثة ترجع الاكراد الى فجر التاريخ وقت ان كان يطلق عليهم (كوتو – جوتو) وهي لفظة تفيد المحارب. والكوتو قبائل طورانية قوية (هذا قول ضعيف والراجح الآن أنهم سكان أصليون لجبال زاعروس)، وضعتهم الكتابات المسمارية الاولى في مصاف امم آسيا الغربية كالاكاديين والبابليين والاشوريين والحيثيين

وما فتئ الاكراد أن اندمجوا في الأمم الآرية (تأرينوا)، بعد ان كثرت الهجرات الارية الى اسيا الغربية في ذلك العهد).

اخذ عصمت باشا الفقرة الاولى وأهمل الجزء الاخير وهو مادحضه به اللورد كرزون في جنيف أثناء درس قضية الموصل مثبتا بذلك آرية الاكراد.

والابحاث الاخيرة كلها تتضافر على أن الاكراد آريون خلص من صيم امم (هندو – أوربي) وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية لسنة ١٩٢٩م. ما ترجمته.

الكوتو، والكاشو، واللولو

ترجع اقدم المصادر المعروفة عن الاكراد، الى السجلات السومرية. وهذه تقول إن شعبا يعرف بالكوتو أو الكوتي – أو الكورتي[١] كما عرفه الاشوريون بعد ذلك كان يقطن حوض دجلة الاوسط حتى القرن العشرين قبل الميلاد وكانت حدود الكوتي إذ ذاك تبدأ في الغرب من بهتان حول جبل الكودي (الكوتي) وهو الجودي الوارد ذكره في القرآن، ثم تجتاز بازبدا (مدينة قديمة كانت ازاء جزيرة بن عمر) وجبال شنكار (سنجار) في الجنوب وتنتهي في الشرق بجبال زاغروس – زاجروس.

ويذكر المستر هول مؤلف تاريخ الشرق الادنى القديم، في جدول الملوك القدماء ص ٢١٠ من كتابه (ان اناتوم) أول ملوك الكوتي حارب العيلاميين في القرن الواحد والثلاثين قبل الميلاد، وفي القرن الثامن والعشرين استولى (انوبانيني) على بلاد الاكاديين من نارام سين. ودام

---

١. وهذا لا شك يخالف نظرية المسعودي وابي الفداء اذ لا يتفق هذا التأريخ مع تأريخ الغساسنة حتى ولا مع اقدم الدول العربية كالمعينية والسبئية والحميرية التي تأسست في القرنين التاسع والثامن ق.م.

حكم الكوتي بعد ذلك في بابل اكثر من قرنين. واخر من حكم منهم (تريكان) وفي عهده قضى (أوتوهيكال) ملك أور السومري على الدولة الكوتية فتراجع الكوتيون من السهول الى موطنهم الاول في جبال زاغروس (ثم تقول الانسيكلو بيديا البريتانيكا) وأخذوا بعد ذلك يناوئون السومريين وغيرهم من دول ما بين النهرين على حدود بلادهم الى أن اتيحت لأقاربهم الكاشيين فرصة الانقضاض على السهول فهبطوا من زاغروس وضربوا دولة أكاد ضربة قاضية وحكموا البلاد ستة قرون من سنة (١٨٠٠ – ١٢٠٠ ق. م). وهذه القبائل الكردية الاولى (الكوتي والكاشي) التي يرجح انها تمت الى أرومة آرية خالصة، كانت على ما يظهر من أقدم سكان المناطق الجبلية في هضبة ايران وقد ذكر الملك الحيثي (شبيلوكما) سنة (٧٣١ق.م)، الكوتي باسم كوردا واشار الى آلهم كر.

ويثبت المؤرخ التركي احمد رفيق ماتذكره دائرة المعارف البريطانية عن كردية الكاشيين وآرية الكرد، فيقول في بحثه عن الامم الاولى الساكنة في الجزيرة والعراق (ان عنصرا آريا (هنديا اوروبيا) يعرف بالقاصو أو الكاسو (الكاشو) اي الكرد اليوم كان يقطن في الجهة الشرقية من دجلة معاصرا للسومريين والاكاديين.

وقد ذكر البروفسر (سبايسر) في كتابه أصول شعوب ما بين النهرين بحثا ضافيا عن الكوتي وأقاربهم الكاشيين واللولو، وتقارب لهجاتهم وأشار الى القرابة الفيلولوجية والعنصرية بين طوائف جبال زاغروس (كردستان) هذه، وبين الحيثيين والكبادوكيين سكان أواسط آسيا الصغرى والهوريين سكان اواسط الفرات وسوريا، قبل مجئ الاراميين وغيرهم من الساميين، والايجيين والفلسطينيين القدماء، وطوائف القوقاس الأصلية الحالية، ويطلق عليهم جميعا اسم اليافثيين تمييزا لهم عن الدرافيديين

الهنود، والساميين والحاميين وطوائف آلتاي (المغول)، والآريين. ويعتقد أن اللغة الكوتية قد تركت أثرا كبيرا في اللغة السومرية وأنها وبقية اللهجات الزاغروسية التي اضمحلت بمجئ الاقوام الارية الى هضبة إيران وسلسلة زاغروس في اوائل القرن العشرين قبل الميلاد، قد نجد لها قرابة في بعض اللغات القوقاسية الحالية.

ويقول لنا الاستاذ (سبايزر) إن وفرة المصادر السومرية والاشورية المكتشفة عن الكوتيين تمهد لنا دراسة تاريخهم دراسة علمية صحيحة. وان سبب وجود الاثار الكتابية حولهم في اللغة السومرية، يعزى الى غلبتهم على بلاد سومر وأكاد وبقاء حكمهم فيها مدة تزيد على قرن، وإن احتلالهم لهذه البلاد لم يكن مؤقتا إذ هاجموا السهول المجاورة لهم وانتشروا فيها وأخذوا يضيقون على أسرة (أوروك – أوروخ) الأكادية حتى خرج الامر من يدها وارتقى العرش (نارام – سين) فهاجموه واستولوا على معظم بلاده فسقط وجاء بعده (شاركاليشاري) وفي عهده سادت الفوضى البلاد الباقية فانتهز الكوتي – أفاعي الجبال اللاذعة – الفرصة وانقضوا على البلاد واحتلوها وقضوا على حكم السومريين والأكاديين.

وفي عهد (تيريكان) اخر ملوك الكوتي شعر ابناء السهول بضعف دولة الجبليين فوحدوا صفوفهم ونشطت أسرة (أوروك) المار ذكرها للعمل وظهر منها ملك يدعى (أوتو – هيكال) انقض على الكوتي وقضى على دولتهم فتراجعوا الى وطنهم الجبلي واشتركوا مع الكوشيين، بعد ذلك في ضرب بابل والقضاء على دولتها وشاركوا الغزاة الذين حكموا بلاد سومر وأكاد ايضاً.

أما في الشمال فكان نفوذهم قوي الاثر واليهم يعزى حكم الاشوريون في القرن الثالث والعشرين كما يتبين من اسماء ملوك دولتهم التي تشبه كل الشبه أسماء ملوك الكوتي. ولم تستطع بلاد اشور ان تحافظ على

استقلالها التام مدة الف سنة لانتشار نفوذ الجبليين وقد تمكن الهوريون ان يبسطوا سلطانهم على اشور في منتصف القرن العشرين قبل الميلاد وقد استمر النزاع بين الساميين والجبليين ولم يكن بوسع الساميين حتى في ازهى عصورهم ان يُخضعوا الجبليين خضوعا تاما، وقد انتهى هذا الصراع بإنهزام الساميين على اثر سقوط دولتي بابل ونينوى. ولما ظهر الاسلام عاود العرب الساميون هجومهم على الهلال الخصيب وانتزعوه من الفرس ويقفون اليوم وجها لوجه مع الاكراد الجبليين كما وقف السومريون والبابليون والاشوريون قديما مع أسلافهم[1].

ويخالف الاستاذ كذلك بعض اساتذة تاريخ الشرق الادنى القديم فلا يقول مثلهم بآرية الكوتي قبل القرن العشرين (ق.م). أما بعد ذلك فيرى رأيهم لأن الآريين أخذوا بالهجرة الى هضبة إيران وسلسلة زاغروس منذ القرن العشرين قبل الميلاد على أكثر تقدير وتم صبغ معظم قبائل زاغروس بالصبغة الآرية في غضون اربعة قرون بعد ذلك. وليعطينا فكرة صحيحة عن حدود بلاد الكوتي يستشهد بوثائق اثرية كتبت بالحروف المسمارية. منها وثيقة تتضمن ذكر (شملناصر الاول) لانتصاراته المتوالية في بلاد الكوتي من سنة (١٢٨٠-١٢٦١ ق. م) وبيان عدد الشعب فيها الذي يجعل

---

١. يجدر بالفريقين ان لا يعيدا الصراع القديم مادام الاسلام قد قرب بينهما، فيوافق العرب على إنشاء دولة كردية ضمن حدود كردستان الكبرى فيدرأ الاكراد خطر المغيرين عن العرب في سوريا والعراق كما درأوا هجمات الروم البيزنطيين في الثغور على حدود بلادهم الغربية، وهجمات الغز والخزر والتتر الذين ما فتئوا ينقضون من حين لآخر على املاك الخلافة العباسية على الحدود. وفي اعتقادي أن أنشاء دولة كردية من شأنه ان يحفظ التوازن بين شعوب الشرق الادنى الاسلامية ويقلل من اثارة المشاكل بينها فتنصرف كل منها لاصلاح شؤونها الداخلية وترقية بلادها واستثمار مرافقها ويقصر تدخل اجنبي في شؤون الشرق الادنى.
والا فتكون النتيجة كالباحث عن حتفه.

كثرته كالنجوم ويصف مهارته في القتال والتراجع أمام جيوشه والكر عليها، وسفك دماء المتقاتلين من (أوروانري) طور عابدين اليوم الى (كوموهي) جبال ارمينية والمناطق التي في شمال غربي آشور وشماليها – وفي وثيقة اخرى يشير الملك (توكولتي أنورتا) الاول في سنة (١٢٥٠ ق.م) الى ان الكوتيين يقطنون ماوراء الزاب الاسفل. ويثبت حدهم الشرقي كما ذكر الملك السابق.

وقد تطور اسم الكوتي واصبح في عهد هذا الملك يعرف بكوتي أو كورتي كما يتبين من جملته الواردة في الوثيقتين التاليتين:

١. عند تسنمي العرش الملوكي هزمت في سنتي الاولى ٢٨٨٠٠ محاربا حيثيا في الناحية الغربية من الفرات وبسطت يدي في جبال أيورا، على الگورتي والا وقوماني، حتى حدود شارنيدا ومهري[١].

٢. عند تسنمي العرش الملوكي هزمت في سنتي الاولى ٢٨٨٠٠ محاربا حيثيا في الناحية الغربية من الفرات وبسطت يدي في جبال أيورا التي يغطيها الضباب على الكوتي والا وقوماني سكان إلهوينا وشارنيدا وبلاد مهري.

وما ينطبق على التشابه بين كلمتي كوتي وكورتي ينطبق على كورهي والعلاقة بين الكردي والكورتي والكوتي والكوتي واحدة كالعلاقة بين اللولي واللوري أما الاسماء المتأخرة التي عرف بها الكرد كالكاردوخي والكورديين فالاختلاف فيها نشأ عن اختلاف تلفظ الشعوب التي كتبت عنهم.

اللولو – هم أقارب الگوتي الأدنون، وكل ما يعرف عنهم أن مركز بلادهم كان في سهل (شهرزور) أي لواء السليمانية الحالي في كردستان الجنوبية.

---

١. لعلها مقاطعة نهري (شمدينان) الحالية في كردستان الوسطى.

ومن شهرزور، انتشروا للجهة الجنوبية الشرقية من مقاطعة هلمان – مقاطعة زوهاب الحالية. ومصدرنا عن النقطة الاولى، نصب أثري اكتشف حديثا في مضيق دربندي (كاور) في مقاطعة قره داغ جنوب السليمانية، يشير الى انتصارات (نارام - سين) على اللولي.

ومصدرنا عن النقطة الثانية نصب الملك (أنوبانيني) ملك اللولو، الذي اكتشف في زوهاب ويشير الى استيلاء الملك على قبائل هالمان أو آرمان كما تدعي في كثير من الاحيان. ولما غزا الكوتي بلاد أكاد استطاع (أنوبانيني) أن يحرر بلاده التي أشار (نارام سين) الى استيلائه عليها وكان ذكر اللولو في سجلات الاشوريين يرد متقطعا ولا سيما في صدد البحث عن الكوتي والكاشيين والشوبارو.

وقلما ورد ذكرهم بعد (نارام سين). ولما جاء (آشور ناصربال) بعد ذلك بالفي سنة استعمل كل قواته لإخضاع الثورة في بلاد (زاموآ) وهو الاصطلاح الجغرافي المتأخر لبلاد اللولو. ومن المحتمل أن يكون ملوك أشور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قبل الميلاد، من اللولو. وقبل ان يؤلف الاكراد الحلف النيري كان السوباري قد أقاموا لأنفسهم دولة في غربي دجلة على حدود كردستان وسوريا اليوم، وحاربوا الاشوريين ثم اضطروا لضعفهم أن يتحدوا مع غيرهم من القبائل الكردية كالموشكي والكارتي في الشمال حسب رواية السير سيدني سميث، فاندمج اسمهم بغيرهم وظهر على أثر اختفائهم من الميدان السياسي، الاتحاد النيري كما يذكر صاحب (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان).

النيري[1] النهري – كون الاكراد في عهد الاشوريين حلفا من ملوكهم عرف بالحلف النيري فحاربوا أعاظم ملوك اشور من شلمناصر الاول وخلفائه وما زالوا يقضون مضاجع الاشوريين حتى ناصروا (كيخسرو –

---

١. ونير بالكردية بمعنى الفحل والبطل.

كورش) حين قضى على دولتي بابل ونينوى، واذا تصفحنا تاريخ اشور، نجد أن هذه الدولة لم تكن أمينة مرتاحة البال حتى في اوج عظمتها، الا فـي سهول نينوى وحدودها الغربية، اما في الشمال والشمال الشرقي وحدود عيلام فقد ضايقها الكرد بإغاراتهم المتوالية.

ذكر البروفسر (راكوزين) في كتابه بلاد اشور شيئا عن قوة النيري أجمله فيما يلي: (١) عامل (تيغلات بلسر)ملوك النيري، معاملة رقيقة على خلاف عادته مع الامم الاخرى، مما يؤيد صراحة رغبته في مسالمتهم (٢) وجه الاشوريون حملة لغزو (زاغروس وطن) الاكراد فنجحت في مهمتها بعض النجاح بيد أن الصيغة التي سجلت فيها هذه الحادثة خالية من ادوات التأكيد، الأمر الذي اعتاد الاشوريون ذكره في انتصاراتهم. (٣) لم يحتل الاشوريون زاغروس بدليل عدم ورود ذكرها بين أسماء البلاد المحتلة التي ورد ذكرها في سجلات شلمناصر الثاني (٨٦٠ – ٨٢٤ ق.م).

والنيري اعني الاكراد الذين كونوا الحلف النيري، حسب رواية الماجور (سون)كانوا يقطنون بين عام (١٥٠٠ – ١٢٠٠ ق.م) البلاد الممتدة من منتصف مجرى الزاب الكبير الى منبعه. وقد ذكرهم تيغلات بليسر الملك الاشوري وخلفائه من بعده (١١٠٠ – ٦٠٠ ق.م) واشاروا الى مواطنهم بين منبعي دجلة والفرات شمالي جبال (نيفاتس – درسيم وخربوت) في الشمال، وبتليس وبحيرتي وان واورمية في الشرق، وجبال طورس في الغرب. وعلى ذلك يجب أن لا يمزج بين ملوك هذه البلاد وملوك أرمينية المعروفة إذ ذاك بـ (يورارتوا) والتي كانت تقع شمالي بلاد النيري وراء بحيرة وان والجبال. وقد ظهر الاكراد بعد ذلك في الشمال باسم الميديين والكورديين والكاردوخي وسيأتي ذكرهم بهذا الترتيب.

الميديون – بعد خمول شأن النيري ظهرت دولة الميديين عام ٧٠١ق.م ويصادف ذلك دور انحطاط الاشوريين وأول ملك ميدي اتفقت عليه

العشائر الكردية كان من اسرة (دياكو) وهي الاسرة التي حاربها الاشوريون قبل هذا التاريخ بالقرب من (وان). وقد صرف (فراورتيش) ابن هذا الملك أوقاته في تنظيم الجيش. ولما خلفه ابنه (هووخ شتر - كيآخسار) بدل نظام الجيش وقد كان مؤلفا من وحدات غير نظامية كل وحدة تمثل عشيرة تقاتل مستقلة عن غيرها الى جيش موحد وبذلك حافظ الميديون على استقلالهم وبسطوا نفوذهم على الاقطار المجاورة وامتد سلطانهم من (بكتريانة - بخاري) في الشرق الى نهر قيزيل ايرمق في الغرب ومن بحر قزوين في الشمال الى خليج فارس في الجنوب. وعام ٥٥٠ غزاهم (كورش - كيخسرو) وقضى على دولتهم وألحقها بدولته النامية. (ا. ب سون). والمؤرخون الذين يقولون بكردية الميديين عديدون اليك بعض أقوالهم:

١. يعتقد (ا. سون) أن الميديين اكراد بدليل شدة تشابه اللغة الكردية الحالية بالميدية وهي اللغة التي كتب بها زرادشت كتابه المقدس.

٢. يقول البروفسر سايس إن الميديين اكراد تقع بلادهم شرقي بلاد اشور وتمتد حتى جنوبي بحر قزوين وهم من الامم الآرية عنصرا ولغة.

٣. يذكر حسن بيرنيا مشير الدولة سابقا في كتابه ايران القديمة (ص ٥٧) أن اللغة الميدية هي اللغة الكردية الحالية أو أساسها.

٤. تذكر دائرة المعارف البريطانية لسنة (١٩٢٩م) ان الميديين بعد سقوط دولتهم اندمجوا بالاكراد فتكردوا.

٥. جاء في مؤلف صدر عام (١٩٣٤م) عن الأمم الهند وجرمانية الاسيوية لهانس كونتر: الاكراد ميديون وجزء منهم فرس تكردو. ومن مصادر هذا الكتاب مؤلف افرنسي لزيور وفسكي اسمه (القوقاس والقوقاسيون) جاء فيه أن الاكراد احفاد الميديين.

٦. يذكر (لوشان): أن الاكراد من الاجناس البيضاء ويمثلون الميديين

والفرس الاول هاجروا من اوروبا الشمالية. وقد حفظتهم مناعة البلاد وأبقت فيهم المزايا الآرية وكانوا يطلقون على انفسهم كلمة (آرير) ولما اتحدوا مع الفرس، اعني عندما غلبهم كورش والحق بلادهم بدولته كانوا يشعرون بشعور قومي وحنين الى كيانهم الحر.

الكورديون المظفرون – وبعد سقوط الميديين انكمشت القبائل وتراجعت الى الجبال حيث حافظت على استقلالها وشكلت دولة عرفت في التاريخ باسم الكورديين المظفرين، وكانت حدود دولتهم بين الزاب الكبير ودجلة. وفي هذا العهد امتد نفوذ الفرس الاسمى في بعض المناطق الكردية خارج حدود هذه الدولة. وقد تطوع الاكراد في جيوش فارس وناصروا دولتهم وأخذوا على عاتقهم حماية ديانة (زورواستر – زرادشت) التي كانوا يدينون بها. والقبيلة التي انيطت بها هذه الحماية، قبيلة الرواندي – الرواندي وهي القبيلة التي ظهر منها في العهد الاسلامي السلطان صلاحالدين الايوبي الذي اخذ على عاتقه حماية الديانة الاسلامية التي اصبح شعبه يدين بها.

وفي عام (٤٠١ – ٤٠٠ ق. م) أراد زنوفون القائد والمؤرخ اليوناني أن يجتاز كردستان لينصر كورش – كيخسرو على أخيه أردشير ملك إيران فاشتبك مع الاكراد بالقرب من بهتان – بوتان في مضيق زاخو فكسروه شر كسرة وتراجع بفلوله الى البحر الاسود حيث ركب السفن وعاد الى بلاده وهناك دون ما حدث بينه وبين الكاردوخي كما يسمي الاكراد بذلك في سجله.

وقد حاول السلوقيون خلفاء الاسكندر أن يبسطوا يدهم على بلاد الاكراد فاشتبكوا معهم ولم يستطيعوا قهرهم، وضم جبالهم الى مملكتهم. وكذلك عجز الرومان بعدهم عن قهرهم. وفي هذين العهدين كانت ميولهم السياسية تتجه دوما نحو الفرس ولذلك جعلوا لانفسهم مكانة بارزة في الدولة الساسانية وظلوا واياهم حتى ظهور الاسلام.

وفي عهد الرومان واليونان، أصاب تاريخ الاكراد بعض التشويش بسبب إختلاف الأسماء التي كانت تطلق عليهم، فقد دعاهم الرومان واليونان كاردوخي وكوردش وكيرتي، والاشوريون المتأخرون والعرب قبل الاسلام كاردو، والارمن كورتوخ و كورجيخ. ومع ذلك نستطيع بالدرس القياسي لسجلات سرجون الثاني وآسرحون الاشوري وموسى الخوريني الارمني والميثولوجيا الايرانية كالشاهنامه في سير الابطال، أن نعود ببعض العشائر الكردية الكبيرة كالبوهتية (البختية) والمكرية والهذبانية والمهرانية (ميرانية) وغيرها الى القرن السادس قبل الميلاد ونجدهم يقطنون حيث هم اليوم ويعيشون حياة تشبه حياتهم الحاضرة.

ويظهر لنا كذلك من دراسة أسماء القبائل أن الاكراد يشكلون اقدم ارستقراطية في العالم. (دائرة المعارف البريطانية. وخلاصة تاريخ الكرد وكردستان).

وأجداد الكرد اذن هم الكوتو والكاشو واللولو في الجنوب والسوباري والنيري والميديون والكورديان والكاردوخي في الشمال، وجميعهم توطنوا زاغروس والجبال المتفرعة عنه، وتكلموا لهجات مختلفة ترجع الى اصل واحد ليس بالطوراني ولا السامي. وسواء أصحّ انتماؤهم الى الارومة الآرية كما ترجحه دائرة المعارف البريطانية أم الى الارومة (اليافثية – القوقاسية) كما يعتقد البروفسر (سبايسر) فالمتفق عليه أن كافة القبائل الكردية قد تم تأرينها وتكاملت مزاياها القومية في القرن العاشر قبل الميلاد. ويكاد يجمع كتاب الالمان والانجليز على أن الاكراد اليوم آريون خلص من الفرقة الهند وجرمانية.

الاكراد في العهد الاسلامي

سأقتصر في هذا الفصل على وضع أسس لدراسة التاريخ الكردي في الاسلام ولن اتطرق للتفصيل، لأن ذلك يقتضي تأليف كتاب خاص ليس من شأن هذه الرحلة أن تخوض فيه.

وجهت حملات العرب في صدر الاسلام الى العراق وإيران منذ عام ١٣هـ واشتبكت جيوشهم مع الايرانيين في القادسية وانتصروا عليهم فتراجع هؤلاء من العراق الى كردستان الجنوبية ولورستان، وبينهم الفرس والكرد ومن هؤلاء الهرمزان وهو أحد البيوتات السبعة في إيران، وشاه لورستان فقاتل العرب المهاجمين في الاهواز ومناذر ونهر تيري ورام هرمز وتستر وكانت الحرب في بادئ الأمر سجالا وقتل كثير من العرب في هذه المواقع، أشهرهم مجزاة بن ثور والبراء بن مالك اخ انس بن مالك الصحابي الشهير. وقد قتلهم الهرمزان بيده فأهاج هذا الأمر العرب، وهاجموا قوات الهرمزان في تستر مهاجمة عنيفة أسر فيها الهرمزان وانهزمت جيوشه.

وبعد ذلك تقدم العرب الى (نهاوند) حيث كانت الواقعة الفاصلة بينهم وبين الفرس واستولوا على ما كان بأيديهم. أما الاكراد فقد انسحبوا الى جبالهم ووقفوا موقف المدافع عن بلادهم، ولم يتوغل العرب فيها واكتفوا منهم بين سنة ١٨و ٢٠ هـ بالجزية وضمن صاحب بدليس (بتليس) لعياض بن غنم القائد العام بخراج خلاط.

وكانت جيوش العرب بعد ذلك تجتاز في طريقها الى القوقاس وبلاد الارمن أطراف بلاد الاكراد. وبعد فتوح عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة الفهري إنتفضت اكثر الشعوب في البلاد الكائنة بين وطن الساميين في الجنوب، والبحر الاسود وبحر قزوين في الشمال، ولم يرج الخليفة عمر بن الخطاب بقاءها بيد المسلمين لاتساع فروجها وكثرة ما تحتاجه من الجند

المرابط، فتراجع الامراء الذين فرقهم سراقة بن عمرو كما يذكر ابن خلدون في كلامه على فتح جبال أرمينية.

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان بن عفان إنتفضت آمد وبلاد الاكراد. وفي عام ٢٦هـ توجه حبيب بن مسلمة الفهري للمرة الثانية الى (قاليقلا) وضرب الارمن الذين إستمدوا من قيصر الروم فأمدهم وكتب حبيب الى الخليفة بالخبر فأمده بسلمان بن ربيعة الباهلي الذي وصله بعد أن إنتصر على عدوه. ومن ثم توجه الاثنان الى القوقاس الجنوبي وكان مسير حبيب من الغرب وسلمان من الشرق ففتح هذا البيلقان صلحا، ودعا اكراد البوشنجان (البلاشجان) الى الاسلام فحاربوه، وهذا يؤيد وجود الاكراد في القوقاس الجنوبي قبل الاسلام على خلاف ما يدعيه بعض كتبة الغرب من أنهم نزحوا بعد معركة جالديران وتوسع العثمانيين في الشرق، فظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية وأدى البعض الصدقة ممن دخلوا في الاسلام.

وفي مسيرة حبيب الى (قاليقلا) لم يأت ذكر للبلاد الكردية الممتدة بينها وبين الجزيرة مما يدل على أن جنوده لم تدخلها. والنواحي الكردية التي ورد ذكرها في هذه الحملة هي الهرك (منطقة قبائل الهركي) ودشت الورك ومكس من نواحي البسفرجان – وهذه النواحي على تخوم المدن التي يسكنها سواد الارمن واستمر الاكراد بعد ذلك يثورون في كردستان الشمالية (أرمينية) والجزيرة وآذربيجان وشهرزور وكرمانشاه ولورستان من حين الى اخر يدافعون عن حريتهم ويتفانون في سبيل المحافظة على استقلال بلادهم. وما لبثوا يتربصون الفرص، لجمع وحدتهم السياسية حتى قام العباسيون يطالبون بالخلافة فناصروهم والفرس، وقام منهم ابو مسلم الخراساني يقود جيوش إيران فضرب الامويين ضربة قاضية في وقعة الزاب الكبير. ولما ولى الخلافة ابو جعفر المنصور خشي ابا مسلم وما زال به حتى قتله غيلة. وقد قال فيه ابو دلامة مهنئا.

أبا مجرم ماغير الله نعمة — على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدره — الا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
وأبو مجرم يعني به الشاعر أبا مسلم. [حياة الحيوان – مادة أسد]

وقد ثار الاكراد على أثر مقتل ابي مسلم في همذان وكردستان وتوالت الثورات الكردية بعد ذلك، ولما أخذت الخلافة العباسية تضعف شرع الاكراد يعلنون استقلالهم في اماكن مختلفة وأسسوا دولا. وفيما يلي خلاصة موجزة عن كل منهما. والاكراد وإن ثاروا على العباسيين واستقلوا كما فعل غيرهم من الفرس والديلم والترك غير أنهم من ناحية ثانية صانوا الخلافة من إغارات الخزر والغز والتتر المتوالية. ومن اهم عوامل هذه الصيانة وقوع بلاد الاكراد بين قلب الخلافة العباسية والبلاد التي كانت ميدانا لحركات هذه الاقوام المغولية. ومن يطالع الطبري والكامل وسائر أمهات كتب التاريخ، تتبين له هذه الحقائق.

الدول الكردية

١. دولة ديسم وبني مسافر– تأسست في آذربيجان ودامت من سنة ٣٢٦ – ٤٥٦هـ وانقرضت بمجئ هولاكو خان التتري.

٢. دولة حسنويه – أسسها حسنويه بن الحسين البرزنكاني. وامتدت حكومته الى حدود شهرزور وبعض نواحي آذربيجان، فكانت همذان والدينور ونهاوند والصامغان وسرماج ضمن مملكته التي دامت من سنة ٣٤٨ – ٤٤٦هـ وقد اعترف خليفة بغداد بسلطانه ولقب ابنه بعده بناصر الدولة (ابن الأثير وابن خلدون).

٣. دولة دوستك أو بني مروان – أسسها حسين بك دوستك الحميدي الملقب بسلطان شجاع والمشهور بباد. ولد عام ٣٢٤هـ وامتدت حكومته شمالا الى موش وارجيش، وجنوبا الى الجزيرة والموصل وكانت دياربكر وميا

فارقين مركز أعماله وبايع خلفه من بعده للفاطميين حينا من الزمن ودامت دولته من سنة ٣٥٦– ٤٨٩هـ (ابن خلدون).

٤. دولة قراباغ ووادي الاراس في القوقاس الجنوبي – تعرف ايضا بحكومة بني شداد أسسها (جامير جلمير) أبو الاسوار الروادي [الظاهر أنه يقصد شاور ابو الاسوار] حوالي منتصف القرن الرابع للهجرة ودامت حتى مجئ الاقوام التترية فانقرضت. وينتسب الى قبيلة الروادي هذه شاذي ابو نجم الدين ايوب جد صلاح الدين الايوبي.

٥. الدولة الايوبية – أسسها صلاح الدين الايوبي الروادي. ولد ابوه في (دوين) من أعمال قره باغ. وهو من اعظم رجال الاسلام تعقلا وسياسة وبسالة وتدبيرا. أنشأ دولته على انقاض الدولة الفاطمية بمصر وبايع فيها للعباسيين وحارب الصليبيين وردهم عن سوريا، وانقذ بيت المقدس من أيديهم ومآثره أشهر من أن تذكر. وقد أسس ألملك الاشرف الايوبي فرعا من الدولة الايوبية في كردستان وجعل مركزه مدينة خلاط، وفي عهد هذه الدولة تولى الاكراد الامارات والولايات في مصر والشام وكردستان واليمن وخراسان. وقد دامت هذه الدولة في زهوها من سنة ٥٦٤ – ٦٤٨ هـ (السلوك في دول الملوك للمقريزي)

٦. الدولة الفضلوية – وتعرف ايضا بالدولة الهزار آسبية أسسها القائد طاهر الكردي أحد قواد أتابكية فارس في لورستان سنة ٥٤٣هـ ودامت الى سنة ٨٢٧هـ وانقرضت بمجئ تيمورلنك (تاريخ الامم الاسلامية) ولما جاء هولاكو خان التتري لفتح اسيا الغربية، وقف الكرد في وجهه وعرقلوا سيره في الفتوحات، ولما وجه خيله نحو بغداد اضطر أن يمر بشهرزور فقاومه الاكراد في جهات اربيل وقتلوا من جيوشه (٢٠٠٠٠) (دائرة المعارف).

ولا ريب أن إغارة التتر على آسيا الغربية قضى على الدول الكردية كما

قضى على الدول الاسلامية الاخرى في الشرق. غير انه لم يقض على حرية الاكراد الذين شرعوا بعد الغارة التترية يؤسسون منذ القرن الثاني عشر للميلاد، إمارات لهم في جميع مناطق كردستان الكبرى. وهذه الامارات حفظت التوازن بين دول المماليك والعثمانيين والفرس. فلما اتسع العثمانيون على حساب المماليك في الشام ومصر وفي بلاد العرب وحاربوا الفرس في واقعة جالديران، إنشطرت هذه الامارات بدافع الدين الى شطرين، شطر إنحاز الى الترك فأكسبه الفوز على الفرس وشطر بقي في الاراضي الايرانية ولم يكن نفوذ الدولتين في هذين الشطرين الا نفوذا اسميا وظلت الدولتان في كثير من الاحايين تتصادم في حروب طاحنة بسبب اختلافات الامارات الكردية في الشطرين المذكورين. واشهر الامارات التي ظهرت في اراضي الدولتين ودامت حتى سنة ١٨٥٠م. إمارة أردلان ولورستان وقوجان (خراسان) في إيران. وبوتان وسوران وبابان وبتليس وعدد من الامارات الاخرى التي ورد ذكرها في الشرفنامة في البلاد العثمانية.

وفي سنة ١٨٣٤م أرسلت حكومة الاستانة جيشا كبيرا بقيادة رشيد باشا الوزير الاعظم ووالي سيواس الى ديار بكر حيث شرع بمهاجمة الامارات الكردية وقد استطاع بمعاونة ولاة الموصل وبغداد ودياربكر أن يقضي على بعض هذه الامارات وظلت الامارات الاخرى محتفظة بمكانتها السياسية الى سنة ١٨٥٠م ومن ثم حل محلها ولاة من الترك أدخلوا أنظمة جديدة لم يسر مفعولها إلاّ على المدن والقرى القريبة، أما القبائل والاماكن الجبلية فقد ظلت محتفظة ممتنعة على الحكومة كما كانت.

وفي عام ١٨٨٥م. بدأ السلطان عبد الحميد بسياسة ربط العشائر الكردية به فأوجد قوات منظمة دعاها باسمه (الحميدية) تأتمر بأوامره. ولما ظهرت الثورة عليه سنة ١٩٠٩م، وخلع إنحلت هذه القوات وقد أخرت هذه السياسة نمو الفكرة القومية بين الاكراد. وبعد سقوط السلطان أسس

متنورو الاكراد في الاستانة من نواب وموظفين واعيان، نوادي باسمهم واصدروا جريدة جعلوها لسان حالهم في الاستانة وبغداد والموصل، فاثار عليهم الاتحاديون حروبا شعواء وارسلوا عدة حملات على ابراهيم باشا الملي وشيخ البرزانية قرب الموصل والهموند وقبائل درسيم.

موقف الاكراد في الحرب العظمى- ولما نشبت الحرب العالمية كانت جبهة القوقاس معرضة لهجوم الروس وفرق الانتقام الارمنية المنضمة اليهم فتراجع الترك أمامهم ودخلت هذه الجيوش بلا ممانع كردستان الشمالية فهبت القبائل الكردية الى مقاتلتها بعد أن رأت الفظائع التي ارتكبها الارمن بالاكراد العزل، فردتها على اعقابها وقد كلفها ذلك ثمنا عاليا في الارواح والاموال.

وقد ذكر (راولنسون) قائد الجيوش البريطانية في القوقاس في كتابه عن القوقاس أنه تقرر إلحاق ولاية القارص والمقاطعات الكردية فيها للجمهورية الأرمنية المتشكلة حديثا وبذلت القوات البريطانية في القوقاس جهودا جبارة لتحقيق هذه الغاية فلم تفلح لأن الاكراد حالوا دون ذلك فقاوموا الجيوش الارمنية في ثلاثة مواقع قاغزمان وصاري قاميش وأولتي واكتسبوا فوزا عظيما وكسروها شر كسرة وبذلك اكتسب الترك هذه الولاية غنيمة باردة.

وفي عام ١٩١٩م مثل الجنرال شريف باشا الاكراد في مؤتمر السلام فمنحتهم معاهدة سيفر عام (١٩٢٠م) بسبب ذلك إستقلالا في قسم من كردستان الشمالية يحده شمالا ارمينية وجنوبا العراق واعطى الخيار الى اكراد العراق في الانضمام الى هذه الدولة ولما مزق الاتراك معاهدة سيفر واستبدلوها بمعاهدة لوزان قضى على الاستقلال الكردي وقرر إبقاء كردستان الجنوبية في العراق وترك تحديد العراق في الشمال لتفاهم ودي بين بريطانيا وتركيا. ولما لم يتم هذا احيل النزاع بين

الدولتين الى عصبة الامم.

أما القضية الكردية فقد ظلت معقدة وثار الاكراد في الشمال تحت لواء الشيخ سعيد النقشبندي، وجعلوا مركزهم بلدة (كنج) وقام بتدبير خطط هذه الثورة المرحوم الميرالاي خالد بك الجبرانلي الذي قتل اخيرا بيد الاتراك. وكان قد تقرر أن يشرع في الثورة العامة في صباح ١٢ مارت سنة ١٩٢٥م. وحدث أن وصلت قوة تركية كبيرة الى قرية المرحوم الشيخ سعيد في اليوم السابع من الشهر المذكور فنشب القتال لمسألة تافهة بين مريدي الشيخ سعيد وانصاره وبين هذه القوة، فاندلعت الثورة قبل الميعاد المقرر واستطاع الاتراك أن يلقوا القبض على اكثر الضباط قبل وصولهم الى ساحة القتال فأعدموهم في الحال دون محاكمة ولا سؤال. وبالرغم من أن الثورة إنفجرت قبل اوانها وحرمت من ايدي مدبريها وقوادها الذين لهم المام بالفنون الحربية، فقد اتسع نطاقها في مدة وجيزة الى مساحة شاسعة بحيث تناولت معظم البلاد الكردية في تركيا.

ومن عوامل خذلان الثورة ايضا إنصراف الثوار الى الاستيلاء على المدن وقد ساق الاتراك الجيوش من سيواس وارضروم وسواحل البحر الاسود، كما ارسلوا قوة تتألف من (٢٥٠٠٠) بالسكة الحديدية السورية على طريق حلب الى ميدان الثورة. فالتقى هذا الجيش بقوة الشيخ سعيد في (ديار بكر) وهزمها. والقي القبض على زعماء الحركة واحيلوا الى محاكم الاستقلال، فحكمت هذه على الشيخ سعيد والدكتور فؤاد و ٤٦من زعماء الحركة الوطنية، فنفذ فيهم حكم الاعدام جميعا في اغسطوس سنة ١٩٢٥م. وصرح رئيس هذه المحاكم اخيرا أن السبب الحقيقي لهذه الثورة هو استقلال كردستان.

وان تكن هذه الثورة قد اخمدت في الظاهر ولكنها ظلت كامنة في الاماكن الحصينة تظهر في فترات متقطعة الى (١٩٢٩ – ١٩٣٠م). حيث

اشتدت، وكان يديرها في هذه المرة القائد احسان نوري باشا فاتخذ مركزه جبال آرارات، ووجه بعض عصاباته لمشاغلة الاتراك في الجنوب علـى الحدود السوريـة وأخذت الحرب شكلـها الجدي بين قـواتـه وقـوات الجمهورية التركية في ١٣ حزيران سنة ١٩٣٠م. ودامت في شدتها شهرا كاملا، فاضطر الاتراك ان يستنجدوا بجيرانهم الروس والفرس، فأغلق الروس الحدود وساق الفرس جيشا ضرب العصابات في الجهة الشرقية، فأدى هذا التكاتف من الدول الثلاث الى اخماد الثورة واستسلام قوادها الى الدولة الفارسية وهم اليوم في طهران. وفي عام (١٩٣٧م) اشتعلت الثورة للمرة الثالثة في درسيم بقيادة (السيد رضا) لقرار المجلس الوطني التركي تهجير سكان مقاطعة درسيم الى الاناضول والولايات الغربية ولا تزال المعلومات عنها مجهولة لتكتم الاتراك. وقد اشتدت في ربيع سنة ١٩٣٨ في درسيم مرة اخرى.

والسياسة التي اتبعتها الحكومة التركية في الثورات الكردية، هي سياسة إمحاء العنصر الكردي بشتى الوسائل من تقتيل القرويين الامنين وإحراق قراهم وتدميرها وتهجير من يمكن تهجيره الى الاناضول. ولتضمن الجمهورية التركية نجاح سياستها وتحول دون قيام ثورات كردية اخرى، ارتبطت مع إيران والعراق بالميثاق الشرقي (المسمى ميثاق سعد آباد) وهو ميثاق موجه في الدرجة الاولى لخنق كل حركة كردية تحريرية.

وفي كردستان الجنوبية ثار الاكراد على الحكومة العراقية بقيادة الشيخ محمود البرزنجي والشيخ احمد برزان مرات عدة مندفعين بعوامل وطنية ايضا. والآن بعد ان كتبت هذه النبذة التأريخية ارى أن اختتمها بجملة للميجر (سون) وهذا تعريبها (اننا عندما نتذكر بأن هذا القسم من اسيا الغربية كان عرضة لتطورات عظيمة ولغزوات جيوش كل امة اشتهرت في التاريخ الشرقي من اشوريين وبرثيين ويونان ورومان وفرس وعرب

ومغول وترك، نجد ان الاكراد هم الوحيدون بين شعوب هذه البلاد الذين استطاعوا مقاومة هذه الدول وحافظوا على نقاوة لغتهم ودمهم فيحق لهم ان يفاخروا بعنصرهم، اذ لا يستطيع أحد أن ينكر عليهم أنهم الآريون الخلص حماة الجبال واهل اللغة).

الحياة الاجتماعية

أ- طبقات الشعب

يتقسم الاكراد عموما الى رحل وشبيه بالرحل وحضر، وعدد الرحل يتناقص من يوم الى اخر، وهم في كردستان الشرقية أقل عددا منهم في الشمالية يؤيد ذلك اللورد كرزون في كتابه (الفرس وفارس) حيث يقول (والاكراد في كردستان الفارسية أقرب الى السكينة والحضارة واكثر قبولا للحياة العسكرية المنظمة من اخوانهم في كردستان الشمالية. ويقول سون (إن نظام الاقطاع لا يزال قويا بين اكراد الشمال فهم هنا يحبون جبالهم ويتمسكون بعشائرهم ويفرون بكرديتهم واحدهم يمتطي صهوة جواده فورا ويتسلح بموزره لاقل اشارة تصدر من رئيسه). والى هذا يذهب السائح الاسكتلندي (فرازر) وقد زار كردستان في القرن التاسع عشر وهذا ما يقوله (يعشق الاكراد جبالهم ويشبهون بذلك السويسريين والاسكتلنديين وكهؤلاء يقسمون الى قبائل تعترف بسيادة رؤسائها وتطيعهم طاعة عمياء).

وفي اوائل القرن الثامن عشر للميلاد زار الدكتور (روس) الملحق بالقنصلية البريطانية في بغداد أمير رواندز ولاحظ مالاحظه (فرازر) واضاف الى ذلك (أن مبدأ الاكراد وهدفهم في هذه الحياة، القتال وشن الغارات، يتدربون على ذلك منذ الصغر وقد شاهدت بام عيني فتيانا

يتراوح عمرهم بين ١٢و ١٥سنة مصابين بجروح خطرة أصابتهم في معارك حديثة. ويبدء الاكراد الحرب عادة باستعمال البنادق وعندما يحمى الوطيس ويشتبك الطرفان يستعملون الخناجر.)

ويؤيد (سون) في تمسك الاكراد بجبالهم المشارل (هلموت فون مولتكى) الذي كان موظفا في الجيش العثماني واشترك مع قوة حافظ باشا المرسلة إلى منطقة غرزان في كردستان الشمالية لاخماد نيران الثورة التي التي اندلعت السنّها بين سنة ١٨٣٨-١٨٣٩م. وهذا تعريب مايقولة «تمكن حافظ باشا ان يحصر الثور في اعلى الجبال المنعية فاوشكت ارزاقهم على النفاذ ولهذا أرسلو وفدا من كهولهم ليفاوض الباشا على التسليم، فاشترط عليهم أن يغادر الثوار الجبال هم و عيلاهم ويقطنون في السهول التي تعين لهم حيث يجعل لكل أسرة مقدارا من الارض تبلغ مساحتها عشرة أمثال ما تملك في الجبال، وتعفى ثلاث سنين متوالية من الضرائب وتساعد على تربية الخيول ودود الحرير وغير ذلك من الوعود الخلابة فاضطرب الكهول ووجهوا نظراتهم شطر السماء يستهولون الأمر، فعادوا الى إخوانهم وعرضوا الشروط التي سمعوها فتسلحت النساء ومشى الاولاد مع امهاتهم الى ساحة الوغى ليقاوموا الحكومة ويموتوا في ارض ابائهم واجدادهم، على أن يبرحوها الى الابد ويعيشوا في السهول اذلاء تقتنصهم الحكومة متى شاءت ان هم حدثتهم نفسهم على مقاومتها وقد استمات الاكراد في المقاومة ولكن الحكومة اخيرا ظفرت بهم وعدلت عن مشروع ترحيلهم الى السهول لاستحالة تطبيقه).

وليس احتجاج ذلك الكردي العجوز الى لجنة تخطيط الحدود التركية الايرانية على اعطاء قسم من تراب بلاده المقدس الى تركيا اقل تأييدا لنظرية (سون).

الاكراد الرحل: يعتبر الكردي الرحال موطنه الدائم مشتاه، حيث يقيم

ثلثي السنة ولا يبرحه إلاّ في الثلث الاخير اي في اشهر مايس وحزيران وتموز واغسطس. وذلك عندما يخرج بقطعانه الى الجبال العالية يلتمس المرعى وجودة المناخ في مصايف معينة. ويسير في رحلتيه الصيفية والشتائية في سبل وشعاب معينة ايضا. وله في مشتاه ومصيفه اراض يزرعها ويستثمرها على خلاف البدوي العربي الذي يجوب البيداء كيف شاء دون ان يتقيد بمسالك معينة يطلب الماء والمرعى حيث وجدا، وتختلف مصائفه حسب تبدل الاجواء فتارة تكون في ناحية وطورا في اخرى.

ويختلف الاكراد شبيهو الرحل عن الرحل في انتخاب المصايف فهم يجعلونها قريبة من قراهم. وسواد الاكراد من هذا الصنف اما الحضر فسواء أكانوا في القرى ام في المدن فمستقرون صيفا وشتاء شأنهم شأن الحضري في البلدان الشرقية ويرأس الاكراد في الاصناف الثلاثة الخان أو البك أو الآغا أو الشيخ. فالخان لقب الامراء الذين يتجاوز نفوذهم القبيلة والمنطقة كخانات اردلان وامارات كردستان الشمالية والجنوبية، وليس هذا اللقب مقصورا على الامراء بل يتناول الاميرات اللاتي يبرزن ويتقلدن زمام الامارة ومنهن (عادلة خان) الاردلانية صاحبة السيادة في شهرزور، و(حليمة خان) الهكارية. والبك لقب الزعماء الذين يتجاوز نفوذهم القبيلة الى المنطقة. والآغا ينحصر نفوذه في القبيلة. والشيوخ (الملا) نوعان، السادة ويجتمعون بين النفوذ الديني والزمني وينافسون الخانات احيانا في نفوذهم، والشيوخ سلطتهم الدينية سلطة محلية.

ب – المزايا القومية: العادات والعنعنات والميول.

جاء في كتاب (الأمم الهند وجرمانية الاسيوية) (أن الاكراد يحترمون النساء اكثر من الفرس والترك وقد احتفظوا كالافغان بكثير من عاداتهم الاجتماعية الآرية. فاذا ما وقع خصام بين قبيلتين توفد كل قبيلة عضوين ليشتركا في لجنة تؤلف لتسوية الخصام. ويحتفلون بقتيل الحرب) ويكتب

(سون) في بحثه عن الزواج بين الاكراد (أن الزواج يكون في الغالب نتيجة حب متبادل والكردي من الشمال الى الجنوب قل أن يتزوج اكثر من واحدة. وللزوجة حرية واسعة، فهي ربة البيت الحقيقية تستحق الفخر على تدبيرها المنزلي كما تستحقه على جمالها الطبيعي. وهي صريحة في حديثها وعملها تبز في ذلك نساء الترك والفرس، وفي غياب الزوج تنوب عنه في استقبال الضيوف والقيام بواجبهم أما الزنا فمجهول في كردستان وجزاؤه القتل). وفي المأتم لا يختلف الاكراد عن الشرقيين كما يروي (هبارد) فالندب والنواح موجودين.

ويذكر فرازر(أن الاكراد كالاسكتلانديين القدماء يحتقرون كل مهنة غير استعمال السلاح ويوفون بالوعد ويأخذون بالثأر ويتبارون بالكرم). ويؤيد ذلك (سون) حيث يقول، (فضلا عن أن الكردي يفي بوعده فهو يحب اقرباءه على عكس الشرقيين ويعشق الادب ويحب الشعر ويضحي بنفسه من اجل عشيرته وأمته ويفاخر بقومه وببلاده، وليس أحب اليه من أن يقف في الهواء الطلق ويردد بلغته هذه الكلمات قائلا: از كرمانجم، من كوردم: أي أنا كردي. وقد حبته طبيعة بلاده الجبلية الحذر واليقظة والريبة والشجاعة والانتباه ودقة الملاحظة).

ويذكر الاستاذ احمد البيلي في كتابه (حياة صلاح الدين) (أن التركماني لا يكترث بأصله و نسبه، أما الكردي فانه يفاخر بهذا كله) ويقارن المهندس (هاملتون) الذي اوفدته حكومة العراق لفتح طريق رواندز وربطها بتبريز في كتابه (طريق في كردستان، بين الاكراد والعرب) ويذكر نقاطا عدة أجملها فيما يلي:

الكردي كجبلي يختلف عن جاره العربي في أمور كثيرة، فهو اكثر رصانة وتحفظا واخلص منه في صداقته واشبه في طباعه وسجاياه بالاسكتلاندي، ويحب من المزاح ما كان حوله أو حول أمته، ويميل

للفلسفة وليس من السهل ان يخدع وقد اوصاني (الماجور بري) عندما انتقلت من الديوانية للمنطقة الكردية لمباشرة فتح الطريق، أن أعامل عمال الاكراد معاملة عادلة وان لا اخدعهم كي لا يخدعوني فطبقت وصيته فأفلحت. والعامل الكردي تكفيه الاشارة، أما العربي فكسول يصرف معظم اوقاته في الغناء ويحتاج الى حث متواصل ليقوم بواجبه. وهذا القياس عام، غير انه يوجد بين العرب عمال نشيطون كما يوجد بين الاكراد عمال خاملون. والعربي بلا جدال أمهر من الكردي في تجنب الاعمال الشاقة. واكراد فارس وكان منهم عدد جم بين العمال امهر الاكراد في القيام بالأعمال الفنية، كنسف الصخور وبناء الجسور ويبذلون فيها نصف ما يبذله غيرهم من الجهود ويصرفون اكثر اجورهم على الطعام الجيد بخلاف عمال العرب الذين يعيشون على قليل من الطعام ليدخروا اجورهم. ويختلف اكراد الجبال عن العرب في استقبال الضيف المجهول اذ تنقصهم فصاحة العرب التشريفية. وليس معنى ذلك أن الكردي لا يكرم، فالكرم الذي كنت أقابله في القرى الجبلية في فصل الامطار والثلوج كان كافيا ليدفع بي الى فتح باب خيمتي الى كل كردي عابر سبيل قد يحتاج الى طعام ومأوى. والكردي ابن الجبال قنوع يعيش حياة بسيطة نظرا لقلة محصول منطقته وهو وان كان فقيرا فهو عزيز النفس فخور).

وبهذا يقول المثل في بلاد الشام (الكردي لا يذل والعربي لا يبخل والمغربي لا يكرم). ويؤيد ذلك الشاعر الكردي احمد خاني في شعر منظوم له هذا تعريبه (بقدر ما اشتهر الاكراد بالشجاعة وعلو الهمة والكرم فشهرتهم باستنكار الذل والمنة اكثرهم لذلك على غير اتفاق). ويروي (سون) أنهم سريعوا التهيج اصحاب طبع ناري حاد، بيد أنهم من ناحية ثانية اقرب للرحمة والشفقة منهم الى الغلظة والجفاء، ومن أبرز الامثلة على ذلك موقف عدد جم من زعماء الاكراد نحو الارمن والنساطرة في

المذابح الاخيرة التي كان يدفع الشعب الكردي اليها تحريض الاتراك من جهة وشره الارمن وطموحهم في احياء ارمينية على حساب كردستان من جهة اخرى. ويذكر (فرازر) أنه لم يندهش حينما رأى نفسه بين فرقة من الاكراد الشجعان تسير أمامه إذ تذكر المعركة الهائلة بين الفارس الاسكتلاندي والفارس المسلم الوارد ذكرها في قصة (تاليسمان) التي حدثت وقائعها في الحروب الصليبية لأن ذلك الفارس لم يكن سوى كردي.

والكردي ذكي له مقدرة فائقة في تعلم اللغات وميل غريزي للشعر والأدب وهذا ما وصل اليه (سون) ومؤلف كتاب (الامم الهند وجرمانية الاسيوية) ويؤيد ذلك تبريز جميل الزهاوي ومعروف الرصافي في العراق، وخير الدين الزركلي في سوريا، واحمد شوقي في مصر، وسليمان نظيف في الاستانة، وكلهم اكراد نبغوا في الشعر سواء أكان عربيا أم تركيا. ويسير جنبا لجنب مع هذا الميل عشقه للموسيقى. وفي النواحي العلمية تتجه ميوله نحو الميكانيكا والهندسة فهذه جمعيات النفط والبترول في إيران والعراق اكثر مستخدميها اكراد نبغوا فيما ما اسند اليهم من الوظائف.

ج- الاوصاف الاثنوغرافية

يقول خانيكوف (الاكراد بهيو الطلعة وشديدو الشبه بالافغان) ويقول بولاك (يصعب التمييز بين سحنة الكردي والالماني) ويقول لوشان (إن ٦٢,٥٨٪ من الاكراد ذو بشرة بيضاء و ٣٩٪ ذو عيون غير سوداء و ٥٠٪ من شعور اكراد الغرب غير سوداء والرأس مستطيل معدل حجمه ٥٧ سنتيمتر. وقد ذكر غيره من العلماء المقاييس التالية لمتوسط حجم الرأس

سنتيمتر	اسم العالم
٧٨,٤٨	ستاسونوف
٧٨,٥٣	شانتر

٨٦,٤٩ بتارل

وهذا الاختلاف ناشئ على ما اعتقد عن اختلاف المناطق الكردية ومع ذلك. فنتائج لوشان وستاسونوف وشانتر قريبة من بعضها. والانف الكردي اجمالا ليس بالعريض كسائر الامم الهند وجرمانية.

ويعتقد (هانس كونتر) أن الكردي صحيح البنية ويقول سون (إن خير نموذج باق للنوع البشري لا يوجد الا في الجسم الكردي فالكردي صحيح البنية متناسب الاعضاء. واكراد الشمال اصحاب قامات طويلة ممشوقة، وانف طويل رفيع، وفم صغير وشارب طويل ولحية حليق وعيون حادة صافية واكثرهم ذو بشرة بيضاء وعيون عسلية أو زرقاء، قل ان يفرق اطفالهم عن اطفال الانكليز اذا وضعوا جنبا لجنب. أما في الجنوب فالوجه اكثر استدارة والبنية اضخم وقد وجدت بين اربعين من مختلف العشائر في هذا الجزء، تسعة فقط يقل طولهم عن ستة اقدام، ويبلغ معدل الطول في بعض العشائر خمسة اقدام وتسعة بوصات. وخطوات الاكراد اجمالا واسعة فيها شيء من التؤدة واحتمالهم للشدائد عظيم وقاماتهم صحيحة يعجبون بها كأنهم ميديو هذا العصر، ويجدر بهم لو تآزروا ان يشكلوا دولة حربية تعيد مجد ميديا وتبسط يدها القوية على ما يحيط بها من الشعوب. وفي كثير من الاحيان كنت اتمثل في هؤلاء الاكراد (النورسمان) في قاماتهم وسحنهم. وبالاختصار يمكنني أن أقول إن صفات الاكراد الانثروبولوجية من شعر اشقر خفيف، وشارب طويل، وعيون زرقاء، وبشرة بيضاء، ولغة ارية خالصة، هي براهين قاطعة على أن الكردي والسكسوني من أرومة واحدة) وقد اتخذ الجيش العربي في شرقي الاردن نموذجا للجندي الكامل، كرديا من اكراد الشمال تتمثل فيه اغلب الصفات المار ذكرها.

المرأة الكردية

ليست المرأة الكردية متعلمة، فقد حرمت نور العلم كما حرمته النساء المسلمات إبان انتشار السيادة العثمانية التركية على الاقطار المسلمة الشرقية. والكابوس التركي وإن يكن قد تقلص وانكمش بعد الحرب الكونية، فلا يزال موجودا في كردستان الشمالية، يحول دون تثقيف الاكراد الذكر منهم والانثى، ويحرمهم حرمانا تاما استعمال لغتهم في التدريس والتدوين. وقد حذا حذوهم في ذلك الفرس في كردستان الشرقية. والثقافة التي تفرض على الشعب فرضا، بلغة غير لغته لا شك انها ثقافة هدامة لا تثمر الا حسكا وشوكا. والثقافة التي يبغيها الاكراد، ثقافة تعطى اليهم قبل كل شئ بلغتهم، ومن دولة تستمد سلطانها منهم، كي يتسنى لهم بذلك، السير بخطى واسعة نحو مجاراة من سبقهم في مضمار العلم والحضارة.

وان تكن المرأة الكردية قد قصرت في هذه الناحية تقصيرا لا تسأل عنه غير انها في نواحي الحياة الاجتماعية الاخرى تقدمت اشواطا كبيرة، فهي تشاطر الرجل في حياته الاقتصادية وتقوم بالمسؤولية الملقاة على عاتقها خير قيام وتبز نساء البلدان المجاورة بحريتها الانثوية، فتسير سافرة تقوم بواجباتها دون ان تتكلف الحياء المصطنع. والاكراد لا يخشون على نسائهم من اصطياد ذوي الاخلاق الفاسدة، فالزنا مجهول في كردستان وتقاليد القوم لا تشجع على ارتكابه. ولافي هذا البحث حقه، استعنت بما نشره الامير جلادت عالي بدرخان في مجلة هاوارالكردية عن المرأة في ادوار حياتها من دور الصبا الى دور الأمومة.

دور الصبا – لا يتذمر الاكراد من ولادة البنت إذ يعتبرونها زهرة يجب العناية بها فتأخذ أمها بتعليمها الاغاني الشعبية والرقص وركوب الخيل والاشغال اليدوية، كالخياطة ونسج الابسطة والسجاد وتنمية ذوقها في

اختيار الالوان وتنسيقها، وتزيينها. ولا تجيز للأب أن يتدخل في شؤون ابنتها، ولا سيما بعد أن تجاوز السنة العاشرة من عمرها

دور الخطبة – وبعد أن تتكامل حياة الفتاة الانثوية، تشاطر امها في ترتيب شؤون المنزل، وتدخل حلقات الرقص التي يشترك فيها عادة الرجال والنساء وتمتطي جوادها وتسير مع رفيقاتها ورفقائها للنزهة، وبذلك تستطيع ان تنتخب خطيبها بعد اختبار طويل يتاح لها في مثل هذه الفرص. وفي حفلات الرقص التي تقام من اجل الزواج والتي تمتد من ثلاثة ايام الى سبعة بلياليها، ومن العشاء الى انبثاق الفجر متسع كبير لالتقاء الخطيبين. ومما يجدر ذكره ان الحوادث المشينة التي تحدث عن مثل هذه المخالطات بين الخطيبين في البلاد الاخرى يندر حدوثها في بلاد الاكراد.

دور الزواج – بعد أن يتم الخيار بين الخطيبين ويقضيان شطرا من الزمن يدرس احدهما الاخر يتزوجان ليؤلفا اسرة طيبة. وقل أن يحدث الطلاق بين الاكراد، إذ ينظر الى من يرتكبه نظرة واطئة، وكذلك يقل تعدد الزوجات بينهم وعلى الزوجة أن تعنى برفاهية اعضاء الاسرة وتوزع اعمال البيت واوقاتها على افراد الاسرة والخدم وتتدارك حاجيات البيت، وليس على الرجل إلاّ أن يجني ويقدم ما جناه الى زوجته لتقوم بالصرف على البيت، وإذا اعوز زوجها المال تمده به إذا كانت موسرة. والكردي يدفعه الزواج عاملان الرجولة وقدسية الزواج.

وتبذل المرأة من ناحيتها ما بوسعها لترفه عن زوجها، فتشاطره عند اللزوم في الحرب وتتسلح ايضا لأنها تجد في الموت بجانبه لذة كبرى. واعمالها في الحرب تتناول تهيئة الطعام والذخيرة لتصبح في متناول المحاربين، وتقوم كذلك بربط الجراح وضمدها. ويجوز لأبناء النساء اللاتي يبرزن في المعارك أن يحملوا اسماء امهاتهم ويتكنون بها لما في

ذلك من الفخر. ولا تنزوي المرأة بعد الزواج ولا تعرض عن حفلات الرقص أو غيرها، ولا تمنع أن تبحث في كل امر من الامور الاجتماعية. ومن اهم العوامل التي تدفع الكردي أن يمنح المرأة هذه الحرية، طبيعة بلاده الجبلية التي غرست في نفسه عشق الحرية واستنكار الذل. فتراه لذلك في حروب وغزوات شعواء مع الأمم والدول المجاورة لبلاده. وهذه الحرية، هي التي حالت دون ظهور جارية كردية في العصور التي كان بها الجواري يسقن زرافات من جميع عناصر الشرق خلا الافغان، الى اسواق بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من العواصم.

الدين والمعتقدات

لم تكن معتقدات الاكراد الدينية في عهد الكوتي والكاشو واللولو، خالية من تأثير معتقدات دول وامم بين النهرين - الاكاديين والبابليين والسومريين - بل كانوا فيها الشئ الكثير منها(حسن بيرنيا). اما في عهد دول الشمال فقد كانت آرية بحتة والدين الوحيد الذي اعتنقوه وحافظوا عليه حتى ظهور الاسلام، هو دين (زرادشت) القائل بالخير والشر والبعث والحساب (تاريخ فارس - سيرجون مالكولم). ولما ظهر الاسلام وغزا المسلمون الامبراطورية الفارسية وقوّضوا أركانها وكان الاكراد من أهم عناصرها، ظلت ثوراتهم بعد استيلاء العرب على بلاد فارس تترى حتى تمكن الاسلام منهم. وسوادهم اليوم سنيون وشافعيو المذهب وبينهم من لا يزال يحتفظ بعقيدة زرادشت مشوهة وهم اليزيديون ومنهم من يقدسون عليا كرم اللّه وجهه فيسمون (علي إلهين) وهم اللور، وبعض القبائل في ايالة كرمانشاه.

وقد لاحظ (هبارد) أن الاكراد يحترمون الاماكن المقدسة وان العشائر التي على الحدود الايرانية في جبال (هورامان) تنتخب اجمل الاماكن لدفن موتاها، ولا تكتب على الشاهد اسم الميت أو كنيته ولا ايات قرآنية

بل يرسمون شمسا مشرقة وشارات تدل على طبقة الميت وجنسه ذكرا كان أو انثى فينقشون للرجل خنجرا وللمرأة مشطا. أما إذا كان الرجل من الرؤساء الدينيين فيضيفون يدا حديدية للخنجر. واعتقاد الاكراد بالارواح والخرافات، حسب ماوصل اليه (فرازر) في تحرياته ضعيف لا يكاد يذكر.

الجمعيات السياسية

أولى الجمعيات الكردية السياسية هي جمعية التعالي والترقي تأسست سنة ١٩٠٨م في اسطنبول. ومؤسسوها هم امين عالي بك بدرخان والفريق شريف باشا والسيد عبد القادر أفندي نجل الشيخ عبيد الله النهري والمشير احمد ذو الكفل باشا. وتأسست في تلك السنة ايضا جمعية (نشر المعارف) الكردية وفتحت مدرسة في (جنبرلي طاش) في الآستانة لتثقيف ابناء الاكراد في تلك المدينة. ولما استولى الاتحاديون على مقاليد الحكم حلوهما فاستمرت الجمعية الاولى رغم ذلك تعمل خفية. وفي سنة ١٩١٠م أسس طلبة الاكراد في الاستانة جمعية (هيفي – الامل) جعلوا لسان حالها جريدة روزكرد (يوم الكرد) ودامت حتى ظهور الحرب العالمية، ثم استأنفت عملها بعد الحرب الى أن تسلم الكماليون الاستانة من الحلفاء.

وبعد الهدنة أسس ثريابك بدرخان جمعية الاستقلال الكردي في القاهرة كما أسس السيد عبد القادر أفندي جمعية (تعالي كردستان) وكان اعضاؤها رؤساء الاكراد. وقد انشق البدرخانيون عليها فيما بعد، وأسسو جمعية (التشكيلات الاجتماعية الكردستانية) وتشكل كذلك في الوقت نفسه حزب الأمة الكردية. واستمرت هذه الجمعيات الى دخول الكماليين الاستانة. وفيما بعد تأسست جمعية خويبون (الاستقلال) خارج تركيا ولا تزال تعمل على تحرير الاكراد واستقلال البلاد الكردية.

إحصاء النفوس

ليس للاكراد إحصاء دقيق في النفوس، وإنما هناك تقدير تقريبي ذكره بعض المستشرقين. أما الدول التي تبسط يدها عليهم فكانت وما تزال تهمل هذه الناحية، كما أنه لم يكن بوسعها في وقت من الاوقات أن تقوم بإحصاء دقيق يتناول الاكراد، وإذا ذكرت ارقاما عن نفوسهم فعلى الغالب تجعلها بعيدة عن الحقيقة ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها، ولاستخلاص إحصاء قريب من الحقيقة عدت الى ما كتبه بعض المستشرقين قبل الحرب الكونية والى ما كتبه الاكراد عن تعداد نفوس بلادهم، فوجدت أن مجموع نفوس الاكراد يبلغ تقريبا ستة ملايين ومائة الف. منهم نحو ثلاثة ملايين في تركيا وتسعمائة الف في العراق ومليونان في ايران، ومائتا الف في سوريا، ومائة الف في القوقاس الجنوبي.

اللغة والاداب والصحافة

اللغة الكردية – لغة آرية (هندو – أوربي) من الفرقة الايرانية وأقربها الى الفرقة الجرمانية كما يتبيّن من الجدول المرافق. وتعتبر من الناحية الفيلولوجية من اللغات المنصرفة المرتقية التي تنقسم الى شعبتين (١) الهندية الجرمانية (٢) السامية وهي كذلك من اللغات التركيبية الهامة التي تطورت جذورها. وهذه الجذور والادوات السابقة prefix واللاحقة suffix والمواد الاساسية حسب مفهومها العام في اللغات التركيبية الموجودة في بنيتها كل ذلك يمهد لها احداث مفردات لغوية تناسب ما يبتكر و يظهر من الاشياء الجديدة كل يوم. وقد اطلق اكراد الكويان على الطيارة لأول مرة شاهدوها (بالافر – الطائر في العلو) وعلى التلفون (بهيستوك – السماعة) وعلى الدراجة (هسبي هسن – الجواد الحديدي).

مميزاتها [١] – إضطراد المد والقصر في الاحرف الصوتية: فالاحرف الممدودة تظل على امتدادها دون اضافة حركة، والمقصورة تحافظ كذلك على قصرها إلاّ اذا جاءتها حركة فتمتد. واحرف المد اثنان الـ(o - a) واحرف القصر ثلاث الـ(e - i - u) ولا تمتد الا اذا وضعت هذه الحركة (^) فوقها وفيما يلي امثلة لذلك: سقف (بان ban)، انف (بوز poz)، رباط (بن ben) مخاضة (بهر buhur) عرائس (بوكين bukin) [٢] اجتماع الساكنين في اول الكلمة، مثال ذلك الاخذ (standin) نجم (ster) عقيم (stewr) [٣] إنتظام التذكير والتأنيث والتفريق بينهما: في النداء تستعمل (لو lo) للمذكر العاقل وللمؤنث العاقل (لي le) في اول الكلمة التي يجب ان تنتهي في التذكير ب(o) وفي التأنيث ب(e) مثال ذلك ايها الرجل (لو ميرو lo mero) وايتها الفتاة (لي كجي le kece) في الاضافة – تستعمل (e) للمذكر و (a) للمؤنث كان تقول (حصاني hespe min) (فرسي nim

anihim في الضمائر تستعمل (e) للمذكر و (a) للمؤنث، كان تقول (braye wi اخوه) (اخوها braye we) – في المفاعيل – تستعمل (i) للمذكر و (e) للمؤنث. مثال على ذلك، ارى الحصان hespi dibinim ارى الفرس dibinim mihine في الجنس – الأسماء التالية مذكرة دوما. (١) الرجل وذكور الحيوانات. (٢) اسم الجمع. (٣) الالوان وكلمة رنك– لون. (٤) الارقام. (٥) المعادن التي لم يتبدل شكلها الطبيعي. (٦) الجهات الاربع الاصلية. (٧) المياه الجارية وكلمة نهر. (٨) الروح والنفس. الاسماء التالية مؤنثة دوما (١) المرأة وإناث الحيوانات. (٢) اسماء المعنى. (٣) اسماء الافعال والمصادر. (٤) احرف الهجاء. (٥) الاسماء الجغرافية خلا الانهار. (٦) اسم المكان. (٧) وسائط النقل. (٨) الفصول. (٩) المأكولات المطبوخة والمجهزة. (١٠) الاجرام السماوية وكل ما ينزل من السماء. (١١) الامراض والاورام والقروح. (١٢) الورق وكل مادة كتابية. (١٣) الماء والمواد السائلة عدا البحار.

[٤] انتظام التعريف والتنكير تقول – جاء الرجل hat mir وجاء رجل mirovek hat . [٥] اتساع تشكيلات حروف الجر، ودقة استعمالها:

فأحرف الجر الكردية قسمان، قسم يأتي في اول الكلمة وقسم في اخرهاوهذا القسم يعطي الجملة معنى دقيقا مثال ذلك cira di ser mese deye السراج على الطاولة (إذا كان ملتصقا بها) cira di ser mezereye السراج فوق الطاولة (اذا كان موازيا بسطحها ومنفصلا عنها vir herin ji اذهبوا من هنا (اذا كان القصد مغادرة مكان الاجتماع) di vir herin اذهبوا من هنا (اذا كان القصد الذهاب من مكان تتشعب فيه الشوارع [٦] كثرة المترادفات من الامثلة على ذلك (١) الاطفاء فهو vemirandin لاطفاء السراج (٢) تشقق السطوح فهو s,ikutandin لتشقق الصخر او تخدش الوجه بالاظفر خدشا كبيرا qelas, tin لتشقق التربة nidnazired لتشقق سطح الفخار او الزجاج، ولتشقق سطح الجسم مع سلامة الطبقة

السفلى كتشقق اليدين والشفتين.

لهجاتها – في اللغة الكردية اربع لهجات رئيسية (١) الشمالية (الكرمانجية) (٢) الجنوبية. وهذه تنقسم الى شعبتين (ا) الكورانية (المكرية) تمتد من جنوبي اورمية الى جنوبي ساقز.(ب) البابانية تمتد من جنوبي الزاب الكبير الى نهاية كردستان الجنوبية في العراق (٣) الجنوبية الشرقية. وفرعاها اللورية في لورستان الكبرى والبختيارية في لورستان الصغرى (٤) الشمالية الغربية وهي لهجة الدوملي – الدنبلي (الزازا) وتسود اقليم درسيم ومدن بالوكنج جباقجور،معدن وبيران واكيل وسيورك وجرموك. وتعتبر الهورامية في جبال هورامان شقيقة الدوملية

والشمالية، أو الكرمانجية: اوسع اللهجات الاخرى انتشارا يتكلمها اكراد تركيا والقوقاس وخراسان والقسم الشمالي الغربي من آذربيجان الايرانية، ولواء الموصل الى حدود الزاب الكبير، والسريان والاشوريون، وبحكم الجوار تسربت اليها بعض الكلمات الكلدانية والعربية والتركية. واكثر ما نشاهدها في حديث القبائل التي جاورت هذه الأمم، منها ما يزال يحتفظ بلفظه الاساسي ومنها ما اصطبغ بالطابع الكردي.

ولمعظم هذا الدخيل مترادفات موجودة في اللهجات الاخرى أو لدى القبائل الكرمانجية الاخرى. وتسرب الدخيل الى لغة من اللغات شيء طبيعي يدل على حيوية اللغة واحتكاك اهلها بالعناصر التي تجاورها ومع ذلك اذا قيست نسبة الدخيل في اللغة الكردية بنسبته في اللغة الفارسية لسبقتها الفارسية في هذا المضمار اشواطا. واليك ما يذكره الماجور (سون) وهو ممن لهم باع طويل في اللغتين الفارسية والكردية ولهجاتهما وعلم فلسفة اللغات.

(قليلون هم الذين يعرفون شيئا عن اللغة الكردية. وهذا ماجعل الاراء تتضارب في حقيقتها فينسبها البعض الى انها لهجة فارسية عامية

امتزجت بالعربية. والحقيقة ان اللغة الفارسية الحالية المعدودة في طليعة اللغات الارية بجمالها وعذوبة الفاظها، تنقصها الادلة الجلية على قدمها على عكس الكردية. فهذه لغة آرية قديمة كاملة، وغنية بتراكيبها الصرفية، وتمتاز بقواعدها النحوية وخلوصها من المفردات الدخيلة التي وان تكن قد اغنت اللغة الفارسية، غير انها من ناحية اخرى قد قضت على ما يمثلها من المفردات الآرية. وخير اللهجات الكردية هي (المكرية) فهي لهجة منتظمة الشكل وتامة العبارات الصرفية وليس هنا موضع بيان التشابه بين الاصول الكردية والزندافستية اذ يكفي أن نشير الان بأن المكريين القاطنين في نفس البلاد التي اظهر فيها (زورواستر – زرادشت) تعاليمه، يتكلمون اقرب اللهجات الكردية الى لغة الزند افستا القديمة. وقد اظهر لنا البحث أن الكردية لغة نقية لم تصب الا بتآكل شكلها وذلك نتيجة طبيعية لكل لغة لم تحفظ أدبياتها مكتوبة. والأدبيات الكردية كثيرة بعضها مدون وبعضها يتوارثه الخلف عن السلف عن ظهر قلب.

وجاء في القضية الكردية (أن اللغة الكردية هي البهلوية، كانت قبل الاسلام تكتب من الشمال الى اليمين بأبجدية مستقلة، ولها شبه كبير بالأبجدية الارمنية والاشورية. وكانت تستعمل في دواوين ملوك فارس قبل ظهور اللغة الفارسية لغة اقليم فارس (شيراز الحالية).

وقد قبل الكرمانج الابجدية اللاتينية واضافوا اشارة (^) لتعطي الاحرف الصوتية حركة المد. وجعلوا مقابل حرف الخاء العربي (X) والحاء (h) ذات نقطة. والزاء الفارسية (j) واتفقوا الاكراد على قبول (S.) للشين و (C) للجيم و(C) للجيم وفيما عدا ذلك تتساوى بقية الحروف في لفظها واستعمالها مع امم اوربا الحديثة. على انه يجب أن ينتبه الى حرفي (O - a) فهما دوما ممدودان وسأكتب الجدول الآتي بهذه الاحرف لأنها تعطي الكلمة النطق الصحيح. وقد وضعت الاحرف الصوتية الكردية مفسرة بالإنجليزية تسهيلا لقراءة الجدول (e=ai . u= oo . i=ee)

English	Kurmanci	عربي	
	A		
ache	de,	ايش	الم
angry	ingiri	انكرى	غضب
at	té	تى	في
	B		
ban	ban	بان	نداء
band	ben	بن	رباط
bear	bar	بار	حمل
be	bi	بى	يكون
bovy	ber	بر	قر (صابر)
billow	pêl	پل	موج
boar	beraz	براز	خنزير
brother	bira	برا	اخ
brow	birû	برو	حاجب
	C		
can	kan	كان	القدرة
cape	kep	كب	رأس جبل
care	kér	كير	عناية ، هم
check	çikya	جكيا	منع اوقف
chew	dicû	دجو	مضغ
child	çêll	جيل	ولد ، طفل
chin	çen	جن	ذقن
cock	kele	كه كوك	ديك
cow	ga	گا	ثور
cry	qirya	قيريا	صرخ
	D		
dale	dol	دول	وادى
dark	tarik	تاريك	ظلام
daughter	dot	دوت	ابنة ، فتاة
door	der	در	باب
drop	dlop	دلوب	نقطة، قطرة
	E		
earth	erd	عرد	أرض
egg	hék	هيك	بيضة
evening	êvar	ايڤار	مساء
	F		
feather	per	پر	ريشة
feel	pel	په‌ل	لمس
fly	firya	فِرى	طار
	G		
gay	ges,	گش	ابتهاج
great	girâ	گيره	عظيم، جسيم
gray	gewr	گور	اشيب
gully	gell	گلى	وادضيق
	H		
held	hil/la	هيلدا	رفع
hope	hévi	هيڤي	امل
here	hir	هر	هنا
	I		
I	ez	از	أنا
instant	ista	ايستا	الوقت
	K		
clue	kilfit	كليد	مفتاح
	L		
lore	ol	اول	شريعة

English	Kurmanci		عربى
S			
send	s,and	شاند	اوسل
shame	s,erm	شرم	عار ، خجل
sharp	s,erpin	شريين	شديد ، حاد
short	Kurt	كورت	قصير
soon	zû	زو	سريع
star	stêr	استير	نجم
sterile	stewr	استور	عقيم ، اجدب
swan	sone	سونه	اوزة عراقيه
T			
tear tore	dirî	درى	مزق
ten	deh	ده	عشرة
thou	tu	تو	انت
time	dem	دم	وقت
tongue	teng	تنك	مطبل
tree	dar	دار	شجره
two	du	دو	اثنين
V			
valley	ne wal	نوال	وادى
via	ve	وه	نحو
W			
warm	germ	كرم	حار سخن
wash	s,uş,t	شوشت	غسل
way	awa	اوا	سبيل اسلوب ماوا
will	vên	ڤن	ارادة
Y			
you	we	وه	انتم
young	cuwan	جوان	فتى ، شاب

English	Kurmanci		عربى
leg	ling	لنك	ساق ، رجل
lip	lêv	ليڤ	شفة
M			
me — my	min	من	ى (ضمير)
mirth	mirouz	ميروز	فرح
mist	mij	مژ	ضباب
month	mah	مه	شهر
N			
new	nû	نوه	جديد
no	na	نا	لا النافية
now	nuha	نوها	الآن
P			
part	par	پار	قسم ، جزء
peer	pir	پير	شيخ
pen	pin	پين	يد السلاح
pet	pit	پيت	مدلل محبوب
pussy	pissik	پسك	قطة ، هرة
Q			
Quest	xwest	خواست	طلب
quoth	got	كوت	قال
R			
ray	rêz	رز	شعاع
river	rûbar	روبار	نهر
road	rê	رى	طريق
root	riçi	رعى	جذر ، اصل

الأدب والأدباء

إزدهر الأدب الكردي المدون بالكورانية في (سنه – سنندج) عاصمة أردلان في القرن الثامن عشر للميلاد. وبالبابانية، في السليمانية وكوي سنجق إبان إمارة البابان وبالكرمانجية، في بايزيد وهكاري وبوتان في كردستان الشمالية ابتداء من القرن الحادي عشر للميلاد.

أما في الجبال والوديان حيث تقيم العشائر الرحالة وشبه الرحالة كما يروي (سون)، فالاشعار السائدة وان كانت بسيطة فهي ذات معاني رقيقة وتعد بالالوف. ومن ادباء (سنه) زين العابدين البلانجاني والشيخ احمد التختي ولكليهما شعر رقيق كتب (١٧٥٠– ١٧٧٠م). ومن اشهر ادباء البابان (نالي) في السليمانية، و(حاجي قادر الكويي) في كوي سنجق واكثر ما اعتنى به شعراء السليمانية، الغزل والتلاعب في الكلام كما هو في الفارسية. واقدم شعراء الجنوب (علي الحريري) ولد سنة ١٠٠٩ م في بلدة حرير الكائنة في سنجق اربيل وله ديوان شهير واشعار جميلة وكثيرة جدا، وقبره في بلدته مشهور مزور وأدباء الشمال كثيرون.

وفيما يلي موجز لتاريخ حياتهم كما جاء في القضية الكردية:

ملاي جزيري – هو الشيخ احمد الجزيري من اهالي بوتان له ديوان محبوب بين الاهالي يعرف بديواني ملا جزيري. توفي سنة ١١٦٠م بجزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر) ودفن فيها.

فقيه طيران – اسمه محمد من اهالي بلدة مكس ولد سنة ١٣٠٢م. وله منظومتان كبيرتان باسم شيخ سناني (وحكايات برسيسا)وله منظومة شهيرة باسم (كلمات الحصان الاسود) حصان النبي (صلى الله عليه وسلم) الشهير بالبراق. وهذا المؤلف متداول بين الناس. وله كتاب منظوم

ايضا باسم (م، ه) في التصوف ووحدة الوجود. توفي سنة ١٣٧٦م ببلدة مكس ودفن فيها.

ملاي باطي – هو الملا احمد الشهير بالباطي نسبة الى باطة قرية من قرى هكاري. مولده في سنة ١٤١٧م. وله منظومة في قصة مولد النبي (صلى اللّه عليه وسلم) وديوان متداول بين الناس، ووفاته في سنة ١٤٩٢م.

احمد خاني – هو الشيخ العلامة الشاعر العاشق المفلق من عشيرة خانيان وصاحب ديوان (مم وزين) الشهير. وهو شعر قصصي لا مثيل له في بابه الا إلياذة هوميروس. ألّف هذا الكتاب في مدينة بايزيد سنة ١٥٩١م وله كتاب في اللغة العربية والكردية اسمه (نو بهار) وله تأليفات عديدة في العربية والتركية ايضا. وكان له ولع تام بالفنون الجميلة غير قرض الشعر والانشاد، ابتنى في بلدته جامعا زخرفه بأنفس القصائد والمقالات الدينية والشعرية والفلسفية باللغة الكردية وأنشأ مدرسة جعل لغة التدريس فيها الكردية توفي رحمه الله سنة ١٦٥٢م. ودفن بجوار الجامع الذي انشأه.

اسماعيل – من اهالي بايزيد ولد سنة ١٦٥٤م. وهو ايضا من الشعراء الغزليين والقصصيين وله قاموس صغير في اللغات الكردية والفارسية والعربية يسمى (كلعذار). وله قصائد رنانة واشعار لطيفة كثيرة وهو من تلامذة احمد خاني. توفي سنة ١٧٠٩م. وقبره ببايزيد مشهور.

شريف خان – هو الامير شريف خان من أمراء هكاري ولد سنة ١٦٨٩م في بلدة جولمرك مركز هكاري، له آثار نثرية وشعرية كثيرة وديوان في غاية الجودة، وكان له باع طويل في قرض الشعر باللغة الفارسية ايضا. توفي سنة ١٧٤٨م بمدينة جولمرك ودفن فيها.

مراد خان – من اهالي بايزيد ولد سنة ١٧٣٧م. وله مؤلفات كثيرة

واشعار لطيفة في التصوف والشعر العربي. توفي سنة ١٧٨٤م.

علي الترموكي – من العلماء الافاضل والمدرسين العظام. مولده سنة ١٠٠٠هـ في قريته الكائنة بين هكاري ومكس. وكانت له يد طولى في العلوم والفنون ولاسيما الفنون الجميلة وولع بالتدريس. وهو مؤلف الصرف والنحو الكردي. وله رحلات قيمة كثيرة الى البلدان المجاورة، ذكر فيها أشياء مفيدة وملاحظات سديدة، وقبره بقريته التي ولد فيها.

ملا يونس الهلكاتيني– هو صاحب الرسائل الكردية الثلاث الشهيرة في تعليم اللغة العربية (تصريف) و (ظروف) و (تركيب). وقبره بقرية هلكاتين التي ولد فيها.

الأمير شرف الدين البتليسي– هو صاحب شرفنامة: تاريخ الدول والامارات الكردية. وهو سفر كتب بالفارسية. ولهذا لم يعتبر من الادب الكردي.

الاساطير – تنقسم الاساطير الكردية الى قسمين (١) جيروك (قصة) (٢) جيرجيروك (أقصوصة). وهذه تكون نثرية موزونة يرويها شخص يدعى جيروكبيز (راوية) وينشدها دنكبيز، أو استرانفان (مغني)

الموسيقى والغناء – ينقسم الغناء الكردي الى الاقسام التالية (١) لاوك – الغناء الغرامي العاطفي. (٢) شعر - الغناء الحماسي. (٣) ديلوك – الغناء الرقصي. (٤) لاقبز، لاقبزوك، لازه – النشيد او الترتيل الديني. (٥) بيريتي أو بيليتي – النشيد المجموعي.

المغنون – هم (الدنكبيز) أو (استرانفان) وهو المغني المشهور، (والجيروكبيز) وهو المغني البسيط، يلي (الدنكبيز) يغني حينا ويروي حينا اخر، واكثر ما يكون ذلك في رواية الجيرجيروك. و (المطرب) وهو الغجري المغني والرقاص. و (السازبند) وهو (الفنان – الموسيقار) الذي يسير مع الدنكبيز. و(البلورفان) وهو النافخ في الناي.

المجلات والصحف

أصدر مدحت بك، بدرخان أول صحيفة كردية في اسطنبول سنة ١٣١٥هـ باسم (كردستان) ثم أخذ شقيقه عبد الرحمن بك يوالي اصدارها أثناء مرضه، في القاهرة وجنوة وفولكستون ولندن. وبعد اعلان الدستور العثماني في اسطنبول واصل ثريا بك بدرخان نشرها في الاستانة، ثم في القاهرة اثناء الحرب الكونية واعدادها الاولى موجودة في مكتبة بروسيا وهذه الصحيفة غير المجلة التي كانت تصدرها الارساليات التبشيرية في أورمية باسم (كردستان). وقد اصدرت جمعية (هيفي – الامل) الكردية بعد اعلان الدستور مجلة اسبوعية باسم (روز كرد– يوم الكرد) في الاستانة ثم تبدل اسمها الى (هتاف كرد - شمس الكرد). وبعد الحرب الكونية ازداد نشاط شباب الكرد وأخذوا يعملون على نشر الصحف الكردية في القاهرة واسطنبول.

فنشر السادة حمزة، وممدوح سليم، وكمال فوزي في الاستانة مجلة (زيين) الحياة الاسبوعية سنة ١٩١٩م واحمد عزيزي بك بدرخان (المغفور له احمد ثريا بدرخان) مجلة كردستان نصف الشهرية في القاهرة سنة ١٣٣٥هـ وظهرت في السليمانية لأول مرة جريدة (بيشكوتن - التقدم) ولدى دخول الانجليز البلدة تعطلت. وفي ٢ اغسطس سنة ١٩٢٢م. اصدر حاجي مصطفى باشا (بانكي كردستان – صوت كردستان)ولم يصدر منها سوى ١٣ عددا ثم تعطلت واصدر محمد نوري افندي جريدة اسبوعية اسمها (روزي كردستان – يوم كردستان) كانت لسان حال الحكومة الشيخ محمود. صدر منها ١٥ عددا ثم انقطعت وظهر بعدها جريدة (بانكي حق – صوت الحق) دامت الى سنة ١٩٢٣م. صدر منها ٣٠ عددا وظهر بعدها جريدة (اميدي استقلال – أمل الاستقلال) فلم تدم. اذ أصدرت الحكومة عقبها جريدة اسبوعية باسم (زيان – الحياة) ما تزال تصدر حتى اليوم

وفـي عـام ١٩٢٥م أصدر صالـح زكـي بك صاحـبقـران فـي بـغداد مـجلـة اسبـوعيـة بـاسم (ديـاري كردستـان – هـديـة كـردستـان) بـاللـغـات الـثـلاث الكردية والعربية والتركية استمرت الى مايس سنة ١٩٢٦. واصدر كذلك حاجي مصطفى باشا (بانكي كردستان) سنة ١٩٢٥م في بغداد، ولكن لم يكتب لـهـا الـنـجـاح فـانقطعت عن الصدور بعد نشر عددين. وفـي عـام ١٣٤٤هـ أصدر السيد حسين حزني المكرياني في رواندز جريدة باللهجة الكرمانجية اسمها (زار كرمانجي – اللهجة الكرمانجية) وفي عام ١٩٣٢م أصدر جلادت بك بدرخان مجلة نصف شهرية باللهجة الكرمانجية ايضا اسمها (هاوار – الصرخة) كانت تكتب بالابجديتين العربية واللاتينية. ثم اقتصرت على اللاتـيـنـيـة واستمرت عـامـا ثم تـوقـفت. وفـي سـنـة ١٩٣٧م صدرت في السليمانية جريدة (زبـان – اللسـان) ومـا تـزال مستمرة حتى الان.

المصادر الشرقية والغربية

١. التوراة.

٢. خطط الشام – الاستاذ محمد بك كرد علي طبع دمشق ١٩٢٨.

٣. السلوك في دول الملوك – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (تصحيح الاستاذ مصطفى زيادة). طبع القاهرة سنة ١٩٣٤.

٤. مفصل جغرافية العراق – طه بك الهاشمي. طبع بغداد سنة ١٩٣٠.

٥. (تاريخي حكمداراني بابان له كوردستانى شارەزور وئەردەلانده) (كردي) للسيد حسين حزني مكرياني طبع رواندوز ١٩٣١.

٦. (ميراني سوران)(كردي) للسيد حسين حزني مكرياني طبع رواندوز ١٩٣١.

٧. خلاصەيكى تاريخى كورد وكوردستان – (كردي) أمين زكي بك. طبع بغداد سنة ١٩٣١.

٨. صبح الاعشى – الشيخ احمد القلقشندي (٨١٤ هـ). طبع القاهرة.

٩. الفتح القسي في الفتح القدسي – الوزير الكاتب عماد الدين الاصفهاني (سنة ٦٠١ هـ) طبع في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ

١٠. القضية الكردية – الدكتور بله ج شيركوه. طبع القاهرة سنة ١٩٣٠.

١١. تاريخ جودت (تركي) لاحمد جودت باشا. طبع اسطنبول سنة ١٣٠٩هـ.

١٢. تاريخ ابن خلدون (سنة ٨٠٨ هـ) طبع القاهرة

١٣. (المختصر في تاريخ البشر) – ابو الفداء سنة ٧٣٢هـ طبع القاهرة.

١٤. (الفتوحات الاسلامية) – الاستاذ احمد بن السيد زيني دحلان طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ

١٥. بويوك تاريخي عمومي (تركي) – احمد رفيق بك : طبع اسطنبول ١٣٤٧ هـ

١٦. شرفنامه (فارسي – تاريخ دول الاكراد وإماراتهم) الامير شرف الدين البدليسي (١٠٠٥هـ). طبع بالقاهرة ١٩٣٠ مصدرا بمقدمتين عربيتين احداهما ترجمة مقدمة

الطبعة الاوربية والاخرى للاستاذ مجمد علي عوني.

١٧. مروج الذهب – المسعودي سنة ٣٤٦هـ طبع القاهرة.

١٨. تاريخ الكامل – ابن الاثير سنة ٦٣٠هـ طبع القاهرة.

١٩. اشهر مشاهير الاسلام رفيق بك العظم. القاهرة.

٢٠. اليزيدية او عبدة الشيطان – السيد عبد الرزاق الحسني طبع بغداد ١٩٢٩.

٢١. المجلة العسكرية. بغداد العدد الثاني ١ نيسان سنة ١٩٢٦.

٢٢. مجلة هاوار (كردية). دمشق سنة ١٩٣٣.

٢٣. التمدن الاسلامي – جرجي زيدان: طبع القاهرة سنة ١٩٠٥.

1.The land of Moab -Tristraw.

2.The land and the book Thomson.

3. Petra, peria, pheonicia A. forder 1923. london

4. Four Centries of Modern Iraq.s .H. longrigg 1925.

5. Frow the Gulf to Ararat. G. E. Hubbard 1916.

6. To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise. E. b. soan 1912, 1926 london

7. Transcaucasia and Ararat. James bryce 1896.

8. Persia and the persians 2 Vol Æ lord Curzon 1892.

9. Encyclopaedia britanica 1929.

10. Moesopotamian Origins. S. A. speiser 1930 Philadilpbia.

11. Assyria. professor ragozin.

12. Armenia and the Armenians 2 Vol. H. F. b. lynch 1902 london.

13. Adventures in the Near East. rawlinson london

14. road Through Kurdistan. A. M. Hamilton 1937.

15. Question of the Froutier between Turkey and Iraq - report submilted to the leogue of Nations 1924.

16. The Case of Kurdistan Againet turkey. issued by the kurdiech Independence league 1930 Philadelphia.

فهرس

دفعني إلى القيام بهذه الجولة وكتابتها عوامل عدة: التثبت مما كنت أطالعه في كتب الغربيين من انجليز وامريكان حول الكرد وبلادهم، وسد ثغرة في التاريخ الاسلامي وجغرافية الشرق الادنى، واعطاء فكرة صحيحة عن الكرد لجيرانهم الذين مازالوا يجهلون الشيء الكثير عنهم، حتى انك لا تجد كتابا... واحداً بين كتبهم يبحث هذا الموضوع بحثاً وافياً على ما اعتقد.

والكتاب يشتمل على نواح ثلاث ناحية تبين لنا بلاد الكرد بصورة عامة، وكردستان الجنوبية (العراق الشمالي) بصورة خاصة، وناحية توضح لنا تاريخ الكرد بصورة مجملة من اقدم العصور التاريخية حتى الآن. والناحية الثالثة تكشف لنا عن حياة الكرد الاجتماعية والأدبية.




مطبعة
اربيل - كردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil


ISBN 978-9933-487-71-3
9 789933 487713
السعر ٤٠٠٠ دينار